قلب لا ينام

مروان منير

2022

سما
للنشر والتوزيع

قلب لا ينام

مروان منير

الطبعة الأولى: يناير
1443 هـ - 2022 م

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية
دار الكتب المصرية
منير ، مروان
قلب لا ينام
القاهرة: سما للنشر والتوزيع، 2022
296 ص؛ 13.7×19.5 سم -
(قلب لا ينام)
أ. العنوان
رقم الإيداع: /2022
تدمك - 781- 977-978

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
لدار «سما» للنشر
يحظر طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي من الناشر فقط.

التنفيذ الفني
درج
للاستشارات وخدمات النشر
ali@daraj-eg.com

دار سما للنشر والتوزيع
جمهورية مصر العربية
15 ش يوسف الجندي متفرع من شارع البستان -
باب اللوق - القاهرة
تليفون: 24517300 202+ - 01271919100 2+
email: samanasher@yahoo.com
Web-site: publishing@sama-publishing.com

قلب لا ينام

مروان منير

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

موســـيقي تملأ المكان..تحرك الساكن من جسد كل من تواجد في القاعة..الزهور الملونة موزعة باتقان في اركان القاعة الكبري للحفلات والافراح..أصوات الضحكات تتعالي وتتشابك مع ضجيج الملاعق والســـكاكين وهي تصدم بالاطباق الصيني البيضاء..وفي صدر القاعة وعلي ارتفاع بسيط يجلس محمد الصاوي المحامى .. بجوار عروسه « وفاء الســـعيد» مدرسة لغة انجليزية – على اريكة بيضاء مزدانة بالزهور البيضاء..

رائحة زكية تفوح وتنتشر بين الحاضرين مع صعودهم بالتتابع الـــى المنصة والاريكة حيـــث يجلس العروســـان لالتقاط الصور التذكارية.

و حين ياتي دور أشرف شقيق العروس وفاء تميل ناحيته بينما ينحني ليتمكن من سماعها وسط الضجيج..

وفاء: كان لازم يعني يا أشرف تسافر بكرة.. كان من الأفضل أن تظل الي جواري فترة اطول.

أشـــرف: احمدى ربنا انني اســـتطعت تأجيل السفر الي ميعاد زفافك.. مر الوقت ســـريعا كعادة الاوقات المفرحة علي عكس وقت العسر فيمر بطيئا وتساوي الدقيقة فيه اياما..

عاشـــت وفاء أجمل لحظات حياتها.. أخيرا تحقق حلم حياتها بارتداء الفستان الابيض وبجوار فارس احلامها ابن الجيران..حب العمر منذ الطفولة..فالمراهقة الى الجامعة..حتي صارت مدرســـة ومحمـــد الصاوي محاميا..تـــزداد خبرته يوما بعـــد يوم وتتوالي نجاحاته في الفوز بالقضايـــا الصعبة مما ادي الي ذيع صيته بين وسط المحامين والمحاكم في القاهرة وخارجها.

يسير أشـــرف عبر الممر الضيق بين مقاعد الطائرة جاملا في يده اليمني تذكرة صعود الطائرة وعلي كتفه حقيبة يد ســـوداء بها الكمبيوتر المحمول وأشـــياء أخري صغيرة.. اســـتقر في المقعد الملاصق للنافذة.. والابسامة المشوية بالقلق لا تفارق شفتاه، اخيرا تحقـــق حلمه وبدا قريب المنال، ها هو في طريقه الي اجمل البقاع الاوربية كما وصف له، الي سويسرا، حيث البدء في دراسة الدكتوراه في هندسة الطرق.

هل هي دعوات امه قبل وفاتها، ام انه صنف من الحظ ام اجتهاد شـــخصي منه بعد معاناة وصبر، الي ان اتته البشارة عن طريق د. علي بدر أستاذه والذي كان مشرفا علي رسالة الماجستير.

ربط حزامه واخذ يراقب حركة الطائرة التي تســـير الي الخلف ببطء ويســـتمع الي التعليمـــات عبر صوت المضيفة المســـجل بخصوص اجراءات الســـلامة والحيطة.. وبعـــد مرور قرابة الاربع ساعات.. استعد الركاب بعد ســـماع التعليمات لهبوط الطائرة في مطار جينيف.. وهنا يتمتم أشـــرف هامسا « اول يوم في سويسرا» وشعر بحاجة في ان يصرخ في كل من حوله ويخبرهم انه قادم من اجل تحضير الدكتوراه.

وضعت وفاء رأســـها علي كتـــف محمد الصـــاوي الذي كان قابعا هادئا مبتســـما خلف عجلة القيادة والسيارة تقطع الطريق الصحراوي منجهة الي الاسكندرية..الي شاطئ سيدي بشر تحديدا حيث ذكريات الطفولة مع الاهل، وصور وخيالات الليلة الماضية لم تفارق خياله، كم هي جميلة وفاء..انها فعلا وفاء في كل شئ، فكم صرحت له انها ســـوف تفعل كل شئ واي شئ مهما كان لاسعاده، ستحلق به في السماء، تخدمه بقلبها وعقلها وكل جوارحها.. تسقيه من لطائف انوثتها وتذيقه من صنوف السعادة الوان..

وبالفعل كانت الليلة الماضية ليلة العمر، قضاها مع اجمل حبيبة والانثي الاولي والاخيرة في هـــذا الكون، وبالمقابل اراد فعل كل ما بوسعه لاسعادها واحاطتها بقوته ورجاحة عقله..

اســـتفاق علي صوت هامس من وفاء : « بحبك.. لا..لا ترد .. انه الان دوري .. لم استطع ان انطقها كثيرا قبل الزفاف.. بحبك بجنون

ونفســـي ان تطول رحلتنا هذه وتمتد لســـاعات وايام، ان لا ينتهي الطريق ابدا، الكـــون كله ملكي حتي هذه الدمعة الحائرة التي تملأ عيني تنطق باسمك وتقسم بحبك..

يربت محمد الصاوي علي شعرها الناعم الاسود الطويل ويضمها اكثر الي صدره لتصدر منها اهـــة خفيفة مليئة بدلال انثوي يذيب قلبه قبل عقله، وتلتها اهة ثانية وضحكة معينة يحب ســـماعها من وفاء وكأنها تصرح له بحبها اكثر واكثر.

استفاق كلاهما علي صوت هائل مع اهتزاز في السيارة، افزعت وفاء بشـــدة، حاول محمد الصاوي ان يحكـــم قبضته التي اهتزت بشـــده علي عجلة القيادة وفي نفس الوقت وضع يده الاخري علي صدر وفاء ليمنع جســـدها من الارتطام بتابلوه الســـيارة الداخلي حيث انها لم تكن مرتدية حزام الامان، وبعد محاولات للسيطرة علي الســـيارة والابطاء من سرعتها، جنح الي الجانب الايمن من الطريق وتوقفت الســـيارة تماما، اطمئن علي وفاء محاولا تهدئتها والمسح علي رأســـها وتقبيل يدها.. ثم نزل ودار دورة حول السيارة وكما توقع، انفجرت احدي الاطارات، بدأ في اخراج الادوات المطلوبة من المخزن الخلفي وخرجت وفاء لتقف بجانبه قائلة " بلية في خدمتك يافندم.. كيف لي ان اساعد»، ومرت لحظات تغيير الاطار بكل حب وســـعادة رغم انه عمل ليس بالمفضل لمحمد الصاوي الا انه احبه

بصحبة «بلية» .. وفاء الصديقـــة والرفيقة.. ثم كالعادة يمر الوقت الجميل بسرعة البرق.

عادا مرة اخري الي السيارة وهما يســـتمعان لاغنية من أغاني ليلي مراد القديمة..

فر النـــوم هاربا من مقلتي أشـــرف مع بذلـــه كل المحاولات لاســـتعادته، لعلمه أنه يحتاج للنوم والخلود للراحة.. ففي الصباح عليه التوجه الي الجامعة لانهاء اجراءاته واثبات حضوره وتســـلمه جدول المحاضرات والتي سيكون ضمن فريق بحثي تحت اشراف احد الاساتذة بالجامعة.

نهض من فراشه واتجه الي النافذة التي تطل علي منظر بديع.. اضواء خافتة هنا وهناك وســـماء مظلمة االلهم الا من ضوء ضعيف قادم من هلال ظاهرا علي استحياء في سماء كاحلة، هذا ما استطاع ان يراه من خـــلال نافذة عريضة وقد غطت حوافها بالكامل الثلوج القطنية البيضاء..

استرجع شـــريط ذكرياته عندما اخبره د. علي بدر هاتفيا وهو قابع جوار امـــه أمينة وهي علي فراش المرض، وضع الســـماعة وقفز في الهواء فرحـــا، وركض الي امه واخذ يقبل يديها وجبينها، وهي تنظر اليه لا تحرك ســـاكنا اللهم الا نظرة سعادة ملئ عينيها، ووراء الابتسامة عشرات الاسئلة.. ماذا هناك؟! ما سر هذه السعادة والقفز في الهواء وبين الســـؤال والتساؤل تنظر بعينيها الي سقف

الغرفة او الي السـماء حيث لا يحجز السـقف دعوة الام الصاعدة الي السماء مباشـرة دون حجاب، داعية الله له بالتوفيق والنجاح والمزيد من الفرح، طال انظارها لتجد إجابة علي التسـاؤلات.. إلي ان تحدث أشـرف إليها أخيرا قائلا « أخيراً يـا أمي.. إنها الفرحة، جائتني البشـارة بفضل دعائك، إنه د. علي المشرف علي رسالتي ومن رشحني للبعثة إلي اوروبا، تحديدا إلي سويسرا، أخيراً يا أمي جائني الخبر اليقين فقد تم إدراج إسـمي ضمن المرشحين لليعثة ثم ارتمي بجسـده النحيل فوق صدرها وامتزجت دموعه بحرارة دموعها المنهمرة علي وجنته لتغطي وجنتاهما.

اقتربت سـيارة محمد الصاوي ووفاء من مشارف الاسكندرية ودقت علي زجاج السيارة الامامي اولي زخات مطر الشتاء..

وفاء: أخيرا، إسـكندرية في الشـتاء، امنية حياتي أن اسـير معكعلي كورنيش بحر إسـكندرية والصقيع يضرب وجوهنا مع المطر الخفيف فوق رؤسـنا وأنا احتمي بجسـدك واختبئ وسط صدرك وملابسك، والامواج ترسل رزاز البحر المالح المحمل باليود ليدخـل انوفنا ونحن مغمضي الاعين، كم اعشـق هذه المدينة في الشتاء، شكرا حبيبي انك وافقت علي قضاء شهر العسل في الشتاء في الاسكندرية وسط استنكار واستغراب الجميع فكان المتوقع ان نقضيه في اسـوان مثلاً، لكن علي قدر جنوني بك وحبي لك، اشعر

معك بالاختلاف وحب الحياه، الشـــتاء هو الاسكندرية والكورنيش، والاسكندرية هي خريف وشتاء وقهوة ساخنة.

بيد مرتعشة وقلب يدق سريعا مع خطوات بطيئة، يدفع أشرف الباب الزجاجي لمبني الادارة بالجامعة وهو يتمتم بآيات من سورة يس، يســـير نحومكتب الاســـتقبال ويبدأ بالحديث بلغة انجليزية ركيكة بعض الشئ ولم يكمل ثلاث كلمات إلا ويشعر بيد من خلفه تدفعه برفق الي الخلف وصـــوت يتحدث الالمانية فهم منه أنه لابد وان ينتظم في الدور، أنا هنا قبلك ولابد ان تنتظر خلفي حتي يحين دورك.

شعر أشرف بسخونة تسري بجسده رغم برودة الجو في شتاء أوروبـــا من الخجل وكيف لم يلحظ ذلك، لقد اعتاد في مصر ان من يحضر يتحدث ويقـــدم طلبه دون الاكتراث بمن حضر قبله، حاول اشـــرف ان يعتذر للفتاة الجاذبة له بيدهـــا والمتحدثة بالالمانية، لم تعره اهتماماً او تنظر نحوه بل تقدمت نحو طاولة الاســـتقبال للتحدث الي الموظفـــة، وبعدها عادت وبيدها بعض الاوراق وقلم ، جلســـت جانباً لتملأ الاستمارات، ثم تقدم أشرف بعد ان نظر حوله ربما كان هناك آخر سبقه، أخبر الموظفة انه علي موعد مع كلارا في تمام التاســـعة بناءاً علي الخطاب الخاص بتحديد موعداً له، تناول هو الاخر قلما وعدة اوراق وجلس بجوار الفتاة التي ســـبقته ليملأ الاوراق.

لاحظت الفتاة ارتباكه وعدم معرفته بما جاء في هذه الاوراق رغم ان اللغة المستخدمة هي الالمانية والقليل بالانجليزية، ورغم غضبها السابق منه، لكنها توجهت إليه بالسؤال تعرض عليه المساعدة قائلة : يبدو انك غريب عن البلدة والجامعة

أشرف: «مرتبكاً» .. نعم !

الفتاة: هل تحتاج اي مساعدة ؟!

أشرف: أحتاج للمساعدة جداً.. لكنني أشعر بالحرج الشديد، انه اول يوم لي هنا بالفعل..

الفتاة: بإبتســـامة دافئة .. لا عليك.. انتظر دقائق كي افرغ من ملئ اوراقي ثم اساعدك علي الفور.

يسترق أشرف النظر خلسة بين الحين والاخر.. جميلة، شقراء، ذات شـــعر قصير يصل الي الكتف.. عينان زرقاوان، بيضاء بحمرة خفيفة علي الخدين، كل شـــئ فيها متناسق وجميل للغاية، تمسك القلم بيسراها، يبدو عليها البساطة، ملبسها بسيط وانيق للغاية ولا ترتدي الذهب مثل فتيات مصر.. بل ترتدي إسورة من الصوف حول معصمها وسلســـلة فضية رفيعة للغاية تكاد لا تري بالعين حول رقبتها، يتدلي منها قلب ازرق صغير للغاية.

ترفع الفتاة رأسها إليه فيشعر بالحرج ويتظاهر بالتلفت حوله وكأنه يتفحص المكان، تضع الاوراق الخاصة بها جانبا ثم تتناول اوراقه، تنظـــر إليه ثم تضع علامات إكس بجـــوار بعض البيانات

وتحدثه بلغة إنجليزية سـليمة، أن بملأ كل الخانات ثم تنهض إلي المكتب لتسلم أوراقها للموظفة وتتجاذب معها الحديث بالألمانية، ينهض أشـرف بعد أن اسـتكمل ملئ الاوراق ووقف خلف الفتاة منتظـراً حتي تفرغ من حديثها ثم يأتـي دوره، فهو لا يرغب في تكرار الخطأ نفسـه.. تنظر إليه الموظفة بعـد أن تقطع حديثها مع الفتاة وتشـير إليه أن يتقدم قائلة : إعطني الاوراق.. نحن فقط نتحدث..مونيكا صديقتي وبيننا الكثير من الكلام، يسير عائدا تجاه الباب بعد ان انهي إجراءاته ووجد اجابات لكل التساؤلات التي ملأت رأسـه طوال الطريق إلي مبني الجامعة، وقبل ان يفتح الباب سمع صوتاً من خلفه.. إنها نفس الفتاة، أعتقد «مونيكا» .. تستوقفه، ماذا فعل هذه المرة ؟! .. ما الخطأ ؟ .. فإذا بها تناوله حافظة نقوده فقد نسـيها علي الطاولة التي كان يملأ فوقها الاستمارات وبها بطاقة هويته وخطاب واوراق اخري..

ابتسـم لها أشـرف وهو سـعيد بعودتها خلفه مثل سعادته بعدم فقدانه الاوراق وإلا سـوف تكون بداية سيئة مع أول يوم له بسويسـرا.. حاول أن يجزيها حيث الشكر وحده لا يكفي، عرض عليها ودعاها لتناول القهوة او اي مشـروب ساخن ترغبه.. وافقت بعد تردد وصرحت: حسنا، رغم اني لا أخرج مع الغرباء لكن يبدو انك مختلـف وأيضا تحتاج الكثير من المسـاعدة فكما علمت انك وصلت لتوك من بلدك.

مرت أيام شـــهر العسل أو اسبوع العســـل بين محمد الصاوي ووفاء تحيطهما رياح السعادة ونسيم الحب ومابينهما همسات عشق لا يتكرر بين العشـــاق.. أخذا الإتجاه الماعكس للطريق الصحراوي في رحلة العودة الي القاهرة، وهما لا يدركان انهما قد وضعا بذرة مولودهما الاول بالاســـكندرية، لتمر الأيام والشهور سريعة لتضع وفاء الثمرة الاولي.. ولد زي القمر كما قالت ممرضة المستشـــفي لمحمد الصاوي.. الذي أطبق عليه وأســـماه « حازم»، وكانت هذه هي الأمنية الثانية التي تمنتها وفاء بعد الأمنية الاولي والتي تحققت بالزواج من أول حب، ابن الجيران..

وكما يقولون ان الفرح يأتي بالمزيد من الفرح، عندما عادت إلي عملها بمدرســـة اللغات، تم إختيارها لتشغل منصب وكيل المدرسة أي بعد المدير العام مباشرة، وازداد نجاح محمد الصاوي المحامي، ذاع صيتـــه وبدأ الطلب عليه يتزايد للزود والدفاع عن المظلومين او كل من يظن نفسه مجنيا عليه.

إزدادت وتعددت لقاءات أشرف ومونيكا وتكونت بينهما رابطة لم يعرف او يتذوق أشرف طعمها من قبل، هل هو إعجاب ام إنبهار أم إحتياج.. ربما الثلاثة معاً..

كانت مونيكا تبلغ الســـابعة عشرة من عمرها، بينما اتم أشرف السابعة والعشرون، إلتحقت مونيكا بالسنة الثانية لدراسة الإخراج،

وتحديدا إخراج الإعلانات والافـــلام القصيرة كما كانت تحلم، فهي تعشق الجمال والالوان وكل ما هو أمام الكاميرا، فقد تركت أسرتها القاطنة بإحدي ضواحي الريف السويســـري في بلدة صغيرة تقع علي الحدود الألمانية بحثا وراء دراســـة الاخراج والتصوير.. لكنها ما زالت تحتفظ ببعض العادات التي تربت عليها منذ طفولتها، مثل المأكولات الريفية والملبس المحافـــظ بالإضافة إلي المواظبة علي إقامة الصلوات وحضور قداس يوم الاحد في الكنيسة، وهذا ما لفت إنتباه أشـــرف إليها حيث وجد فيها إختلافاً عن أقرانها من الفتيات الاوروبيات وتحديداً في مثل عمرها ممن تلهثن وراء صالات الرقص والموضات وخلافه، .. شعر انها قريبة لعادات بلدان الشرق الاوسط.

لعبت مونيكا دور المرشـــد الســـياحي والمترجم بإقتدار.. مع محاولته لتعلم الالمانية والانغماس اكثر في دراســـته، وفي إحدي المرات عرضت مونيكا علي أشـــرف مصاحبتها أثناء زيارة أسرتها في العطلة الاسبوعية، ليتعرف إلي أفراد أسرتها.

اســـتقلا الحافلة سويا لتشق طريقها وســـط الجبال الخضراء والثلوج تغطي قممها مع انتشـــار الاشـــجار الشاهقة علي جانبي الطريق ومع الاقتراب اكثر ظهرت قطعان الماشـــية المنتشرة في المراعي الطبيعية عن يمين ويسار الطريق، يا له من منظر خلاب.

إســـتطاع محمد الصاوي من إتهاء وفض منازعة لميراث أسرة ثرية، بعـــد ان مات الاب صاحب الثروة، ومن بين الورثة إبن الرجل

الاكبر الذي هاجر منذ ســـنوات الي امريكا.. وعاد بعد وفاة ابيه في زيارة قصيرة للحصول علي حصته من الميراث، ومن ضمن حصته أرض زراعية مترامية الاطراف بماحفظة البحيرة، اراد بيعها وضم ثمنها الي بقية الاموال السائلة من ميراثه وتصفية كل شئ والعودة ثانية الي امريـــكا ونظرا لضيق وقته وتعجله في إتمام بيع الارض، طلب من محمد الصاوي المحامي في البحث له عن مشـــترٍ بأقصي ســـرعة وبأي ثمن.. هنا توجه محمد الصاوي الي البنك وسحب كل رصيـــده.. وعاد الي الرجل وعرض عليه مـــا يملكه من نقود والتي كانت بالكاد تساوي عشـــر قيمة الارض، وافق الرجل.. وتم تحرير العقود وتوثيقها، عاد الرجل بعدها الي امريكا وصار محمد الصاوي هو المالك الجديد للارض التي كانت تدر ربحاً سنويا جيد.. أسرع محمد الصاوي عائداً الي البيت فرحا حاملا البشارة الي وفاء.. أنهما صارا من ذوي الاملاك والطيان كما يقال... لم يجد وفاء بالبيت ولا ابنهما حازم ذا العامين، انتظر علي مضض وســـمع صوت الباب يفتح وحازم الصغير ممسكا بقطعة من الشيكولاته، ركض سريعا الي ابيه ةارتمي في احضانه ونقل الشـــيكولاته التي سالت قي يده الصغيـــرة الي قميص اباه الابيض، ومـــن وراءه وفاء التي حاولت اللحاق بحازم قبل ان تتســـخ ملابس الاب، ابدت اسفها واعتذارها لزوجها قائلة: هيا لتبدل ملابسك واعطني القميص هذا لغسله.

أثار رد فعل زوجها الكثير من الدهشة لديها وإذا به يحمل حازم بين يديه.. يحتضنه ويقبله ولا يكترث بما تبقي من الشـــيكولاته ان تنتقل الي وجهه وشـــاربه، تملك الضحك من وفاء بعد رؤيتها لهذا المنظر المروع.. زوجها الانيق، المحامي الوقور بملابس متســـخة بالشـــيكولاته دون ان يكترث او يغضب بل وضع المزيد منها علي وجهـــه وهو يضحك.. دون ان ينهرها او ينهـــر الصغير حازم، لم تتمالك نفســـها من الضحك بصوت عالٍ رغـــم انها تحترم زوجها وتجله كثيرا.. استمرا في الضحك ووداعبة حازم اكثر واكثر..

فإذا بوفاء تشـــير بيدها ان لديها أخبار طيبة.. فباغتها محمد الصاوي بقوله: انا ايضا لدي اخبار رائعة

وفاء: هل اتصل بك الطبيب بهذه السرعة ؟

محمـــد الصاوي: طبيب !!! .. لم يتصل بـــي.. ماذا هناك .. هل حازم مريض ؟

ابتســـمت وفاء بخجل واجابته ورأسها الي الارض واضعة يدها فوق بطنها .. « الثاني جاي في الطريق»

وضع حازم جانبا.. اقترب منها بملابســـه الملطخة بالشيكولاته ووجه يعلوه بصمات اصابع حازم الصغير « فعلا ! .. هل تعنين !! .. انا كده فاهم صح..»

ثم اشار الي بطنه في حركة دائرية قائلاً « حامل ؟!!» .

«نعم..نعم.. انا حامل في الشهر الثاني .. سوف يكون لحازم أخ او أخت ..»

رفع محمد الصاوي يديه الي السماء « احمدك يا رب واشكر فضلك، تجزل لي من العطاء ومن زينة الحياة الدنيا .. المال والبنون..»

ثم قص علي وفاء ما حدث معه.. الي ان تم تسجيل عقود الارض .. « لقد صرنا من الاعياء يا وفاء.. لدينا ارض في البلد، نعم هي ليست بلدنا وليس لدينا بها اقارب او عائلة.. لكنني الان انا المالك الجديد للارض واستعدي وحازم غدا للذهاب لمعاينتها والتعرف علي المستأجرين ومتابعة الامور المالية.. الايراد السنوي وخلافه..

هكذا الافراح تأتي مجتمعة.. كما ان الاحزان تأتي متلاحقة ومتسارعة هذه الايام.. أيام للفرح واخري للاحزان، فعلي كل انسان ان يفرح بالافراح قدر استطاعته حيث لا يدري ماذا يدبر ويخبئ له القدر مستقبلا.

دخل أشرف عامه الثالث في تحضير رسالة الدكتوراه.. ولم يتبقي إلا عام واحد.. إذ تلقي خطابا من اخته وفاء تزف اليه خبر وضعها لمولودها الثاني .. إنه ذكر .. « أكرم» .. صار لحازم أخاً رضيعا، ليلعب به..هكذا ظن .. وكان مرفق بالخطاب صورة صورة للوافد الجديد « أكرم» .. مغمض العينان ذو بشرة بيضاء وخدود

مائلة للإحمـــرار، وعلي ظهر الصورة عبارة « إلي خالو أشـــرف» الإمضاء أكرم.

شـــاهدت مونيكا الصورة وفرحت للغاية مع الشـــعور ببعض الغيرة الطبيعية المحمودة، وإذ بها تخبر أشـــرف كم هي تعشـــق الاطفال وتطلب منه بشكل صريح ومباشر " أنا ايضا اريد ان اكون أم .. لماذا لا ننجب ولداً او بنتاً ؟ ! " ، نظر إليها أشرف بتعجب .. " كيف لنا ان ننجب دون زواج "

مونيكا: وما الغريب في ذلك .. إنني استطيع أن أكون أماً ممتازة وأن اوازن بين عملي وطفلي والبيت وأيضاً استطيع ان ارعاك

أشـــرف: أعلم ذلك حبيبتي .. لكن التقاليد المصرية والاسلامية تحتم علينا ان نكون زوجين أولاً بعدها يحق لنا الإنجاب ..

مونيكا: بتعجب – حسناً نتزوج إذاً ولم لا ؟ !

فرح أشـــرف بالمســـار الذي انحدر فيه الحوار بينهما، وصارا يدبران الامر بينهما في تفاصيل إتمام الزواج...

توقفت ســـيارة أمام منزل محمد الصـــاوي وهبط منها رجلان يحملان ثالثا ، نظرت وفاء عبـــر النافذة.. إنه زوجها، إنهم يحملان محمد الصاوي ، أسرعت بفتح الباب.. وضعاه الرجلان علي الفراش في حجرة النوم بعد ان اخبـــرا وفاء انه تعرض للإغماء أثناء قيامه بالمرافعة في احدي القضايا، بالفعـــل كان محمد الصاوي يرهق

نفسه كثيرا في العمل ومرت عليه عدة ايام لم تعرف فيها عيناه طعم النوم ولم يتوقف عقله عن العمـــل والتفكير وقراءة الملفات وعمل العشرات من المكالمات الهاتفية، فلابد لهذا الجسد ان يستريح ولو رغماً عن انف صاحبه.

حضر الطبيب الذي أشـــار علي وفاء بضـــرورة الراحة التامة لزوجها لثلاثة أيام علي الاقل مـــع الاهتمام بالتغذية وتناول بعض العقاقير مدونة في روشتة ناولها لوفاء ثم ختم كلامه: سينام بعض الوقت بعد ان حقنته بمادة مهدئة .. دعوه ينام ويخلد للراحة.

أتمَا أشـــرف ومونيكا إجراءات الزواج وقام بعض من الاصدقاء وافراد من اســـرة مونيكا بإقامة إحتفال صغير حيث قضي الجميع وقتا لطيفا والتفوا حول العروســـان لإلتقاط الصور التذكارية، هنا تذكر أشـــرف أمه « أمينة» التي ماتت قبل ان تراه عريساً كما كانت دائما تتمني: نفســـي اعيش لليوم اللي اشـــوفك فيه عريس واشيل ولادك.

سقطت بعض قطرات دمع علي وجنتاه .. وإذا بمونيكا تركض نحوه بعد ان شـــاهدت دموعه، وهل هذه ما يطلقون عليها دموع الفرح ومدت يديها لتمسح الدمع الساخن بكلتا يديها.

أشرف: ربما هي دموع الفرح او الحسرة او الذكري الأليمة.. انا فقط تذكرت أمي، كم كانت تتمني ان تراني في هذا العرس.. كانت

طيبة للغاية ولو قابلتك لغمرتـــك بالحنان والحب الدافئ الخالص والمتجرد من اي غرض.

ضمتـــه مونيكا الي صدرها مما ازداد من شـــجونه ووجع قلبه فسقطت ما تبقي من دمعات حبيسة من عيناه.

قدم لها أشرف خاتما ذهبيا محفورا بداخله اسميهما حيث دفع فيه كل ما لديه من مال.

انتقلا بعدها للعيش في شقة صغيرة منفصلة مكونة من حجرة واحدة ومطبخ وحمـــام، بعد ان كان كلاهما يســـكن في المدينة الجامعية في حجرة مشتركة، وقد شكل هذا عبئا ماليا علي أشرف حيث الايجار باهظ الثمن بعض الشئ، مما اضطره للبحث عن عمل اضافي فترة المســـاء، فصار يقضي فترة الصباح حتي العصر في الجامعة ثم في المساء يعمل في احدي المتاجر، فكان لا يتقابل مع زوجته مونيكا إلا في اخر الليل واحيانا يجدها نائمة عند عودته.

تحسنت حالة محمد الصاوي بعض الشئ.. وعاد ليمارس عمله رغم الضعـــف والهزال الذي بدا عليه بشـــكل ملحوظ.. صار قليل النوم، كل يومين او ثلاثة ينام بضع ســـاعات قليلة.. ازدادت حالته المزاجية والعصبية ســـوءاً، وللمرة الاولي يصفع حازم علي وجهه لصدور بعض الضجيج منه اثناء لعبه، ولم يكن هذا يحدث من قبل،

بل علي العكس كان دائما يراقب الصغير بسعادة وهو يلهو ويحدث ضجيجا عاليا.

وفـــي احدي المرات اثناء وقوفه بقاعـــة المحكمة مترافعا امام القاضي، شـــعر بالحرج نظرا لنســـيانه بعضا مما جاء في مذكرة الدعوة التي استند عليها اثناء مرافعته، كما انه نسي بعض المطالب التي كان مقررا ان يطلبها وهي من اساسيات الدفاع عن موكله وكان اولها طلبه بحضور بعض شـــهود النفي، ووجد صعوبة في تذكر بعض الاحداث والتواريخ الزمنية، تقدم نحو القاضي وطلب تأجيل القضية، اجابه القاضي بالســـؤال عن ماهية الاســـباب وراء طلب التأجيل.. فإذا به يرد علي القاضي بشـــكل عصبي وصوت مرتفع غير لائق « دون أســـباب..اطلب التأجيل وخلاص» ، رمقه القاضي بغضب ونهره بشدة امام الحاضرين واصدر له تحذيرا انه اذا تكرر هذا الامر ثانية فسوف يأمر بحبسه 24 ساعة لسوء السلوك.

إنهار محمد الصاوي جالســـا علي اقـــرب مقعد في القاعة غير مصدقاً لما بدر منه ويحدث له فهو دائما مشـــهود له بالادب الجم واللياقة فـــي الحوار ويتمتع بهيبة واحترام لدي اغلب القضاة، ماذا دهاه ، وهذا الصداع في وســـط رأسه الذي يلازمه منذ أيام حتي ان العقاقير والمسكنات لم تعد تجدي نفعاً..

اتخذ طريقه ببطء الي باب الخروج الرئيســـي للمحكمة.. نظر الي يمينه ويساره باحثا عن سيارته « اين سيارتي ؟؟ « حاول تذكر

مكان اصطفاف السيارة .. ســـار بين عشرات السيارات المصطفة وبعد جهد ووقت وجدها، فتح البـــاب بغضب وعصبية وهو يركل جانب السيارة بغضب.. موجها بعض السباب للسيارة « قديمة ولابد من تغييرك..»

أثناء القيادة كان كل تفكيره في ايجاد طريقة للتخلص من تلك السيارة اللعينة وشراء اخري جديدة وحديثة.. تذكر ارض دمنهور.. هل يبيعهـــا ؟ .. كم هي مدخراته في البنـــك الان ؟! .. وكم يتبقي علي سعر السيارة الجديدة، عشرات الأسئلة امتلأت بها رأسه الذي يعاني الصداع طوال الوقت، توقف أمام مكالة بيع السيارات الحديثة ليجد إجابة او بعض من إجابة علي تساؤلاته، وأول سؤال حول ثمن السيارة الحديثة ؟؟

ركض حازم بســـرعة الي حجرته ومن خلفه أكرم أخيه عندما ســـمعا صوت الباب يفتح مع عودة ابيه، شاهدت وفاء ما حدث .. حازم يبتعد عن ابيه ويتفادي لقاؤه، قد تبدل الحال ففي الســـابق كان فتح الباب وطلة محمد الصاوي هي سر وفرحة حازم.. ليركض بإتجاهه ويقفز ليلتقطه اباه بوابل من القبلات والاحضان، كنا أسرة بسيطة..سعيدة.. أين السعادة، هل هربت وفارقتنا بهذه السهولة، حبيب العمر، ابن الجيران.. أحلامي..ذكرياتي، شـــهر العسل في

خريف الاســـكندرية، لم يعد زوجي وحبيبي محمد الصاوي نفس الانسان..

صار عصبيا، عكر المزاج، دائم الوجوم .. يطيل النظر في الاشياء بلا حراك لاي ســـاكن، لم اعد افهمه كما كان في السابق كالكتاب المفتوح لي، كنت أقرأ ما يـــدور بقلبه وعقله دون ان ينطق بكلمة واحـــدة.. الان صار غريبا نعم..غريب الاطـــوار ام انني التي فقدت القدرة علي فهمه، هل فتر حبي له..لكن لما ؟ فحياتنا كما لم بتغير فيها شـــئ بل، علي العكس نحن دائما في نجاح وتقدم ونعم الله علينا تزداد يوما بعد يوم.

هو محام ناجح فـــي عمله، وأنا تمت ترقيتـــي لمنصب وكيل المدرســـة وعلاقاتي جيدة مع جميع الزملاء، رزقنا الله بحازم ومن بعده أكرم.. صارت لنا ارضا ملكنا في دمنهور تدر ربحا ســـنويا جيداً مما تحســـنت معه احوالنا المالية للغاية، فماذا ينقصنا إذاً.. ما بالي اشـــعر بالسعادة تتسرب من بيننا اما عيني وانا جامدة في مكاني بلا حراك عاجزة عن فعل اي شئ، حاولت فتح حوار والنقاش مع محمد الصاوي الزوج..الحبيـــب..الاب، لكنني لم أخرج من هذا الحديث بلا اي فائدة.. هو نفســـه لا يدري ما به وليس لديه اجابات محددة عن كل تســـاؤلاتي، ولم يعد لديه القدرة علي ازالة مخاوفي وإبدالها بالامان الذي طالما نعمت به معه حتي قبل الزواج بزمن.

محمد الصاوي، الســـند، الظهر، الامـــان، الحماية، لم يتبق من أهلي إلا القليل فصار هو الأهل والأصحاب والأحباب.. الزميل، الفيق والناصح الامين، .. لم يعد يملك أيا من تلك القدرات التي كانت تميزه عن غيره ولطالما مثلت الدفء في برد طوبة ونسمة الهواء المنعش في بداية قيظ أغسطس.

عرضت عليه الذهاب للطبيب وبعـــد إلحاح وافق، رافقته وبعد جلســـة مطولة مع الطبيب، قـــام بتحويله إلي إستشـــاري المخ والاعصاب، أســـناذ دكتور له شهرة واســـعة وعلم غزير.. ، ذهبنا إليه بعد تحديد موعد بصعوبة نظرا للازدحام الشـــديد في عيادته وبعد الحديث والاستماع لشكوي محمد الصاوي وبعض الشرح من ناحيتي وتوجيه العديد من الاسئلة عن تفاصيل الاعراض ، يبدو ان الطبيب قد كون فكرة مبدئية عن حالة زوجي لكنه لا يزال غير متأكد فهي لا تعدو شـــكوك وإحتمالات اليقين بها غير مؤكد، لذا وكعادة الاطباء طلب الاستعانة ببعض التحاليل وإجراء بعض الأشعة وأهمها أشعة مقطعية علي المخ.

غادر زوجي غاضبـــاً وانا بجانبه وصار يتمتـــم بكلمات غير مفهومة، بدا وضحا منها أنه غيـــر راضي عن الطبيب وغير مقتنع برأيه وقال: أشـــعة مقطعية ايه.. ومخ أيه.. انا سليم تماما.. الراجل ده اكيد بيخرف...انا قلت لك لا اريد زيارة اي طبيب، انا فقط مرهق

بعض الشـــئ.. ربما احتاج الي اجازة والابتعـــاد عن جو القضايا والنزاعات القانونية وحياة المحاكم هذه.

لم اقتنع برأيه رغم إبدائي الموافقة الظاهرية، اننا جميعا نحتاج الي تغيير الجو والاجازة.. الســـفر لاي مكان لبضعة ايام، عرضت عليه السفر للاسكندرية لتجديد الذكريات..أيام شهر العسل لكنه لم يعطني ردأ افهم منه موقفه تحديدا.. موافق ام..!!

و بالفعل وبعد إلحاح ســـافرنا نحن الاربعة الي الاســـكندرية، وفي الطريق تعطلت السيارة وحاول اصلاحها وبالاستعانة بورشة ميكانيكا استكملنا الطريق حتي وصلنا الي الاسكندرية، وكان هذا في فصل الصيف، ما هذا الازدحام في كل مكان.. لا.. ليســـت هذه الاسكندرية التي اعرفها، وصلنا الي الفندق بصعوبة، عرضت عليهم ان نخرج للتنزه علي الكورنيش والاستمتاع بمنظر البحر والجلوس علي السور، لكن هيهات ان تجد مكانا تجلس فيه او تستطيع حتي الســـير علي الكورنيش دون ان يحتك بك ويضرب كتفك العشرات دون حتـــي التوقف والاعتذار، لم يعد في اســـتطاعتنا رؤية البحر بوضوح نظرا لتواجد العديد من المقاهي والمطاعم التي شـــكلت حاجزاً بيننا وبين البحر.

إزدادت عصبية محمد الصاوي حيث بدا غاضبا وصب جم غضبه فوق رأســـي وموجهاً لي اللوم والعتاب « انت من اقترح الحضور

للاســـكندرية.. نحتاج بجانب تغيير الجو ان نسيطر علي الاعصاب المتوترة»

كان محقا هذه المرة في رأيه، فقد كان اختيار الاسكندرية وقت فصل الصيف ليس الافضل علي الاطلاق ويستحيل معه استعادة اي ذكريات من شهر العسل.. صمم علي حزم امتعتنا وان نعود ادراجنا الي القاهرة، كان الليل قد حل فطلبت منهم المبيت والانتظار حتي الصباح والسفر بالنهار لكنه رفض بشدة، ومع إلحاح حازم وأكرم بالبقاء لنزول البحر والســـباحة.. زادت حيرتي لكن عصبية محمد الصاوي كســـبت هذه الجولة وعدنا ثانية في الليل الي الســـيارة والطريق الصحراويمع مخاوفي من أي اعطال قد تحدث للســـيارة ونحن في جنح الليل.

لـــم ينطق زوجي بكلمة طوال الطريق إلا بجملة : « انا لازم اغير العربية دي.. لازم اشـــتري واحدة جديـــدة، وهنا ايضا كان محقا، فلم تعد الســـيارة بحالة جيدة ولم نعد نحـــن بمأمن عن اي مقلب يحدث لنا وسط داخل المدينة او خارجها، وعند دخول المنزل، طلب محمد الصاوي مننا ان ننام جميعاً بينما سيسهر هو لدراسة بعض القضايا والملفات حيث قرر قطع الاجازة التي بدأت بالامس.

ابتعد الحب شيئا فشيئا عن قلب أشـــرف وكذا مونيكا ليتحقق المثل القائل « البعيد عن العين، بعيد عن القلب» حيث الجامعة في

الصباح والعمل في المســـاء، هكذا كان روتين أشـــرف اليومي فلا يدرك المنزل اللا ليلا، متعبا منهكا لا يبحث ال عن السرير والنوم، ليبدأ في الصباح جولة جديدة.

كذا كان الحال مع مونيكا، الجامعة صباحا ثم التدريب العملي تحت قيادة مخرج إعلانات وفيديو كليب وأحيانا إخراج عرض أزياء أواي حـــدث اجتماعي، فهي تعلم جيدا انها بعد التخرج ســـتعمل كمســـاعد مخرج مباشرة الي ان تكتســـب الخبرات اللازمة بعدها تحتل المكانة الاولي لتصير مخرجة ومن ورائها مساعد مخرج اول ومساعد مخرج ثاني.

لكن وكما يقال لا تأتي الرياح بما تشتهي السفن.. إذ حدث ذات صباح وهي تســـير في طرقات الجامعة ان شعرت بإغماء ودوار، لم تتمالك نفســـها وسقطت علي الارض.. إستفاقت وهي ممدة علي ســـرير في مستشـــفي وإذا بالطبيب بعد الترحيب بها والاطمئنان عليها يخبرها انها ستكون أماً بغد ستة أشهر، فهي حامل في الشهر الثالث، ثم انهال عليها بالنصائح والتعليمات المعروفة لدي العامة.. مع روشتة دواء وفيتامينات للمساعدة في ثبات الحمل وتقويتها هي والجنين المنتظر.

مشـــاعر متضاربة تتباعت داخل عقل وقلب أشرف بين الفرح الشديد حيث سيصير أباً من حبيبته مونيكا، وفي ذات اللحظة بهتت ابتســـامته وحل مكانها شـــعور بالخوف والقلق من القادم، حمل

مونيكا يعني مزيدا من المصروفات وهـــو بالكاد يتحصل علي ما يكفيهم بعد ســـداد جميع الفواتير والالتزامات، ايضا الخوف علي الصغير القـــادم، وهل لديه الوقت الكافـــي للاعتناء به، لكنه تمتم بين ضلوعه قائلا: " ســـيبها علي ربنا، الحمد لله انها اخر سنة في الدراسة وبعدها يمكن العمل بالدكتوراه".

لاحظت وفاء اختلاف لغة الحوار بين حازم واخيه الصغير اكرم فصارا يتحدثان بعض الوقت بالعربيـــة واوقاتا اخري بالانجليزية وعندما يكون بينهما أســـراراً يريدان إخفاءها عن امهما او ابيهما فيتحدثان بالالمانية، حيث يدرســـان في مدرســـة المانية، أصابت وفاء تلك الملاحظة بالفرحة والفخر وأنها كانت علي صواب عندما دارت المناقشـــة مع زوجها محمد الصاوي عند موعد إلتحاق حازم بالمدرسة، هو اراد مدرسة لغات عادية، بينما صممت علي مدرسة المانية، ورغم انها تعمل مدرسة بإحدي مدارس اللغات وربما هذا هو السبب في ترشيح زوجها لمدرسة اللغات كي يكون الولدان حازم ومن بعده أكرم في نفس مدرستها وتحت ملاحظتها كي تتمكن من الاهتمام بهما، لكنها ولنفس الســـبب رفضت قائلة: « طوال عمري اكره جملة ابن الابلة او ابن الميس، فهي مفسدة للاولاد وشبهة للأم.

والان هي تحصد ثمار تصميمها علي دخولهما المدرسة الامانية، فهما الان يتحدثان بثلاث لغات ولم يبلغ الكبير بعد السادســـة من عمره.

إقترب موعد وضع مونيكا لطفلتها الاولي.. نعم انها طفلة.. بنت، فعند بلوغها الشهر الخامس من الحمل أخبرها الطبيب انها ستضع بنوتة.

والان هي في أيامها الاخيرة، انتظرت عودة أشـــرف من العمل ولم تخلد للنوم مبكرا كما اعتادت، ناولته ورقة بها بعض الطلبات للمولـــودة الجديدة.. لفافات وحفاضـــات وملابس صغيرة، بودرة اطفال ومستلزمات الرضاعة والاستحمام .. الخ.

بعدها ســـألته عما يدور في رأسه عن إسم البنت ثم أضافت: انا احب إسم « هيلدا» منذ طفولتي وانا احب هذا الاسم واريد ان اطلقه علي ابنتي « هيلدا».

نظر إليها أشـــرف بتعجب مشوبا بالاشمئزاز .. ما هذا ال هيلدا ..ماذا يعني هذا الاســـم.. لا..لا..اطردي هذه الافكار الشـــريرة من رأسك.. انا اعرف ماذا سأسميها، لقد اطلقت وعداً لامي قبل وفاتها ان اطلق إســـمها إذا رزقني الله ببنت، وها قـــد تحقق، رزقنا الله بالبنت.. سوف أسميها « أمينة».

لم تتحمل مونيكا ما سمعته وصارت تتحدث بلغة المانية سريعة والغضب يتطاير من عينيها..: لا .. لا لن يحدث ، انا لا احب هذا الاسم ولا افهمه.. نحن هنا في سويســـرا.. اوروبا.. كيف للناس من نطق اسمها وما موقفها عند الذهاب للمدرســـة، سيسخر منها الجميع، وستواجه صعوبات في جميع مراحل حياتها وربما لن تغفر لنا هذا العذاب عندما تكبر.

لا، ارجوك يا أشرف لا ترتكب هذا الخطأ، اما عن امك فمن الممكن ان ندعوا لها ونصلي من أجلها او نفعل اي عمل خيري بإسمها، لكن لا تدع ابنتي تدفع ثمن وعودك مع امك التي رحلت اصلا عن دنيانا، فهي لن تستفيد اي شئ من اطلاق اسمها علي طفلة تعيش بجينيف في سويســـرا تبدأ خطواتها الاولي باسم غير مألوف ولا يفقه كنيته احـــد، وفي كل مكان عليها ان تجيب علي ســـؤال واحد مكرر « ما معني هذا الاسم ؟ وكيفية نطقه ومن اي بلد هذا».

هل تعي حقا ما تقوله وتطلبه.. هي لن تســـامحنا وانا لن اغفر لـــك، انها اولي فرحتي.. ابنتي أنا.. انا من حمل بها بين أحشـــائي لشهور وانا ايضاً من عاني الويل والامرين للتعايش بها داخلي، وانا من سأعاني ألام الولادة ثم انا من سيقوم علي إرضاعها من صدري واعتني بخدمتها، أعتقد ان اقل شئ استحقه هو ان تعطيني حرية اختيار اســـم لها، ثم نزلت مونيكا علي ركبتيها امام اقدام أشرف والدموع والزفرات تهيط كالمطر الغاضـــب ليبتل وجهها وتتندي

ملابسها.. « أرجوك..أستعطفك، إثبت لي حبك، تذكر لقائتنا وكلامك لي.. تذكر زفافنا البسيط، تذكر حب اهلي لك والترحيب بك رغم انك غريبا عنهم..»

لم تحرك آلام ودموع مونيكا ســـاكنا فـــي خلايا وقلب ووجدان أشرف، فهو لا يري ولا يسمع الاصوت امه الراحلة « لو جاتلك بنت يا أشرف سميها علي اسمي .. امينة..»

حاولت مونيكا النهوض وهي تمسح وجهها وتزيل بعض الدمع الذي وجد طريقه لشفتاها وفمها.. وأثناء نهوضها لاحظت هبوط ما غزير علي اقدامها.. الجنين يطلب النزول، صرخت في أشرف الذي كان يهم ليفتح الباب خارجاً، عاد مســـرعا وحملها ثم هبط الدرج متجها بها الي المستشفي.

شـــعرت وفاء أثناء نومها ليلاً.. نظرت في المنبه علي الطاولة الجانبية، كانت الساعة تشـــير الي الثالثة فجراً.. تحسست جانبها علي السرسر في الحجرة المظلمة، كان الجانب الذي ينام فيه محمد الصاوي خاوياً، نهضت الي حجرة المعيشة لتجد زوجها جالسا ولا يفعل شئ اللا التحليق بعينيه في سقف الغرفة، نظرت الي أعلي .. علي ما ينظر، شـــعر محمد الصاوي بوجودها.. فتح ذراعيه، إشارة ان تأتي بين يديه، ارتمت وفاء بين أحضانه قائلة: " عارف بقالك اد ايه لم تحتضني.."

محمد الصاوي: « اعلم،منذ فترة طويلة، أعلم أيضا أنني مقصر معك بشـــدة ومع أولادنا.. أدرك جيداً انني تغيرت كثيراً وللاســـف للاسوأ، وانك تحملتي كثيراً، أشعر ان الاولاد يبتعدون عني، يخافون مني، او يتفادون الاجتماع بي او التواجد امامي، .. انا انهار يا وفاء ، الضعف قد دب في في جســـدي وعقلي، أرتكب أخطاءاً فادحة لا يرتكبها محامي تحت التمرين، أشياء هامة للغاية لا اتذكرها ويترتب غليها حياة او مستقبل انســـان برئ.. أحاول جاهداً، هل أنجح ؟.. متي يتحقق ذلك ؟.. ايضا لا ادري ، سامحيني يا حب عمري.. كوني بجانبي ولا تتركيني ولا تفكري بالابتعاد رغم انك تحملت الكثير..

غدا أنا ذاهب لمحكمة طنطا لحضور جلسة هامة للغاية، أخاف ان اخفـــق فيها، لكنني أحاول ان ادرس كل شـــئ متعلق بالقضية جيدا، وبعدها سأتوجه الي دمنهور لمقابلة المستأجرين وتحصيل بعض الاموال منهم لاضيفها علي مـــا ادخرته في الفترة الماضية، أبيع تلك الســـيارة القديمة ونشتري السيارة الجديدة الحديثة التي عاينتها في معرض السيارات منذ أيام قليلة»

طبعت وفاء قبلة علي خده.. « لا عليك انا علي اســـتعداد لتحمل كل شـــئ الي آخر يوم في عمري، كل ما ارجوه هو ان تعود لسابق عهدك، ليس لنفســـي فقط ولكن لأجلك انت والاولاد، نعود الاســـرة السعيدة البسيطة، .. لي طلب عندك، ارجوك لا تسافر الي طنطا غدا بالسيارة، أخشي عليك من الارهاق وأيضا لا أضمن سلامة السيارة،

من الافضل ان تســـتقل القطار الي طنطـــا ومن هناك الي دمنهور وبعدها العودة بالقطار ايضا الي القاهرة».

أحضرت الممرضـــة بعض العقاقير الي مونيكا وهي ممدة علي فراش المستشـــفي في حالة إعياء وأرهاق.. بعدها دخلت ممرضة أخـــري حاملة لفافة باللون الزهري.. الوردي الفاتح.. ويخرج منها يد صغيـــرة بأصابع رقيقة تتحرك ببطء مـــع صدور صوت ناعم رقيق.. إنها المولودة الجديدة.. إبنتك

ناولتها إلي مونيكا قائلة: « إنها تشبهك كثيراً .. مبروك»

دبت الوح والنشاط بجسد مونيكا المنهك ، إلتقفتها بلهفة شديدة.. ضمتها الي صدرها قبل ان تنظر إليها، أطالت النظر لوجهها البرئ، بيضاء بوجنات وردية، انف وفم صغيران، عينان مغمضتان تخفيان لون العين حتي الان.. ناعمة الملمـــس كالقطيفة، أمطرتها مونيكا بشلال من القبلات والاحضان وهي تضحك وتدمع في نفس الوقت.. نهض أشرف واقترب من الطفلة وحملها بين يديه وطبع قبلة علي جبينها قائلا: « أمينة..جدتك كان نفسها تشوفك..!!!»

عاد الخوف الي قلب مونيكا ثانية عند سماع هذا الاسم « أمينة».

ارجوك يا أشـــرف لا تعيدنا الي نقطة الصفر وتلك المناقشـــة اللعينـــة.. إمنحني هذه الفرصة وأنا اكن لـــك زوجة وخادمة طيلة حياتي.. دعنا نسميها « هيلدا».. ارجوك.. استعطفك.

دخلت موظفة الادارة حاملة بعض الاوراق وطلبت إستيفاء بعض البيانات واهمها اسم المولودة لاستخراج شهادة الميلاد.

انزعجت مونيكا وبدا عليها الضعف وهي تطلب من الموظفة ان تمهلها بعض الوقت للاستقرار علي الاسم.

اجابت الموظفة: « حســـناً، انا اتفهم ذلـــك.. عموما أرجو من حضرتك « أشـــرف» ان تحضر إلي مكتبي بالطابق الارضي لإتمام البيانات وطبعا اسم المولودة»

انصرفت الموظفـــة وضمت مونيكا الطفلة الي صدرها وتمتمت هامسة « انتي ابنتي، جزء مني، جسدي..دمي..عقلي..قلبي.. لابد ان يكون اسمك يروق لي ولا انفر منه..

قاطعها أشرف قائلا: « اســـم أمينة ليس منفرا، انه من الاسماء الجميلة في مصر، ويكفي انه اسم امي»

مونيكا: « نحن لسنا في مصر.. وامك قد رحلت عن عالمنا.. نحن الان باقون ويحق لي ولك فقط اختيار الاسم.. ارجوك للمرة الالف..!»

نظر إليها أشرف بإســـتخفاف وافسح لقدميه طريقا نحو باب الغرفة وخرج متوجها الي الطابق الارضي حيث مكتب الادارة ونفس الموظفة التي كانت في الحجرة سابقا ، التي سألته ما اسم المولودة؟

سكت للحظات ثم أجابها « أمينة .. أمينة أشرف سعيد».

وصل محمد الصاوي الي قاعة المحكمة الابتدائية في طنطا وهو متعب وفي غاية الارهاق حيث انه لم يخلد للنوم منذ ايام، ومما زاد

من ارهاقه الطريق الي طنطا، حيث استقل سيارة اجرة في الصباح الباكر الي محطة رمســـيس للقطارات ثم انتظر حوالي ساعة حين وصول القطار ثم سيارة اجرة مرة اخري من محطة قطار طنطا الي مبني المحكمة.. والان قد نسي كل ما كان قرأه ودرسه عن القضية، ضغط بكلتا يديه علي رأسه محاولا تذكر بعض الاسانيد الهامة التي سوف يستند اليها في تقديم الدفوع امام القاضي..

عندما حان دوره، لم يســـتطع الكلام كما هو معتاداً.. طلب من القاضي تأجيل القضية نظرا لشـــعوره بالتعب.. نظر الي القاضي ولاحظ بالفعل شحوب وجهه والتعب ظاهر عليه.. اشفق عليه ووافق علي تأجيل القضية للشـــهر القادم، تنفس محمد الصاوي الصعداء وشعر ان حملاً ثقيلاً قد ازيل من فوق اكتافه.. وابتسم لأول مرة منذ فترة طويلة.

توجه الـــي الكافيتيريا وطلب فنجانا مـــن القهوة، بعدها اتخذ طريقه الي دمنهور ليقـــوم بتحصيل ايراد الارض، وربما في اليوم التالي يستطيع شراء السيارة الجديدة بعد ان اتفق مع ادارة معرض السيارات علي استبدال سيارته القديمة بالجديدة مع دفع الفارق.

لم يدرك أشـــرف بفعلته هذه وتجاهله لكل توســـلات زوجته مونيكا، ان المرأة كما تحب جداً وبإخلاص، تستطيع ايضا ان تكره وبإخلاص.

انهارت مونيكا بعد علمها بإتمام الاجراءات وصدور شـــهادة ميلاد الصغيرة بإســـم « أمينة» .. تحـــول كل ما في قلبها من حب لاشرف الي الغضب والنقمة.. وهل يحدث فعلاً ان تتحول المرأة من الحب الي الكره في ثواني ؟ .. عندما تشعر بالإهانة وعدم التقدير، عندما تعيش حالة من الاســـتخفاف بقلبها ومشـــاعرها لتصل الي احتقـــار طلباتها والتقليل من رغباتها، لقـــد هرب الحب من قلبها وحل محله اللعنة والحقد والغضب علي أشـــرف وأمه رغم انها في عالم اخر.. عالم الاموات، لكن مونيكا تكرهها.. هي الســـبب، دمرت حياتها وهي ليست علي قيد الحياة، فما بالك لو كانت تحيا بينهما، لكـــن الصغيرة الرقيقة مل ذنبها، .. ما ذنـــب أمييييينة ، حاولت ان تنطق اســـمها لكن لسانها لم يطاوعها، ثانية وثالثة وعاشرة تنهمر دموعها فهي الان من الضعف والهوان لا حول لها ولا قوة.. لا تملك الا الدموع، هنا دخل عليها الطبيب الذي انزعج بشـــدة عند رؤيته لدموعها وهي تحمل المولودة وقال: " لماذا ؟ .. لما كل تلك الدموع، البكاء والحزن هو اول طريق للاكتئاب وهذا غير جيد لك وللمولودة الجميلة هذه، ما الامر.. ماذا حدث ؟ "

لم تســـتطع مونيكا ان تقص علي الطبيب مـــا حدث في الايام السابقة بخصوص اســـم المولودة، لكنها توجهت اليه بسؤال « هل يعتبر صحيحا من ناحية التربيه السليمة ان انادي ابنتي بإسم غير الذي في شهادة الميلاد والاوراق الرسمية ؟»

الطبيب: « تقصدين إســـم دلع، نعم هذا محبب ان ندلل الاطفال باسماء الدلع»

مونيكا: « لا، انا اقصد اسم مختلف تماما عن الاسم الاصلي وليس مشتقا منه»

الطبيب: « لا افهم تحديداً قصدك، هل ممكن ان تعطيني مثالاً»

مونيكا: «اسم ابنتي في الاوراق الرســـمية» أمينة» وانا اريد ان اناديها بإسم «هيلدا» ..

الطبيب: « اعتقد هذا خطأ جسيم، سوف يحدث نوعا من التذبذب لدي البنت، انا لا اتفق معك، لابد ان تظلي علي اسمها الاصلي»

انصرف الطبيب تاركة مونيكا غارقة في حيرتها وحزنها، أخرجت ثديها وألقمته لأمينة كـــي ترضعها وهي تهدهدها برفق وتغني لها بالالمانية.. عندها فتحت أمينة عيناها وانتشر نور بالمكان وظهرت العينان الزرقاوان، نفس لون عيني مونيكا.

إســـتطاع محمد الصاوي تحصيل مبلغ لا بأس به بعد مناقشات ومداولات مع المســـتأجرين ثم اتخذ طريقه عائدا الي محطة قطار دمنهور ليستقل القطار عائدا الي القاهرة، في القطار جلس بجوار شاب ريفي واحتضن حقيبته بكلتا يديه.. طلب من الشاب ان يوقظه عند وصول القطار الي القاهرة، ثم اسند رأسه علي الحقيبة محاولا النوم.

دق جرس الهاتف، رفعت وفاء السماعة لتسمع علي الطرف الاخر من يخبرها بوفاة زوجها محمد الصـــاوي المحامي داخل القطار المتجه من دمنهور الي القاهرة.. مات محمد الصاوي، سقطت علي الارض مغشياً عليها.

في حفل بســـيط أقيم بالجامعة علي شرف حصول أشرف علي درجة الدكتوراه بحضـــور بعض زملائه، وكان أشـــرف قد وجه الدعوة لزوجته مونيكا بالحضور مع أمينة الصغيرة، لكن مر الوقت وانقضي الحفل، وعند عودته للمنزل سأل مونيكا عن سبب تغيبها عن الحفل، والتي بدورها اجابته انها لم تكن بحالة جيدة للحضور، لم يكن هذا هو الســـبب الحقيقي، والذي لا يعلمه أشرف ان مونيكا صارت بالفعل تبغضه وتكرهه.

وفي اليوم التالي، يـــوم الاحد.. اصطحبت مونيكا صغيرتها الي الكنيسة كي تحضر قداس الاحد وهناك تقابل معها كاهن الكنيسة واقام الصلوات لمباركة المولـــودة الجديدة « أمينة» ثم حدد موعداً لها لتعميدها.

في ذلك الوقت كان أشـــرف منهمكاً بمراسلة بعض الجامعات للحصول علي وظيفة أســـتاذ جامعي، بعد حصوله علي الدكتوراه

والتي شعر معها بسعادة وفخر لا يوصفان وعلي العكس تماما فلم يكن لحصوله علي الدكتوراه اي وقع يذكر لدي زوجته مونيكا.

تمت مراسم دفن محمد الصاوي، ولا زالت وفاء في حالة ذهول مـــن وفاة الحبيب..ابن الجيران.. الـــزوج.. فتي أحلامها منذ عرف قلبها الحب.

تقدم إليها أمين شـــرطة واعطاها متعلقات زوجها كما وجدوها معه في القطار وهو ميت، محفظـــة خاوية من اي نقود إلا بعض الاوراق وبطاقة هوية، وحقيبة يد ماركة سامســـونايت بها ملفات واوراق،

ســـألتهم وفاء عن النقود التي بالحقيبة، فقد تحدث معها محمد الصاوي هاتفيا مـــن هاتف عمومي بمحطة قطار دمنهور وأخبرها انه قد حصل نقود من مســـتأجري الارض، آه..تمت ســـرقة النقود وكذلك سرقة النقود الشخصية من محفظته، وكأن المصائب تأتي مجتمعة.

أطالت وفاء وقوفهـــا امام قطعة الرخام البيضاء، محفورا عليها إســـم زوجها وحبيبها محمد الصاوي ملقبا بالمرحوم، وكأن القدر أخذ مني زوجي وأعطاني بدلا منـــه قطعة رخام، جامدة، صامتة، باردة... أحقا صار محمد الصاوي مرحوما..راحلا، وأنا.. أنا صرت أرملة وأولادي حازم وأكرم .. أيتام، ثم انفجرت في البكاء.

أنهت وفاء إجراءات المعاش من نقابة الاطباء، وهو بالكاد يكفي لأيام قليلة وليس شـــهرا كاملا بالاضافة الي راتبها ما زالت أموالا ضئيلة مقارنـــة بمصروفاتهم وتحديدا المدرســـة الالمانية لحازم وأكرم، تواصلت مع الحاج/ رســـلان أكبر المســـتأجرين سناً وقد حضر للقاهرة لمقابلتها وأخبرها ان احوال الزراعة ليســـت علي ما يرام فلا تتوقع تحصيل اي مبالغ هذا العام بعد المبلغ الذي حصله المرحوم يوم وفاته وتمت سرقته.

واستمر الحاج/ رســـلان في الاسهاب والشرح لوفاء عن معاناة المزارعين، التقـــاوي غير متوفرة وباهظة الثمن.. أيضا الســـماد والكيماوي يصلهم بالكاد من الســـوق السوداء وبأعلي الاسعار وان الجمعية الزراعية لا تقدم لهم شـــيئا يذكر، وعند جمع المحصول يكون نصفـــه او اكثر تالفا هذا غير تكاليـــف النقل والعمال لذا لا تتوقع اي مبالغ تدفع لها فالفلاح والمزارع يكفي بالكاد قوت يومه وأسرته.

إزداد خوف وفاء والقلق علي المســـتقبل القريب قبل البعيد « يا ربي..ماذا يحدث لي، اسرتي الجميلة وزوجي.. بعد السعادة والرغد والهناء، مات الحبيب تركنـــي اواجه كل الازمات وحدي، القليل من المال شـــهريا، لقد صرت ارملة، ماذا عســـاي ان افعل وكيف ادبر امري، مطلوب الكثير من المال لسداد النفقات المتعددة.

عاد إليها الحاج/ رسلان في اليوم التالي، استبشرت وفاء خيراً بقدومه وظنت انه اســـتطاع ان يجمع لها بعض المال بعد ان لمس سوء احوالها المالية، وان اموال المرحوم قد سرقت بعد وفاته.

وإذا به بعد ان بدأ حديثه ببعض الآيات والسلام علي النبي محمد صلي الله عليه وســـلم، يعرض عليها شـــراء الارض ! ، فهي ليست بحاجة إليهـــا ولا قبل لها برعايتها والتعامل مع المزارعين، مجهود شـــاق عليها بجانب عملها وتربية الاولاد، ثم عرض عليها رقم يقل بكثير مما توقعته، فهي تعرف قيمة الارض الســـوقية وكم تساوي تقريبا ولكن ما عرضه الحاج/ رسلان هو بعينه بخس الاشياء والتي حرم الله في كتابه العزيز.

صارت تحدث نفسها وتتمتم « حتي انت يا حاج/ رسلان.. انت فعلا حاج ولا ده بس لقب علشان كبر سنك فهذه مصيبة، ولو كنت قد حججت بيت الله فعلا فهي مصيبة اكبر، تعود الي ثانية لإستغلال الظروف وتريد شراء الارض بأبخس الأثمان بعد وفاة صاحبها، ما كنت تجرؤ علي تقديم مثل هذا العرض الي محمد الصاوي وه علي قيد الحياة، كنت ستسمع وتري ما لا يسرك، إنها معادن الرجال او أنصاف الرجال تظهر وقت الازمات، هل أنا ضعيفة في نظرهم الي هذا الحد، أيظنني هذه الحاج انني بلهاء».

نهضت وانصرفت من أمامه قبل ان تسمعه ما لا يرضي.

تعددت زيارات مونيكا الي الكنيســـة بصحبة أمينة، وفي صباح احد الايام، استيقظ أشـــرف ولم يجد مونيكا او أمينة، انتظر لعدة ساعات حتي عادا..

أشرف: « أين كنت والصغيرة أمينة ..؟!»

مونيكا: « في الكنيسة، اتقرب الي الله واقيم الصلاة»

أشـــرف: « أنا ســـمحت لك عند زواجنا ان تذهبي الي الكنيسة ولم اتدخل فـــي هذا الامر، لكن فيما يتعلق بإبنتي أمينة، فلا .. لا يا مونيكا»

مونيكا: « لم لا ؟.. انها ابنتي كما هي ابنتك وبالقانون السويسري فانا اهم منك.. انا الام.. ولـــي حق تربيتها ورعايتها بالطريقة التي اراها، هذا وكيف لي الذهاب الي الكنيســـة بدونها، أاتركها بالمنزل وحدها !!!! ، كما انها مازالت رضيعة ولا تفقه اي شئ عن ما يدور بالكنيسة ".

وقد كانت هذه المرة الاولي التي تتحلي فيها مونيكا بالشـــجاعة وتتحدث مع زوجها أشرف بقوة وشجاعة ولمحة من تهديد..

أشـــرف: « ماذا يعني هذا ؟ أمينة مسلمة وستظل مسلمة، الابنة علي دين ابيها، انا مسلم ولابد ان تصير هي ايضا مسلمة»

مونيكا: « هذا المنطق يسري في بلادكم، لكننا هنا في سويسرا وليس مصـــر، ابنتي تتبعني، انا خلاص قمت بتعميدها الاســـبوع الماضي بالكنيسة، فهي الان صارت مســـجلة بالكنيسة، وديانتها

المسيحية الكاثوليكية، شئت ام ابيت، ويمكنك ان تسأل بنفسك في هذه الامور القانونية»

انتهي النقاش بينهما، غادر بعدها أشرف البيت غاضبا وعشرات الاسئلة تدور في رأسه، تراني قد أخطأت بالزواج من غير المصرية وغير المسلمة، هل تغيرت مونيكا وصارت لا تحبني، أستشف لهجة تهديـــد بكلامها لم اعهدها منها من قبل، هل ســـتصبح أمينة فعلا كاثوليكية مسيحية !!

لابد أن تتبعني.. تتبع ديني ومعتقداتي مثلما يحدث مع كل أسرة، لماذا أنا، لا..لا..لن اسكت ولن أقبل، ولن انتظر حتي فوات الوان.

قامت وفاء بســـحب ملفات حازم وأكرم من المدرسة الالمانية وقدمتها الي احدي المدارس الحكوميـــة المجانية، فبعد محاولات مضنية في ميزانية الاســـرة اكتشـــفت انها لن تســـتطيع سداد مصروفات المدرســـة الالمانية الباهظة .ولا حتي مدرســـة اللغات التي تعمل بها كوكيلة للمدرســـة فلم يتبقي امامها الا خيار واحد، المدرسة الحكومية بالمجان، وأمام حزن الولدان لتركهما المدرسة والبعد عن اصحابهما، حاولت وفاء التماســـك وشرح المستجدات وظروف حياتهم الجديدة، فلابد وان يتحملوا المســـؤلية جميعا، لن تكون لديهم شـــغالة، فالجميع يجب ان يســـاهم في مهام المنزل، والخروج والفسح ستكون مرة واحدة في الشهر، والملبس الجديد

ايضا ســـيكون قليلا ليس كما كان ذي قبـــل، علينا ان ننتظر حتي تنتهي عقود المســـتأجرين بعد عامين وعدم تجديد عقودهم، وفي هـــذه الحالة يمكن ابرام عقود جديدة مع مســـتأجرين جدد بقيمة إيجارية أعلي بكثير او ببيع الارض والاســـتفادة بثمنها والحصول علي ارباح بنكية.

قام أشـــرف بإستخراج جواز جواز ســـفر لأمينة دون علم امها مونيكا بعد ان تلقي ردا من احدي الجامعات في دولة عربية بعرض للعمل كأستاذ جامعي في احدي الجامعات المرموقة.

بينما استمرت مونيكا في التردد علي الكنيسة ليس في ايام الاحد وحسب، بل اكثر من يوم وسط الاسبوع، هل فعلا لمصلحة أمينة أم انه نوع من التحدي لزوجها أشرف، ام انها محاولة لإثبات مكانتها والاســـتفادة من القانون الذي خول لها أحقيـــة الحضانة وتحديد انتماء الابناء والبنات وان ابنتها لابد وان تتبعها، فقدت عقدت العزم علي التقدم بطلب لتغيير اسم ابنتها من « أمينة» الي « هيلدا»، لكن القدر لم يمهلها كثيرا.

ففي صباح اليوم التالي لم تجد أمينة في فراشـــها الصغير، ولم تجد زوجها أشرف، وجدت رسالة منه « ذهبت للتنزه قليلا مع أمينة في الحديقة المطلة علي بحيرة لوسيرن».

ولم تكن تلك الحقيقة، بل في هذا التوقيت كان كلا من أشـــرف وأمينـــة في إنتظار دخول الطائرة المتجهة من جينيف الي القاهرة !!!

مـــر الوقت بطيئا بطء الدهر علي مونيـــكا، حتي انتصف نهار ذلك اليوم، توجهت الي المطبخ لإعداد طعام الغداء لها ولأشـــرف والقيام بتنظيف وتعقيم أدوات الصغيرة أمينة وترتيب بعض الامور المنزلية، لم تشـــعر بالوقت وهي تنظر عبـــر النافذة المطلة علي الشـــارع الامامي، وبين الحين والحين تنظر الي ساعة يدها، حتي اقترب وقت الغروب، انتابها قلق شـــديد فقامت علي الفور وارتدت ملابســـها وتوجهت الي الحديقة المطلة علي بحيرة لوســـيرن كما اخبرها أشرف في رســـالته القصيرة، قطعت الطريق ركضا وهي تلهث بشدة وضربات قلبها تتسارع وتدير رأسها في كل اتجاه لعله تجدهما اثناء عودتهما للمنزل.

فتشـــت كل شبر بالحديقة، بدأت تســـأل عمال النظافة ورجال الامـــن بالحديقة، جاءتها الاجابة واحـــدة « لم نراهما ومن الصعب علينا ملاحظة كل زائر»

بدموع تنهمر بشـــدة علي وجهها، ركضت ثانيـــة في التجاه المعاكـــس عائدة الي الي المنزل علهما عـــادا وهي لم تلحظ، لكن هيهات فالمنزل خاويا كما تركته فلا اثر لحياة فيه.

« إبنتي، اريد إبنتي»هكذا بدأت تتمتم، ثم علا صوتها الذي تحول الي صراخ، وقفت امام الباب الخارجي للمنزل وهي في حالة هياج وصراخ شـــديد، لمحها احد المارة، وبعد ان فهم ما حدث بصعوبة بالغة، اقترح عليها الذهاب الي الشرطة فضياع الوقت هنا لن يجدي نفعاً.

اســـتمع رجل الشـــرطة الجالس خلف مكتبه بعد ان حاول من تهدئة روعها واحضر لها كوبا من الماء، استأذن منها لدقائق للتأكد ان كان هناك اي بلاغ بخصوص زوجها او ابنتها او ربما متواجدان بأي مستشفي.

عاد وخيبة الامل امامه، تقود الي مزيد من الانهيار لمونيكا التي لم تتوقف عن ترديد نفس الجملة « ابنتي..اريد ابنتي»

لاحظ الشرطي انها لم تذكر اســـم زوجها أشرف او تبدي قلقا عليه، كل خوفها مركز علي الطفلة فقط، قام بالاتصال بمكتب أمن الحديقة حيث تواجدا أشرف وأمينة وطلب منهما مراجعة كاميرات المراقبة المثبتة علي كل المداخل ومراجعة اليوم كاملا من الصباح وحتي الغروب، وانه قادم في الطريق اليهم.

توجه بسيارة الشرطة وبصحبته شرطية من الشرطة النسائية وفي الخلف تجلس مونيكا وهي ترتعش، وبعد مراجعة الكاميرات، لم يتبين دخول او تواجد أشرف حسب المواصفات التي املتها مونيكا عليهم، عادوا الي مركز الشرطة وخلال الطريق بدأت الشرطية في

الحديث مع مونيكا محاولة معرفة بعضا عن علاقتها بزوجها والتي فهمت منها انهما لم يكونا علي وفاق والخلافات بينهما كانت تزداد يوما بعد يوم، واثناء الحديث استأذنهم بعد وصولهم مركز الشرطة ليعود بعد دقائق وفي يده ورقة مطبوع عليها شعار شركة سويس اير، والقي عليهما بالمفاجأة: « للاسف يا سيدة مونيكا، اسم كلا من زوجك أشرف سعيد وابنتك أمينة أشرف سعيد مسجلين علي قوائم المسافرين علي متن طائرة سويس اير التي غادرت في الثانية عشر ظهر اليوم، متوجهة الـــي القاهرة عاصمة جمهورية مصر العربية وان الطائرة وصلت بالفعل منذ ثلاث ساعات تقريبه..

لم تتمالك مونيكا نفسها وهي تطلق صرخات المذبوح .. لا .. لا .. لا ، واستمرت بالصراخ لدقائق الي ان سقطت علي الارض..

تفتح وفاء صندوقا خشـــبيا مصنوع من الارابيســـك مرصعا بالصداف، نقلت جميغ محتوياته من مشغولات من الذهب والفضة والذهب الابيض علي الفراش بجوارها حيث تجلس وهي ممســـكة بورقة وقلم، تحاول حصـــر ما تملكه من حلي ومجوهرات تجمعت لديها عبر سنوات عمرها، منذ الطفولة الي اخر قطعة اشتراها إياها زوجها الراحل وحبيبها محمد الصاوي في آخر عيد زواج لهما.

لاحقتها الذكريات.. أمســـكت بقرط صغير للغاية، يااه انه أول حلق ذهبي وضع في أذني بعد ولادتي بفترة قصيرة بعد عمل ثقب

في اذني، فتشت بيدها وامســـكت بقطعة ذهبية يبدو عليها القدم الشـــديد، إنها من ورث أمي « أمينة» رحمة الله عليها حيث اوصت قبل وفاتها ان تؤول جميع مجوهراتها واغراضها الشخصية لي انا .. ابنتها.. رغم الخلافات التي حدثت بيننا، حيث كانت تعارض زواجي مـــن محمد الصاوي فهي لا تؤيد الزواج من ابناء الجيران ودائما ما كانـــت تقول انه اذا حدث خلاف بينكما قســـينتقل الي خلاف بين الجيران، ومع هذا اوصت لي بـــكل صيغتها، الله يرحمك يا امي..، لمحت عيناها داخل الصندوق جنيهاً ذهبياً، قد اهداه لها اباها عند تخرجها من الجامعة، وها هي شـــبكتها، واول سلسلة اشتراها لها محمد الصاوي ابن الجيران في مرحلة الدراسة الثانوية، ...شردت بخيالها مع ذكريـــات واحداث، الكثير منها جميل وقليلها يتســـم بالحزن وبعض الخجل، اول مرة تسير في الشارع الي جوار محمد الصاوي الحبيب ابن الجيران وهي في السادسة عشرة من عمرها.. حينها بدأت يده تلامس يدها واصابعه تلاحق اصابعها..

تتذكر جيدا كم كانت حرارة وجهها في تلك اللحظة، ربما تخطت درجة الغليان، .. يـــا إلهي.. هذا القلم، أول قلـــم اهداه لي محمد الصاوي للكتابة به في امتحانات آخر الســـنة فقط، أتذكر كلماته جيداً حينما قال: « اكتبي به..حايجيبلك الحظ وتنجحي في المتحان بتفوق»

خطت به علي الورقة التي في يدها.. إنه يعمل، لا زال يكتب رغم كل هذه السنوات التي مرت علينا بأفراحها وأحزانها ولا يزال القلم صامدا في وجه الزمان وكأنه يخط تفاصيل حياتنا وهو قابع داخل العلبة الصدفية..!.. أصاب وفاء الارتباك..و اســـتيقظت من سبات ذكرياتها، عند سماع جرس الباب، نهضت مسرعة نحو الباب وهي تتسائل، يا تري مين ؟؟!

إنه أشرف..» أخي أشـــرف، يا لها من مفاجأة، ومين القمر اللي علي ايدك دي.. تعالي ادخل»

أشـــرف: « دي أمينة ابنتي التي اخبرتك عنها يوم ولادتها ، في خطابي الاخير»

وفاء: « نعم نعم .. وحشتني كتير يا أشرف» والدموع تنهمر من عينيها « أخيرا شوفتك.. صار لي اهل وعيلة، انت جيت في وقتك يا أشرف، محتاجة وجودك جنبي للغاية، أين زوجتك السويسرية ؟؟ ام أمينة ، وأين الحقائب، لا اري معك إلا حقيبة اليد هذه، آه ربما في الفندق، يمكن زوجتك هناك..هيا نذهب إليها او أحضرها هنا، ودع معي هذه العصفورة الصغيرة أمينة، حسنا فعلت انك سميتها علي اسم امنا..كما اوصت هي»

كل هذا وأشـــرف صامت واضعا رأسه بين كفيه محدقا ببصره الي الارض، واخيرا تكلـــم : « أنا..أنا..أنا هربت يا وفاء، وتركت كل

شـــئ حتي الملابس لم اســـتطع الخروج بها.. فقط أمينة وبعض الغراض الخفيفة وأوراقي الهامة»

وفاء: « ماذا ؟.. هربت !!!.. لما ؟؟.. إيه اللي حصل..»

وقص عليها أشـــرف كل ما حدث له منذ وصوله لسويسرا حتي عودته او هربه الي القاهرة..

وفاء..بكل حزن وألم فوق أحزانها وآلامها.. : « لا .. لا يأشرف، انا لا اوافقك فيما فعلت.. أسوأ شئ في الوجود كسر قهر أم.. كسر قلب الام وإبعادها عن بنتها، هذا جرم كبير، ســـوف تعيش بهذا الذنب طيلة حياتك وهي لن تسامحك، وهذه المسكينة الصغيرة تمر عليها الايام والسنين بلا أم، صرت قاسي القلب..لم تكن هكذا..لقد تغيرت كثيرا، ازلت شاربك وارتديت ملابس غير التي اعتدنا عليك بها، ولكن كل هذا لا يهم، المهـــم أخلاقك..مبادئك..الاصول..الحلال والحرام.. الصواب والخطأ.

ستعيش كالهارب المطارد، لا تظن ان زوجتك.. أم أمينة، ستقبل بإبعاد إبنتها عنها.. لا تقهر قلب أم يا أشرف»

،هض أشـــرف واقفاً: " أعلم..سأكون هاربا، لكن هذا أفضل من أن افقد هوية ابنتي ودينها.. ولهذا الســـبب لم أقيم في فندق كي لا يتتبعني أحد ولجأت إليك، فهي لا تعرف عنوانك، هي تســـمع عنك فقط من حديثي عنك، انت اختي الوحيدة يا وفاء، انا عامل حســـاب كل شئ ودبرت امري بعناية، ســـأقيم انا وأمينة عندك الليلة فقط

وغدا سأستقل الطائرة من مطار الاسكندرية الي دولة عربية حيث سأستقر وأبدأ عملي في مطلع الاسبوع المقبل ”

تطاير الغضـــب من عيني وفاء: « وماذا عـــن إبنتك هذه.. إنها مازالت رضيعة، من يرعاها.. لا تقل لي انك ســـتتركها عندي، أنا لا أستطيع، موت محمد الصاوي كســـرني وشعرت أن عمري قد زاد عشـــرين عاما والمسؤليات والهموم تتراكم فوق ظهري، وظهري لا يقوي علي حمل كل تلك الاعباء، فقد كان محمد الصاوي يحمل كل هذا عني، لم ادرك قيمته واهميته الا بعد رحيله، ظننت انك يا أشرف قد عدت لتكن بجانب أختك الارملة المكلومة بموت زوجها وترعاني انا وأولادي اليتامي، آخر ما توقعته هو ان تعود الي هاربا، محطما قلب أم، لتختبئ في بيتي ليلة وتفر هاربا لدولة أخري وتضع هموما وكـــوارث فوق همومي.. تغيرت كثيرا يا أشـــرف، صرت بلا قلب.. أوروبا أخذت قلبك الطيب، ووضعت مكانه حجراً ثقيلا..»

أشرف: « أوروبا منحتني الدكتوراه.. لقد حصلت علي الدكتوراه وسأعمل أستاذ جامعي بجامعة مرموقة»

وفاء: « دكتوراه لدكتور بلا قلب، بلا ضمير، يكسر قلب زوجته أم إبنتـــه، ويمنح لقب يتيمة لطفلة رضيعـــة رغم ان امها علي قيد الحياة.. ثم أخيرا يزيد مشـــكلات اخته الحزينة الضعيفة، كنت في أشد الحاجة إليك.. لا .. ليس لك انت، لأشرف أخي الطيب، أما أنت لا أعرفك..انت ظالم..ظلمت زوجتك وإبنتك وأختك والان تظلم نفسك..»

أشرف: « لا تخافي، لم أنتوي ان اترك أمينة عندك.. ستكون معي غدا وهناك سأجد مربية أطفال تعتني بها طوال الوقت»

وفاء: « هه.. مربية أطفال.. إنســـانة غريبة لا تعرف أخلاقها ولا نظافتهـــا ولا لغتها..تترك ابنتك الوحيدة الحاملة لاســـم امك، لدي إتسانة غريبة، تنتظر منها الحب والحنان مقابل راتب شهري، وامها من حملت بها ووضعتها.. تحرم منهـــا.. !! ماذا تحمل في صدرك ؟؟ أقلب !! ، ام انه صدر أجوف بلا قلب.. بل ملئ بهواء عفن.. واين عقلك وأخلاقك، بل بالاحري اين دينك ؟؟ .. تخشـــي علي أمينة من التعميد والذهاب إلي الكنيســـة وانت في نفس الوقت تخالف أبسط تعاليم دينك الذي تقاتل وتهرب كـــي تدين به إبنتك، هناك آيه في القرآن نعرفها جميعاً ونسمعها إسبوعيا في كل صلاة جمعة.. وانت نفسك اكيد ترددها، لكن من يعمل بها ؟؟!...

" بســـم الله الرحمن الرحيم : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربي، وينهي عن الفحشـــاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون» سورة النحل

إن الاســـلام برئ من أفعالك وانا حزينـــة.. حزينة جدا لاجلك، فلطالما حدثت أولادي عنك لدرجة انهمـــا اتخذاك مثلاً أعلي لهما، ماذا أقول لهما الآن، هل اترك تلك الصورة الرائعة عنك في ذهنهما، صورة الشـــاب الباحث عن العلم والمكافح الـــي ان يحصل علي الدكتوره من جامعة جينيف ام اصدمهما علي الواقع الاليم، الخال

الجبان الظالم، الدكتور الهارب محطم الانســـانية، ضارب بالاديان عرض الحائط، الفأر المذعور حامـــل الدكتوراه... انا فعلا حزينة ألف حزن فوق حزني»

ظلت مونيكا في غيبوبة لثلاثة أيام متواصلة.. وعند إفاقتها ظلت تنظر جانبها، متســـائلة .. أين إبنتي ؟ .. أيـــن هيلدا او أمينة.. أين هـــي ؟ .. لابد أنها جائعة..موعد رضاعتهـــا الان، ثم نهضت حافية القدمين وخلعت الكانيولا من يدها بعنف مما أدي الي نزف الدماء من ظهر يدها، خرجت من باب الحجرة وصارت تركض في دهاليز المستشـــفي وهي تصيح بصوت عالي .. أين إبنتـــي.. اين انت يا هيلدا..فين أمينة..

إلي ان لحق بها بعض من أفراد التمريض وقام احدهم بحقنها بمهدئ وأعادوها الي حجرتها..

مرت عليها أسوأ ليلة في عمرها.. الكوابيس والهلاوس تلاحقها.. صورة أشـــرف تظهر أمامها بوجه قبيح وأسنان طويلة تخرج من جانبي شفتاه السوداء وهو يضحك.. ومن وراءه صرخات الصغيرة هيلدا .. تمد مونيكا يدها محاولة الوصـــول الي هيلدا وهي تنادي «تعالي يا هيلدا» لكن أشـــرف القبيح يقف حائلا بينهما وهو يردد بصوت مخيف: « أمينة معي أنا.. إبنتي أنا.. أمينة في حوزتي أنا»

تنتفض مونيكا مذعورة وهي تصرخ .. « هيلدا..أمينة..إبنتي» ثم تنهض من الفراش وتركض إلي حمام الغرفة.

تصل صرخاتها إلي أركان الدهاليز خارج الغرفة محدثة صدي صوت مخيف يسمعه كل متيقظ في تلك الليلة الغبراء..

فتهرعا إليها اثنتان من الممرضات.. دخلتا الي الغرفة .. الفراش فارغ.. وباب الحمام مغلـــق.. تحاولان الحديث مع مونيكا من وراء الباب الخشبي، لكنها لا تستجيب فتتصل إحداهما بالامن علي الفور ليصل فرد امن ويقوم بكسر الباب..

وإذا بهـــم يجدون مونيكا ممدة بجوار حائط الحمام، وبركة من الدماء حولها.

تمـــرر وفاء يدها علي شـــعر الصغيرة أمينة ، الناعم الاشـــقر الرقيـــق.. وتقرأ بعض آيات من القرآن..وعيناها تنظران الي الملاك الجميل النائم بجوارها بكل براءة.. عيناها يملأهما الخوف والرعب علي مصير تلك الصغيرة مع أب منزوع الرحمة، رغم انه شـــقيقها، فقلبها يعتصر ألما علي حرمان الصغيرة من أمها ويتقطر دما علي حرمان الام مونيكا من إبنتها الوحيدة، ورغم انها لم تلتق مونيكا من قبل، لكن حس الام والانســـانة وصحوة ضميرها يضعها في خوف من عقاب الخالق الذي لا تأخذه سنة ولا نوم..

وبعد ان فرغت من الآيات والأدعية وجهت كلامها للملاك النائم: «سامحيني يا صغيرتي، انا مكتوفة الايدي، لو في استطاعتي لاعدتك

الي امك.. ربنا يهدي اباك الذي فقد كل ضمير في داخله.. يغط في نوم عميق بالحجرة المجاورة غير مبال بما فعله وما سوف يترتب علي.

وما ان دقت السادســـة صباحا.. حتي غادرا أشرف وأمينة بيت أختـــه وفاء وهي في أمس الحاجة لوجـــوده جانبها.. تمر بأصعب محنة في حياتها ومسؤليات لم تعتاد عليها من قبل.

تطيل وفاء النظر إليهما عبر النافذة الزجاجية وهما يســـتقلان سيارة اجرة الي محطة قطار رمســـيس، هل سيتيح لها القدر من رؤيتهما مرة أخري ؟ .. متي ؟ ..و هل ســـيتراجع أشرف عن قراره ويمنح قبلة الحياة لتلك المســـكينة الصغيرة أمينة ويجمع شملها بأمها الحائـــرة والباحثة عن اول فرحتها في الحياة.. آه .. آه .. مما نلاقيه ونقاسيه من لعبة القدر.. بالامس حصد روح محمد الصاوي .. واليوم يفرق ام عن إبنتها ويحرم الابنة من من رعاية وحنان أمها.. ويجعلني أتعرف علي أخي أشـــرف من جديد، كأنني لم اكن اعرفه من قبل.. نحن نتشـــارك إسم الاسرة لكن شتان بين نظرتنا للحياة، كيف تحول أشرف هكذا الس انسان قاسي القلب منزوع الرحمة.

يبتعد التاكسي شيئا فشيئا وكأن عجلاته كرابيج تلسع الاسفلت الخانع تحت سيطرة العجلات القاسية، شعرت معها وفاء انها مثل ذلك الاسفلت وان العجلات هي القدر الذي يلسعها قبل ان تفيق من

اللســـعة والضربة السابقة، .. تراجعت للخلف بعد إختفاء التاكسي تماما من محيط رؤية النافـــذة، .. قادتها قدماها الي حجرة الاولاد حازم وأكرم، شـــعرت بالخوف بل بالرعب علي مستقبلهما وماذا يخبئ القدر لهما.

خرج الطبيب الجـــراح من حجرة العمليات بعد ان بذل مجهودا ضخما بصحبة أخصائي التخدير وبعض المساعدين لإنقاذ مونيكا التي اقدمت علـــي محاولة التخلص من حياتها القاتمة، حيث قامت بقطع شريان يدها بســـكين كان بجوار طبق الفاكهة في حجرتها، وقامت إدارة المستشفي بإبلاغ الشرطة بوجود حالة محتولة إنتحار، وبعد البحث والسؤال تم الربط بين بلاغ الشرطة المحرر من يومين وما حدث في حمام حجرة مونيكا وإقدامها علي الانتحار، مما أشار به ضابط الشـــرطة بان علي ادارة المستشفي عرض مونيكا علي طبيب نفســـي لمباشرة حالتها ومحاولة إخراجها من حالة الإحباط والاكتئاب التي تمر بها.

مرت ســـاعات طويلة قبل ان تســـتفيق مونيكا، في هذه الاثناء قامت الشرطية المســـؤلة عن حالة مونيكا بإعداد مذكرة تفصيلية عما حدث لها من محاولة الانتحـــار وقبلها هرب زوجها واختطافه لإبنتها الي بلده « مصر».

وهذه المذكرة من نسختان، نسخة منهما موجهة الي الانتربول – البوليس الدولي – للمطالبة بالقبض علي أشرف سعيد، بعد مخاطبة السلطات المصرية وأعادته هو وأمينة لمحاكمته في جينيف.

و النســـخة الاخرى موجهة الي الخارجية السويسرية لمخاطبة الســـفارة السويســـرية بالقاهرة لمتابعة والضغط علي السلطات المصرية لملاحقة الخاطف واعادة الطفلة الي امها..

و تنتظر فقط الشـــرطية استفاقة المجني عليها مونيكا للتوقيع علي هاتين المذكرتين، ولم يمر وقت طويل حتي امســـكت مونيكا بالقلم وقامت بالتوقيع بعد جلســـة مطولة مع الشـــرطية أملاً في استعادة أمينة في أسرع وقت.

تلقت مونيكا اتصالا من مندوب بالخارجية للاستفسار عن بعض الامور الداعمة لاستعادة أمينة مع زوجها الهارب أشرف والمختبئ في مكان ما بالقاهرة علي حد المعلومات المتاحة الي الان.

قضي أشـــرف اول ليلة له مع أمينـــة والمربية الخاصة بها في المنزل الذي منحته لـــه الجامعة كما كان الاتفاق المبرم بينهما في الدولة العربية.

تســـلم عمله في صباح اليوم التالي كأســـتاذ جامعي في كلية الهندسة قسم هندسة الطرق.. وبدا كأنه لم يفعل شيئاً، فقد تناسي

تماما زوجته التي مازالت زوجته كما تناسي السنوات التي قضاها معها وكأنها كانت من الماضي البعيد.

تم ادراج إسم أشرف سعيد ضمن النشرة الحمراء لدي البوليس الدولي « الإنتربـــول»، أي إنه مطلوب القبـــض عليه في اي مكان بالعالم وتسليمه للسلطات الامنية السويسرية..

لم يهدأ قلب مونيـــكا او يهنأ بأي عيش، لم تعرف للراحة طعم، تطاردها الكوابيس ليلاً والخوف والهلع علي ابنتها نهارا، لم تتناول اي طعـــام لايـــام وازدادت نحافتها وهزالها، وبعـــد تفكير طويل ونصيحة ســـمعتها من ممثل الخارجية ان الاجراءات طويلة والزمن ليس في صالحها، فإن اســـتطاعت الذهاب الي القاهرة وتســـوية خلافاتها مع زوجها أشرف فربما تكون هذه أفضل وأسرع الحلول في الوقت الراهن لإستعادة أمينة، وفي نفس الوقت ستتحرك السفارة السويسرية بالقاهرة لمساعدتها بكل قوة عبر القضاء المصري.

شـــعرت مونيكا بالارتياح لهذا الحل، الذي يبدو ظاهره غامض ويتضمن رحلـــة الي المجهول لكن باطنه فيـــه راحة واجابة علي تساؤلات عدة يوضع امامها العشرات من علامات الاستفهام، أحيانا اذا تحرك الانســـان بنفسه وعاصر كل ما يحدث، افضل له الف مرة من الانتظار بجوار الهاتف ليجد اجابة علي تساؤلاته..

قامت مونيكا بحجز تذكرة طيران عن طريق احدي وكالات السفر، امام الموظفة ظهرت في حالة من التوتر واضحة للجميع، ســـألتها الموظفة: « علي اي شركة طيران ترغب في السفر الي القاهرة ؟ ثم تلت عليها أســـماء عدة شركات لديها رحلات مباشرة وغير مباشرة من جينيف الي القاهرة» ، حاولـــت مونيكا ان تتذكر، علي خطوط طيران سافر أشرف مع صغيرتها، لكن عقلها كان معطلا، ثم طلبت من الموظفة ان تعيد عليها اسماء شركات الطيران مرة أخري..

" حســـناً.. مصر للطيران، كي ال ام، بريتيش ايروايز، سويس اير، ليرفرانس، ايبيريا.. هنا اشارت لها مونيكا بيدها واستوقفتها : " نعم نعم اتذكر الان .. ســـويس اير ..اريد السفر عبر سويس اير في اقرب موعد من فضلك "

بعد مرور عدة سنوات

دخل حازم حجرة امه وفاء للتأكيد عليها للإستعداد مبكرا لحضور حفل تخرجه من المعهد العالي للنقد الفني التابع لأكاديمية الفنون، نهضت من فراشـــها واحتضنته بقوة رغم ضعف يداها.. « مبروك يا حبيبي.. عقبال الدكتوراه..رغم عدم اقتناعي بمسألة النقد الفني هـــذه إلا انني تركت لك الاختيار من البداية، كنت اتمني ان تســـير علي خطي ابيك رحمـــة الله عليه، محامي.. مهنة مرموقة واصدقاء ابيك كثر ولن يردون لك طلباً، لكن هذه ارادة الله ورغبتك، لكن قبل الحفل تعالي معي للذهاب لزيارة قبـــر ابيك لتخبره بنبأ تخرجك، ســـيفرح لك كثيرا.. أومأ حازم برأســـه رغم عدم قناعته بالجملة الاخيرة " سيفرح لك" ..فهو علي يقين ان الاموات لا تري ولا تسمع ما يحدث علي الارض وان ارواحهم هائمة في مكان لا يعلمه الا الله.

وفـــاء: «عقبال أخوك أكرم يصير طبيباً مرموقا فيتم الله له علي خير فيما تبقي من ســـنوات دراسية في كلية الطب فهو لا يزال في الفرقة الثانية، هل اكدت عليه يا حازم علي حضور الحفل الليلة»

حازم: « نعم يا أمي.. ســـينتهي مـــن محاضرات اليوم ويتوجه مباشرة الي القاعة المقام بها الحفل وملاقتنا هناك»

" آه..نســـيت ان اذكر لك يا امي ان جريدة فنية قد وافقت علي تعييني بشكل مؤقت الي ان انتهي من فترة التدريب، وحسب أدائي سيتم تثبيتي في العمل بعقد دائم ومميزات كثيرة، هل تدرين يا أمي من سيقوم علي تدريبي ؟؟ .. إنه رئيس القسم الفني بنفسه، الناقد الكبير الاستاذ/ عزيز رشوان .. هل تعرفينه ؟؟ "

وفاء: « فقط أســـمع عنه أحيانا وانا اســـتمع للمذياع، فدائما ما يأتي بنقد لاذع عن الافلام الجديدة، والممثلات تحديدا لا تسلمن من لسانه»

توالت المحاضرات الواحدة تلو الاخري بكلية طب القصر العيني، وشعر أكرم أن اليوم يطول بساعاته ودقائقه وكأنه لن ينتهي.. وبدأ يشعر بالتعب الشديد، نظر في ساعة يده التي قاربت علي الخامسة مساءا، وكان عليه اللحاق بحفلة أخيه حازم..حفلة تكريم الخريجين والتي ســـتبدأ في السادسة مساءً، وبينما أكرم يعبر الشارع مسرعا للحاق بسيارة اجرة، صدمته سيارة مسرعة لكنه استطاع القفزبقوة ليتفادي احتكاك جسم السيارة به، وسقط علي الارض بعد ارتطامه بالرصيف، توقفت الســـيارة وخرجت منها فتاة التي شعرت بالذعر في البداية ولكن ما ان علمت ان أكرم لم يصبه مكروه، تحولت الي

النقيض وارتفع صوتها وألقت باللـــوم علي أكرم الذي تعجب من ردة فعلها للغاية، وبادلها الكلمات بكلمات اقوي، علا صوتهما مما تدخل معه بعض المارة لفض الشجار بينهما الذي اتهمته فيه الفتاة محاولة التمثيل والادعاء بانها صدمته كي يبتزها ويحصل منها علي الاموال، .. لعبة مكشـــوفة.. وهي ليســـت بالفتاه الساذجة المدللة، وليس معني ان السيارة جديدة انها لا تفهم الاعيب الشباب الكسلان، العاطل عن العمل والحاقد علي كل من هو ناجح..

تعجب أكرم من حديثها واهانتها له امام الناس بوصفه بالعاطل عن العمل والحاقـــد علي كل ما هو ناجح وفـــوق كل هذا، ادعائه التمثيل لإبتزازها والحصول علي الاموال..

حاول أكرم الرد، لكنـــه تذكر موعد حفل تكريم أخيه حازم وان التاكسي الذي توقف له منذ قليل بالطبع لن ينتظره وقت المشاجرةو حاول ايقاف ســـيارة اجرة اخري واستطاع بصعوبة اللحاق بحفل اخيه، لكنه تردد في دخول القاعة نظرا لإتســـاخ ملابسه اثر وقوعه علي الارض بجانب ســـيارة تلك الفتاة المجنونة المتهورة سليطة اللسان، هكذ نعتها.. توجه الي الحمام الملحق بالقاعة لتنظيف يديه ووجه وبعض ملابسه.. سار بعدها داخل القاعة ليجلس بجوار امه وفاء التي كانت في منتصف القاعة، وبدأ الحفل بإلقاء عميد المعهد العالي للنقد الفني كلمته، ثم تلتـــه بعض العروض الفنية وبعدها

بدأت مراســـم تكريم الخريجين بإهدائهم شـــهادات التخرج وكل خريج مرتديا الروب الاسود والقبعة السوداء الشهيرة.

وبعد ان انتهي الجميع من تسلم الشهادات، تم الاعلان عن جائزة خاصة لأول الدفعـــة، ..وقام العميد بقراءة الإســـم « حازم محمد الصاوي» .. هلل الجميع ووقفـــت وفاء وتركت دموعها تتحرك من محبســـها لتغطي وجناتها .. وشـــعرت لأول مرة منذ وفاة زوجها محمد الصاوي بلإنصاف والنصر من الدنيا التي جرعتها القســـوة والعذاب لسنوات طويلة..

وبعد إنتهاء الحفل، صافـــح حازم عميد المعهد الذي طلب لقاء والدته وتحيتها، صافح العميد كلا من وفاء وأكرم وإذا بفتاة تنضم إليهم قائلة: « بابا، سوف انتظرك في السيارة»

«يـــا الهي .. انها نفس الفتاة التي صدمتني ..» ، نظر إليها أكرم قائلا : «مـــاذا تفعلين هنا ولماذا تأتي خلفـــي، ألم يكفي ما قلتيه واتهامك لي بالضياع والاحتيال والابتزاز»

بادلته الفتاة بنظرة شريرة: « انت مرة اخري.. اسمع لا تحاول ابتزاز ابي»، ثم وجهت الكلام الي عميد المعهد: «لا تعطه اي نقود يا ابي .. انه ممثل ومدعي .. ولم يصبه اي مكروه»

تبادل كل من حازم والعميد ووفاء النظرات متســـائلين.. ماذا يحدث هنا ؟؟

قدم العميد الفتاة للجميع .. « هذه إبنتي ندي في الســـنة الاولي بكلية الطب»

فتح أكرم فاه متعجباً .. كلية الطب.. سنة اولي.. مستحيل

هنا قامت وفاء بتقديم أكرم .. « أكرم.. إبني.. شقيق حازم، في السنة الثانية بكلية الطب» .. يا لها من مصادفة غريبة

شعرت ندي بالخجل الشـــديد وتأنيب ضمير بعد كل الاتهامات والخوض في شـــرف وأخلاق أكرم فقد كالت له من الاتهامات ما لم يتحمله انسان.. طالب محترم بكلية الطب سوف يصبح طبيبا بعد عدة سنوات..ممثل ومدعي ويســـعي وراء الابتزاز المادي، عاطل، منحرف، واشياء اخري كثيرة..

كل هذه العبارات اعترفت بها ندي وهي تقود الســـيارة واباها يجلـــس بجوارها ويضحك بعض كل لفـــظ مهين وجهته الي أكرم شـــقيق حازم الطالب المجتهد، الاول علي الدفعة، أبناء الســـيدة الفاضلة مدام وفاء.

و أخيرا توقف الاب .. د. زاهر حداد عن الضحك وحاول التحدث بشئ من الجدية.. :» فعلاً يا ندي .. أري انك تسرعت واطلقت لسانك كالسيف ليطعن أكرم في كبريائه وأخلاقه واري انه من الواجب ان تقدمي له اعتذار»

ندي: « حســـنا يا أبي ســـأحاول الاعتذار، عله يتقبل وينســـي شخصيتي الشـــريرة التي ظهرت عليها، ويتعرف علي شخصيتي الحقيقية الطيبة» وطفق الاثنان يضحكان الي ان وصلا المنزل..

وما ان انقضي الليل بظلامه وهدوءه، وحل أول ضوء في صباح اليوم التالـــي وتعالت اصوات المارة وابواق الســـيارات المزعجة، توجهت ندي الي كلية الطب وبعد ان فرغت من المحاضرة الثانية، لم يكن لديها اي محاضرات في الفترة الثالثة، لذا توجهت الي القاعة التي يحضر بها طلبة الفرقة الثانية، تفحصت وجوه الطلبة.. دارت بينهم، لم يكن لأكرم اثـــر، ربما في الكافيتيريا.. توجهت الي هناك ولكن بلا فائدة.. اضطرت بعدها للســـؤال عنه بالاســـم، فقد كانت تشعر بحرج شديد في ان تســـأل احد الطلبة عن زميل لهم يدعي «أكرم».

وبمجرد ذكرها اســـمه.. أجابها اثنان مـــن الطلبة ان أكرم قد تعرض لحادث بالامس وهو ملازم الفراش لا يســـتطيع الحضور للجامعة، تمتمت ندي ورددت ما ســـمعته ..«حادث بالامس»..، هل هي المقصودة ام انه تعـــرض لحادث آخر بعد ان غادر قاعة حفل تخرج الدفعة بصحبة اخيه حازم وامه ؟؟!

لم تســـتطع ندي ان تكمل المحاضرات، حيث شـــعرت بالذنب الرهيب رغم انها تتذكر جيداً انها لم تصدمه بالســـيارة، فلقد قفز

جانبا وارتطم علي ارضيـــة الطريق وبعدها قابلته في الحفل، كان يبدو بحالة جيدة، فقط ملابسه متسخة..

لم تكمل يومها بالجامعة وســـارعت بالعودة الي المنزل وهي في حالة من التوتر الشـــديد، كانت امها بالبيت وحيدة، حيث كان الاب زاهر حداد في مكتبه بالمعهد.. بعد ان لاحظت الام هذا التوتر جلست الي ندي لتستمع وتشارك ابنتها ما تمر به، قصت عليها ندي ما حدث بالامس قامت الام بالاتصال بزوجها وتناقشا في الامر، قام بعدها الاب بالاتصال بحازم في بيتـــه للاطمئنان علي اخيه أكرم، .. حاول حازم التهرب من الاجابة علي ســـؤال د. زاهر حداد لعدم وضعه او ابنته ندي في حرج..

وبعد ضغط وإلحاح من د. زاهر، اخبره حازم ان أكرم شعر بألم شديد في كتفه الايمن وازداد الالم مع مرور كل دقيقة، وبعد الذهاب للمستشفي وعمل الفحص اللازم، اظهرت صور الاشعة انه مصاب بخلع في الكتف الايمن مما ترتـــب عليه عمل اللازم من رد مفصل الكتف الي مكانـــه وربط الذراع وتثبيته برباط ملفوف حول الرقبة بإستخدام حمالة الكتف الطبية، أوصي الطبيب بالراحة التامة مع عدم تحريك ذراعه اليمن او كتفه لمدة اسبوعان علي الاقل، كل هذا حدث له نتيجة الارتطام بالرصيف بعد ان قفز من امام الســـيارة الخاصة بندي، تحامل علي نفســـه للحاق بالحفـــل وفي الصباح تفاقمت الآلام بشدة، وقد عدنا للتو من المستشفي وهو الآن نائم.

اصطحب د. زاهر حداد زوجته وابنته ندي لزيارة اكرم في بيته في محاولة لرد بعض الاعتبار له بعد الكلام المهين الذي سمعه من ندي بالاضافة الي ما تسببت له من خلع الكتف وبعض الكدمات في مناطق متفرقة من جسده.

بعد جلســـة لطيفة جمعت ندي بوفاء وحازم مع د. زاهر حداد وزوجته، لم يغادروا المنزل حتي استيقظ أكرم واطمأنوا عليه، وكان من الواضح انه سيتغيب عن الجامعة لمدة اسبوعان، تطوعت ندي ان تقوم بنقل محاضراته من احد الزملاء واحضارها له بالمنزل يوم بعد يوم وخاصة ان ذراعه الايمن مربوط ولن يستطيع حتي الكتابة.

قضي حازم أول ايـــام تدريبه في المجلـــة الفنية تحت قيادة الاســـتاذ/ عزيز رشوان رئيس القســـم، رجل ذو خبرة طويلة في النقد الفني، قد قارب علي عامه الســـتين لكنه يتمتع بروح شاب لا يتخطي العشرين من عمره، فهو دائم القول ان العمر مجرد رقم في الوراق الرسمية.. وكان يقوم علي تدريب حازم بكل همة ومنحه من خبرات الســـنين ولا يبخل عليه بأي معلومة تخص اي عمل فني او ممثل او مخرج او اي من العاملين بالوســـط الفني سواء في مجال التمثيل او الغناء او اي فرع من فـــروع الفن، وصار حازم ملازما له ويصحبه فـــي اي مهام يكلف بها لتغطية مهرجان او ندوة فنية او حتي حضور تصوير بعـــض الافلام، لابداء الرأي الفني والكتابة

عن ذلك العمل ونشره بالمجلة واضافة التحليل النقدي الذي إما مع العمل او ضده بنقد لازع والذي يعمل الجميع له ألف حساب، انها كتابة وآراء الناقد الكبير أ/ عزيز رشوان، وقد كانت اولي نصائحه لحازم " إياك والمجاملة لأي فنان علي حساب جودة العمل ككل "

وقد ظهر ذلك واضحاً جليا علي حازم الذي كان يشعر بالسعادة والامتنان ان أول ايام عمله وتدريبه علي يد رجل مخضرم ذو خبرة عريضة ولديه من المعلومات ما يكفي لكتابة مجلدات.

يوم بعد يوم توطدت علاقة ندي بأكرم وشعرت تجاهه بالمسؤلية وكأنه ابنها الصغير المحتاج للام الحنون.. وطالما صرحت له انها تحب الاطفال كثيـــرا وانها تنوي التخصص في طب الاطفال لحبها الشديد لهم، وكانت دائمة السؤال لأكرم ان كان يحب الاطفال مثلها.. هم كالملائكة..هكذا كانت تقـــول دائما، ولكن أكرم لم يكن راضيا عما تفعله من تبييض المحاضرات له يوميا، والاهتمام بطلباته، فقد تعود الاعتماد علي نفســـه منذ وفاة ابيه محمد الصاوي هكذا ربته امه وفاء، وبدأ يتعافي شيئا فشيئا حيث اختفت الآلام واستطاع من تحريك ذراعه ليس بنفس القوة السابقة لكنه علي الاقل استطاع ان يمسك القلم ويكتب مع القدرة علي حمل الاشياء..

وفي الليل بعد مغادرة ندي لمنزله كان يأتي حازم ليقص عليه ما حدث في يومه وأي من الفنانين او الفنانات قد قابل اليوم وصار

يشرح له بالتفصيل ما يراه علي الشاشـــة .. « هل تعلم الفنانة ... ليســـت بنفس الجمال كما تبدو لنا في المسلســـلات الدرامية علي الشاشة، فهي قصيرة القامة للغاية وترتدي حذاء بكعب ذو ارتفاع 9 سنتيمترات علي الاقل، بالاضافة الي سمارها الواضح، فهي ليست بيضاء كما تبدو لنا .. وهي ايضا.....، وظل حازم يحكي له وهو يضحك عما يراه كل يوم وما يحدث في الوسط الفني.

إشـــتاق أكرم للعودة للكلية بين الزملاء..إشـــتاق لمدرج الكلية وحجرات التشـــريح وارتداء المعطف الابيـــض، وبالفعل وقبل ان ينقضي الاســـبوعان كان قد توجه للجامعة.. واثنـــاء تجوله بين المباني لمحته ندي وركضت نحوه وهي تناديه وسمعها بعد مرور بضع ثواني « أكرم..يا مجنون انت..ايه اللي نزلك من البيت، انا كنت سأمر عليك بعد الدراسة»

أكرم: « أنا بقيت كويس واســـتطيع العودة لحياتي الســـابقة، أشكرك علي كل ما قدمتيه لي..»

ندي: « لا شكر، هذا اقل شئ اقدمه لك، انا السبب لكل ما انت فيه.. لكن هذه المرة لن ازورك لنقل محاضراتك، انا احتاج لمساعدتك في فهم بعض المواد، فلقد علمت من زملائك انك متفوق للغاية في مواد السنة الماضية والتي ادرســـها انا الان، ولن أجد أفضل منك يقوم بدور الاستاذ ويشرح لي حتي ولو كان الفارق بيننا عام واحد»

أكرم: « طبعاً طبعاً ...» ..رغم انه من داخله لم يرغب في ذلك ولا يشعر بأي ميل الي ندي، لكنه يريد رد الجميل اليها ولا يقوي علي رد طلبها..حتي ولو كان ثقيلا علي قلبه، بالإضافة الي احتياجه لكل دقيقة لمذاكرة ما فاته وقت مكوثه بالبيت وملازمته الفراش..

أتاح الاســـتاذ/ عزيز رشوان لحازم كتابة اول نقد فني في احد اعمدة المجلة وترك له حرية اختيار ما يكتبه وعليه ان يســـلم هذا العمل في الغد ليصدر مع صباح بعد الغد في المجلة..

في تلـــك الليلة.. توجه حازم لحضور عـــرض لفرق الهواة في المســـرح الصغير بدار الاوبرا وشـــرع في تدوين كل الملاحظات الســـلبية كانت او الايجابية، من حيث نوع الموســـيقي والكلمات والعازفين الي صوت المطـــرب او المطربة وكذلك طريقة العرض وتنظيم العازفين علي المسرح، ثم أخيرا تفاعل الجماهير الحضور مع الفرقة والاغنيات..

لم ينم حازم ليلته بعد العودة الي البيت، وصار يســـتعرض ما شـــاهده من عرض مرة اخري في ذاكرته ومخيلته وبالاستعانة بما دون من ملاحظات، استطاع تكوين رأي عما شاهده في تلك الليلة، وكتب المقال الذي حدد له عدد معين من الكلمات لا يزيد عنها حتي يستطيع قســـم اخراج المجلة وضعه في العامود المخصص له.. صار يكتـــب بنهم مرة اخري، حيث لم تعجبه الكتابة الاولي للمقال

وشعر بضرورة تعديل الكثير من العبارات، انتهي منه، وعند قراءته بصوت عالٍ تنفيذا لنصائح استاذه عزيز رشوان ان يقرأ المقال كأي قارئ للمجلة، إذا اعجبه فيســـتقر عليه وان لم يعجبه فلا مانع من كتابته مرة اخري وثانية وعاشرة الي ان يشعر بالارتياح لم سيقرأه القارئ العادي علي اختلاف مستوياته الثقافية والتعليمية..، أخيرا استقر حازم علي الشكل النهائي بعد التجربة السابعة.

توقفت ندي عن المذاكرة ليلا..و امســـكت بصورة طفل رضيع كانت تضعها بين صفحات الكتاب، فهي تعشـــق الاطفال الصغار، وبعد ان اطالت النظر في الصورة وتحركت داخلها غريزة الامومة، تركت الصورة جانبـــا وقفز الي خيالها صورة أكـــرم عندما رأته اول مرة وهو ملقي علي الرصيف بعـــد ان قفز متفاديا الاصطدام بسيارتها، الي غضبها واهانته..، ثم تحول كل هذا الي اعجاب شديد بشخصيته ووسامته وهدوءه وعدم رد اهانتها بإهانة اكبر كما يفعل الكثير من الناس في نفس موقفه، ثـــم بعد ان علمت ايضا كم هو متفوق في الدراســـة ومحبوب بين زملائه وانه يساعد الجميع قدر اسنطاعته.

لم تســـتطع النوم ليلتها وكأن النعاس كان رفيق الليل الهارب، امسكت بورقة وقلم وطفقت تخط بعض الكلمات التي كانت تشعر بها في تلك اللحظة..

" أكرم..أكرم ، إنســـان في خلقه واحترامه..وسامته ورجاحة عقله، أكرم مختلف عن باقي الشـــباب، ليتني قابلته من زمن، لكننا مازلنا في بداية الطريق..الله وحده ارسلك امام سيارتي وكأن القدر يبارك وجودك في حياتي..تقابلنا في حفل تخرج اخيك حازم والذي ابدي ابي عميد المعهد اعجابه بـــه كطالب مختلف.. لابد ان القدر قد قام بتدبير كل هذا ومســـتحيل ان يكون من قبيل المصادفة.. ثم مرضك وزياراتي لك في حجرتك المرتبة بعناية، ونقلي لمحاضراتك .. كم انت أكرم يا أكرم "

لم يســـتطع حازم ان يخلد الي النوم وما ان دقت الساعة الثالثة فجراً حتي انطلق الي الطريق.. الي اقرب بائع جرائد ومجلات، وسط جمع كبير من المجلات، ها هي المجلة، امسكها بسرعة وعصبية.. قلب بين صفحاتها حتي الصفحة الرابعة عشـــر .. نعم انه العامود الذي كتب فيه اول مقالاته النقدية تحت عنوان « تجربة تســـتحق المشـــاهدة».. نعم انها المقالة كاملة لم يتـــم حذف او تعديل اي كلمـــة فيها ويتذيل المقال صورة ملونة له وعبارة بقلم الناقد حازم الصاوي..

قفز في الهواء وسار مسرعاً وفي يده المجلة، ليجد من يلحق به ممسكا به من الخلفو انه بائع الجرائد « انك لم تدفع قيمة المجلة.. اين النقود ؟»

قالها البائع وهو ينتزع المجلة من يد حازم.. ، استفاق حازم لما حدث واعتذر للبائع وحاول ان يشرح له انه من شدة فرحه بالمقال الاول نســـي ان يدفع له قيمة المجلة..لم يهتم البائع بكلامه كثيرا واشار له ان يخرج ثمن المجلة من جيبه..

عاد حازم لبضع خطوات مع البائع الي كشـــك بيع الجرائد مرو اخري وقام بشراء جميع اعداد المجلة من شدة فرحه وقد عزم علي توزيع الاعداد علي الاصدقاء.

كانت اكثر الناس سعادة هي وفاء ، فكما تكالبت عليها الاحزان في الفتـــرة الماضية، ها هي الافراح تعـــرف طريق بيتنا، بالامس يلتحق أكرم بكلية الطب وبعده تخرج حازم من المعهد وها هو الآن تنشر له الجريدة اولي مقالاته في النقد الفني.. الحمد لله.

بينما يشدو محمد عبد الوهاب بأغنية «يا مسافر وحدك».. سافر اشرف بخياله الي أرض الوطن.. الي مصر الحبيبة.. طالت الغربة وطال السفر.. لكن هانت.. فالعود قريبا. فتحت أمينة باب السيارة لتجلس بجوار أباها..

حسنا يا أبي.. أخيرا آخر يوم في اختبارات الثانوية العامة..

اشرف: «ها.. كيف كان الإمتحان..؟! ”

أمينة : قبل أن أجيبك لم أرى مســـحة حزن على وجهك.. وربما قطرات من دمع في عينيك.. ماذا هناك..؟!

أســـرف:» لا يا ابنتي.. إنه عبد الوهاب الله يسامحه.. قلب عليا المواجع. أغنية يا مسافر وحدك.. أشعر انه يشدوا بها خصيصا لي.. لم أتمالك نفسي واغرورقت عيني بالدموع شوقا للعودة الي مصر.. طالت الغربة.. تبدلـــت الأحوال.. صرت كهلا.. لكنني حققت كل ما اتمناه ونســـتطيع العودة ونحن ميسوري الحال.. آن الأوان كي ان استريح وأن تدخلين الجامعة بمصر.

هيا أجيبيني كيف كان الإمتحان..؟!

أمينة : « أديت بشـــكل جيد.. كان هناك ســـؤال واحدا لم أعرف إجابته.. لكن انت عارف بنتك.. لـــم أترك مكان الإجابة فارغا قمت بتأليف الإجابة طبعا» وطفقا الإثنان يضحكان

أقامت وفاء احتفالا بسيطا في المنزل على شرف ابنها «حازم» بمناسبة نشر أول مقال له وهي خطوة هامة على طريق عالم النقد الفني وتثبيته في العمل بعقد دائم وكان أول المدعوين هو أ/ عزيز رشـــوان.. فقد كان» حازم « دائم المدح فيه. كم هو يشمله برعايته وكأنه أبيه الروحي في المجلة.. وهو من زكاه عند الإدارة التحريرية وأعطاه فرصة كتابة مقاله في عامود هام.. ربما لولاه لظل لسنوات طوال قبل أن يحصل على مثل تلك الفرصة.

و تم دعوة « ندى» واسرتها الأب العميد « زاهر حداد» وأمها مدام / سعاد.

أعدت « وفاء» كل شيئ بنفسها من اشهي الحلوى وعشاء خفيف وكيكة كبيرة مكتوب عليها « مبروك الناقد الفني الجديد / حازم».

كانت الاجواء رائعة.. وتم التعارف بين الجميع.. وعند تعارف أ/ عزيز رشوان بندي وأمها.. ظهر الأب.. د/زاهر من خلفهما وإذا به يتفاجأ بوجود عزيز رشـــوان وقام الإثنان بمصافحة حارة وعناق.. فقد كانا زملاء دراســـة منذ المرحلة الابتدائية.. واتجه عزيز للعمل الصحفي كناقد أما زاهر فأكمل الدراسة الأكاديمية والسلم الوظيفي والتدريس بالمعهد الـــي أن حصل على دكتوراه ثم انتخابه لعمادة المعهد.

يال لها من مصادفة ســـعيدة وغريبة.. هكذا عقبت وفاء.. الدنيا صغيرة فعلا وكانت نـــدى تبدي اهتماما خاصـــا بأكرم وتحاول فتح حديث معه بعيدا عن كلية الطب وأي شـــئ له علاقة بالدراسة والمعامل والأمراض.

استأذن عزيز في رغبته في تدخين سيجارة.. هل من الممكن أن أقوم بالتدخين في البلكونة.. هكذا سأل مدام وفاء.. التي اصطحبته الي باب البلكونة وازاحت الستائر الشيفون وفتحت له باب البلكونة وأضافت « كيف تشرب قهوتك».. نظر إليها عزيز بتعجب واندهاش» كيف عرفتي انني في هذه اللحظة اشتهي فنجانا من القهوة».

عادت وفاء بعـــد دقائق وبيدها فنجانا ابيض بخطوط ذهبية به القهوة المظبوط كما طلبها عزيز.. جلســـت بجواره في البلكونة..

ظلا صامتان لبضع دقائق.. إلى أن بردأ عزيز حديثه» عارفة يا مدام وفاء.. لم أشـــعر بدفئ الجو الأسرى هذا منذ سنوات طويلة تحديدا منذ وفـــاة زوجتي وهجرة ابنتي مع زوجها الـــي كندا.. رغم انني اتواجد وتتم دعوتي العديد من الحفلات بصحبة صفوة المجتمع من الفنانين والساســـة والقائمين على العمل الفني وصناعة السينما... لكن دائما ما أشعر بالجفاف وان هناك شئ ما لا يدعو الي الراحة.. بينما هنا بينكم وفـــي بيتك وترحيبك الدافئ بكل الحضور له طعم آخر.. طعم الأسرة المصرية البسيطة بلا تكلف وبلا سترات وربطات عنق وكلام منمق والابتسامة المصطنعة لإلتقاط الصور.. لقد قاربت على سن الستين واقترب موعد خروجي للمعاش.. لذا اقوم بتجهيز وتدريب حازم ليحل محلي في القســـم ويســـتمر في الكتابة في العامود اليومي بالمجلة وخاصة انه اثبت كفاءته واســـلوبه المميز والجميع قد أشاد به وتبأ له رئيس التحرير بمستقبل جيد للغاية.

وفاء : " الفضل لك أكيد يا أستاذ عزيز.. حازم يحبك ويحترمك للغاية ودائما ما يذكرك بكل خير.. لكن عيبه الوحيد هو عدم محاولته لحمل بعض مسئولية البيت.. دائما ما يهرب من أي مهام أكلفه بها وأنا صرت في حالة صحية ليست مثل ذي قبل.

مثلا طلبت منه أن يصطحبني غدا للذهاب إلى دمنهور للتفاهم مع المستأجر الجديد للأرض أو استمرار المستأجر الجديد الحاج / رســـلان لكن بقيمة ايجارية أعلى تتناسب مع الأرقام المتعارف

عليها هذه الأيام.. وخاصة انني ســـمعت أن الحاج/ رسلان يحمل بين حديثه نبرة تهديد .. فقد قال في المرة الأخيرة اللتي أحضر فيها الإيراد الضعيف للغاية إما أن أؤجر الأرض بنفس القيمة السابقة أو سوف تبور الأرض ولن يستأجرها أحد ".

لم يشعر عزيز وهو يســـتمع الي وفاء ان السيجارة قاربت على الإنتهاء وقد لسعت يده..

و لم تلحظ أيضا وفاء ذلك واســـتمرت في الحديث... وصارت تحكـــي لعزيز كل ما مرت به أيام فترة إرهاق محمد الصاوى وعدم النوم وســـهره لأكثر من ثلاثة او أربعة أيـــام متواصلة والعصبية الزائدة والمزاج السئ الذي انتابه..

و تحدثت عن بعض مشـــكلات لها فـــي العمل وكيف أن إحدى الزميلات لها في المدرســـة كانت تغار منها وحاولت تأخير ترقيتها لكن الله انصفها واستطاعت ان تحتل وظيفة وكيلة المدرسة والآن بعد مرور السنوات هي مديرة المدرسة..

و فجأة توقفت عن الحديث وأدارت رأسها لتنظر الي عزيز الذي كان يســـتمع إليها بكل اهتمام.. بعد أن كانت تنظر خارج الشرفة.. نظرت إليه ثم شـــعرت بخجل شديد وإحمر وجهها وزادت سخونة الجومن حولها رغم تواجدهما في الشرفة..

نظرت الي الأرض... وقالت بتلعثم « انا مش عارفة حكيتلك على كل ده إزاي؟!!»

ألقى إليها عزيز رشـــوان نظرة حانية تملؤها الراحة والطمأنينة « من فضلك اكملي حديثك.. هذه الفرصة لا تتكرر كثيرا.. أن نفرغ ما بداخلنا دون أن نشـــعر بأي حرج.. سمعتك تتحدثين عن أرض ومشكلات مع المستأجر.. وحازم لا يرغب في الذهاب معك.. لكن ما لفت انتباهي ان الأرض في ضاحية دمنهور.. استوقفني ذلك لأنني استطيع ان أساعدك في هذا الأمر..

عائلة زوجتي الله يرحمها عائلة كبيـــرة ومعروفة في دمنهور وعلاقتي بهم طيبـــة للغاية ودائما ما نتبادل التحيات والتهاني في المناسبات ومن يحضر منهم للقاهرة لابد وأن يزورني.. أعتقد انهم يستطيعون مساعدتك في هذه المشكلة.. ألقى الي بالتفاصيل.. وأنا بدوري أقوم بالاتصال بهم.. إلى أن تبلغي مرادك..

زال عـــن وفاء الشـــعور بالحراج والخجل وحل محله شـــعور بالارتيـــاح وكأن الله ابدأ رفض حازم الذهاب لحل المشـــكلة.. هو ابنها الأكبر ومن الطبيعي أن يحل محل والده الراحل .. لظهور ذلك الرجل الطيب عزيز رشـــوان الذي ابدي اهتماما وتطوعا للمساعدة دون أن يطلب منه ذلك.

و بدأت وفاء الحديث ثانية لكنها تدرك هذه المرة ما تقول ومن يســـمع. قصت على عزيز أمر الأرض منذ اشتراها زوجها المرحوم محمد الصاوى إلى مضايقات وعناد الحاج رســـلان.. أن يستأجرها بأسعار الإيجار القديم للغاية او يشتريها بأبخس الأثمان.

و كأن الله ارسل عزيز في توقيت غريب ليقدم يد العون للجميع.. لحازم في المجلة ويرفعه ســـريعا ليكتب مقالا في عامود.. ثم الآن مع الأم وفاء.. هل فعلا يستطيع إنهاء أزمة الأرض.. فالارض لاتمثل لوفاء سوي ايراد شهري يســـاعد في غلاء المعيشة بجانب راتبها الشـــهري كمديرة لمدرسة لغات.. لكن طلبات الاولاد كثيرة ومكلفة للغاية.. خاصة أكرم.. الدراسة بكلية الطب تحتاج وتتطلب ميزانية تختلف كثيرا عن الدراســـة بأي كلية أخـــرى.. هذا بجانب طلبات حازم التي لا تتوقف.. يريد ارتداء الملابس الفاخرة من بيوت أزياء معروفة وكما يقول لأمه دائما « ســـينييه» كي يظهر في الحفلات والمهرجانات الفنية بمظهر لائق يســـتطيع التواجد به بين النجوم والفنانين.

تشـــعر وفاء أنه معه كل الحق لكن ظروفها لا تسمح بكل تلك الطلبات وكان هذا ما يشكل خلافا وشجارا بين حازم وأمه.

توطدت علاقة عزيز بوفاء وازداد تـــرددده على المنزل مما أثار تســـاؤلات لدي حازم الذي كان يحب عزيز للغايـــة ويعتبره أباه الروحي.. لكن شيئا فشيئا مع اعتماد وفاء على عزيز في حل جميع مشكلاتها ومصاحبتها في الأماكن الحكومية.. شعر حازم بالغيرة على أمه.. وإنه لم يعد يراها إلا أوقاتها قليلة في الأسبوع..

و تبدل حبه لعزيز إلى غيرة.. وحقد.. وكأنه حل محله لدي أمه.

كان حازم معتادا أن يستعين برأي أمه قبل الذهاب إلى أي حفل أو حدث فني في ملابسه وظهوره الخارجي.. حتى نوع العطر الذي يستخدمه.

لكن أين وفاء الآن.. أمي مع عزيز كالعادة.. أيت في مشـــاوير.. هذه هي الإجابة التقليدية.. التي طالما توقعت سماعها عند عودتها كل يوم تقريبـــا. هل هناك علاقة ما تربط أمي بعزيز رشـــوان؟!. ويـــا ترى ما نوع هذه العلاقة وإلى أيـــن تصير.. هل لي الحق في سؤال أمي والاستفسار عن التفاصيل.. هل هذا يجرحها أو يشعرها بالتعدي على خصوصيتها.. أنا لم أعـــد طفلا.. فهي لم تقدم على التعامل مـــع الرجال وأنا طفل.. فكيف لهـــا وأنا الآن تخرجت من الجامعة وأعمل.. ومن هو هذا الرجل. رئيســـي في العمل.. من قدم لي يد العون والمســـاعدة.. الأب الروحي كما أســـميه. فهل هذا هو المقابل أو الثمن الذي لابد وأن أدفعه نظير مســـاعدته لي.. أمي.. أن يكـــون صديقا لأمي.. هل هذا معقول؟.. يا رب اهدني الي الفكر القويم.. ربمـــا أكون مخطئا وانها مجرد صداقة بريئة.. لابد لي من الحديث مع أمي.. أيا كان رد فعلها فلابد أن أفهم.. لا اســـتطيع أن أكمل حياتي على هذا المنوال.. مـــاذا لو أجابتني بنعم.. هل أقبل؟ وهل من حقي من الأساس أن أقبل أو أرفض.. هي ضحت لأجلنا أنا وأخي أكرم كثيرا. تحملت مســـئولية ثقيلة للغاية.. ربما تحتاج ان تشعر بأنوثتها.. لا.. لا.. ما الذي أقوله.. أنوثتها.. أمي.. لا مستحيل..

لقد عاشت كل السنوات الماضية مخلصة تمام الإخلاص لأبي رحمة الله عليه..

لابد أن أنام.. لدي عمل شـــاق ويوم طويل في الغد.. المجلة في الصباح وحفل توزيع جوائز أفضل المطربين في الوطن العربي في المساء.

يتقلب حازم في فراشه.. لكن هيهات.. طار النوم وهاجر بعيدا وذهب بتذكرة ذهاب بلا عودة.. إلى أن أطل أول نور من إشـــراقة شـــمس الصباح. نهض وتحمم بماء ســـاخن ليقضي على إرهاق عضلات جسده الذي يئن من التعب والألم.. ثم ارتدي ملابسه وتوجه الـــي المجلة.. وكان أول الحضور. لم يجد ألا الســـاعي الذي يقوم بتنظيف المكان قبل حضور الســـادة الموظفين والمدراء.. وما أن رأي حازم الساعي وكأنه وجد ضالته.. « اعمل لي فنجان قهوة سادة بن ثقيل» لازم أفوق..

لحقت ندى بأكـــرم أثناء فتحه لباب ســـيارة الأجرة.. بعد عدة محاولات من النداء باسمه في الشارع المزدحم بالمارة والسيارات والباعة..

اعتذر للسائق وتوجه إليها..

ندي: ايه يا أكرم.. لم تسمعني رغم ندائي بصوت عال لعدة مرات وركض وراءك في الشارع وانا مرتدية حذاء بكعب عال كما ترى.. أرهقتني..»

أكرم : مبتسما ومعتذرا في نفس الوقت.. آسف جدا لم أسمعك.. عقلـــي وتفكيري لا يتوقفان عن التفكير فـــي المحاضرة الأخيرة.. كانت شيقة للغاية رغم كثرة المعلومات وصعوبتها..»

نـــدى : أي مادة هذه كي أحذر منها عند انتقالي للصف الثاني..

«أكرم »: انها مادة التشريح.. كم أحبها لكنها مرهقة للغاية..»

ندى : ابن حلال.. انت.. انت يا أكرم فيك شـــئ لله.. لهذا السبب كنت أبحث عنك.. أواجه صعوبة شـــديدة في فهم واستيعاب هذه المادة المرعبة.. التشريح.. ألم يستطيعون أيجاد إسم آخر لها غير اسم التشريح هذا.. الاسم وحده يثير الذعر والرعب.. الحياة والعمل وسط جثث ماتت وزهقت روحها.. أشـــعر أن جسم الإنسان الممد أمامي هذا هو محيط وأنا أبحث عن سمكة معينة داخله..

انفجر أكـــرم من الضحك وهو يضرب كفـــا على كف..» معك كل الحق هذا ما شـــعرت به العام الماضي عندما كنت في السنوات الدراسية الأولى لكن الآن قد تعودت وصرت أحبها ولدي شغف في تعلم المزيد عنها عموماً انا تحت أمرك اســـاعدك بكل عقلي وقلبي إلى أن تفهميها أكثر من كل زملائك.

ندى» قلبك؟!.. عجبتني هذه الكلمة.. إنا كمان قلبي..»

شـــعر أكرم بالحرج وتحدث معها عن مواعيد مناسبة لجدول محاضراته وجدولها كي يجتمعان في كافتيريا الكلية ليشـــرح لها مادة التشريح

"* ولما الكافتيريـــا.. أرى أن تحضر عندنا في البيت أفضل.. الأجواء هادئة ومناسبة.. لي حجرة خاصة بي ومكتب خارج الحجرة وماما توفر لي الهدوء دائما.. وســـوف ترحب بك للغاية وأبي أيضا يشعر بالارتياح لكم انت وأخوك ووالدتك.

" لا أدري ان كان هذا مناســـبا.. دعيني أستأذن أمي وانت أيضا استأذني والدتك.. وعموما الكافتيريا موجودة إذا رفض أحدهم.

ندى» حسناً.. بمناسبة الكافتيريا والكعب العالي الذي ارتديه في قدمي.. ممكن تعزمني على عصير جوافة.. اختار مكان مناســـب.. سيارتي على بعد أمتار من هنا.»

في الســـيارة وأثناء رحلة العودة من دمنهـــور إلى القاهرة .. جلست وفاء في المقعد الخلفي للسيارة بينما كان المحامي الخاص بالاستاذ عزيز رشوان يقود السيارة وبجواره عزيز رشوان.

للمرة الأولى التي تشعر بها وفاء بالأمان التام منذ وفاة زوجها الراحل محمد الصاوى.

كانت قد اعتادت على خوض معاركها بنفســـها بدون داعم او معين والخســـارة في تلك المعارك كان الخيار او النتيجة الحتمية.

لكن اليوم تشـــعر انها أخيرا ممكن ان تحصـــل على بعض او كل حقوقها .. فقد اســـتطاع المحامي التعامل بحزم وقوة وحنكة رجل القانون مع الحاج رســـلان الذي لم يستطع أمامه ان يطلق قذائف التهديدات التي اعتاد في الســـابق ان يفعلها مع وفاء في كل مقابلة بينهما.. فقد ســـلمه المحامي انذارا كتابيا وموثقا بضرورة إخلاء الأرض فـــي ظرف ثلاثين يوما من تاريخه واذا اراد مد فترة الإيجار فلابد من كتابة عقد جديد ببنود وشروط جديدة بعد موافقة الطرف الأول وهو المالك / وفاء سعيد..

رفض الحاج رسلان تسلم الانذار حتى حضور المحامي الخاص به والذي حضر بعد مرور ســـاعتين تناولوا فيها المحامي وعزيز ووفاء طعام الغذاء الفلاحي الشهي في أرضها وأرض أولادها.. كان طعاما شهيا للغاية ممزوج بنشـــوة الانتصار ومعطر بعطر الأمان والراحـــة. خالي من أي ضعف او خوف او وهـــن.. لا للرجفة.. لا التهديد.. لا الابتزاز.. لابد أن يعود الحق الي أصحابه وأن تســـتفيد وفاء من إيجار عادل للأرض يعينها على المعيشة الضيقة وطلبات أولادها.

انتفض قلب وفاء أحدث ضجة في قفصها الصدري شـــعرت بخوف شـــديد ووضعت يدها اليمني على صدرها وهي تتمتم « يا ساتر يا رب» وهي تتذكر تهديد ووعيد في نهاية الحديث.. حيث قال الحاج رســـلان» اوعي يا ست وفاء تفتكري اني هسكت اللي ييجي

عليـــا او على قوت عيالي آكله باســـناني.. وكل حي يحط عقله في رأسه يعرف خلاصه».

لم تتمالك وفاء نفسها وانهالت دموعها وانهارت قواها واستسلمت للبكاء..

توقفت الســـيارة وحاول عزيز والمحامي من تهدئة روع وفاء ومحاولة بـــث الطمأنينة في قلبها.. ولكنها صامتة ولا تقل الا كلمة واحدة» ليه يا دنيـــا تلاعبيني.. كل ما الأمل يقرب وأحس بالأمان.. يرجع الخوف تاني.. إنا م؛ مكتوب لي أفرح!!!

عاد حازم ســـريعا من المجلة الي البيـــت آملا ان يجد أمه وفاء ســـبقته الي البيت كي يحدثها في كل المخـــاوف والهواجس التي تصيبه وأطارت النوم من عينيه ولم يستطع ان يؤدي عمله بالشكل المطلوب... أيضا يريد أن يستعيد امه التي سرقت منه.. سرقها عزيز رشوان... استغل وحدتها وضعفها.. فقام بدور بطل الأبطال عنترة بن شداد.. لا.. لن اترك له الفرصة سوف اهتم بأمي كي تنساه.

لن اترك مقعد البطل شـــاغرا.. كي يجلس عليه ويحتل قلب أمي ويكسر حياتنا الهادئة

أيضاً لابد أن تعود أمي كما كانت تهتم بكل تفاصيل ملابسي عند حضور المناســـبات.. اليوم حفل توزيع جوائز الغناء العربي.. ماذا ارتدي؟.

تقابلا كل من حازم وأخيه أكرم عند مدخل المنزل... وكلا منهما يحمل هما في صدره.. أكرم قد عاد لتوه من المقابلة مع ندى والذي بدا راضيا عن جلســـته معها والتي امتدت لساعتين لم يشعر فيها بالوقت.. وكان راغبا في اســـتمرار اللقـــاء لولا خوفه على ندى من التأخيـــر خارج البيت... يبحث عن أمه كي يقص عليها ما حدث مع ندى ويطلب الإذن في مســـاعدتها في فهم مادة التشـــريح مرتان أسبوعيا بمنزله.

بدأ حازم كلامه لأكرم : « كويس انـــي تقابلت معك الآن... اريد الحديث معك في شـــئ هام للغاية.. لم انم بسببه ليلة أمس.. والجو مناسب للحديث.. ماما لم تحضر بعد..»

أكرم : أنا كمان كنت عايز اتكلم مع ماما..».

حازم :«عما تريد الحديث عنه؟ أهي أسرار بينك وبين ماما؟».

أكرم لا ليست أسرارا لكني أعرف انك مشغول بالعمل في المجلة الي جانب حضور الحفلات وغيره».

ثم قص أكرم على حـــازم بداية حكايته مع ندى وانه يشـــعر بالســـعادة وختم كلامه « ها يا حازم كنت تقول انك تريد الحديث معي في أمر هام .. قبل حضور ماما.. إني اسمعك».

حاول حـــازم الحديث لكن أمام فرحة أكرم أخيه الأصغر تراجع وشعر انه لابد أن يحســـم هذا الأمر مع الأم دون علم أكرم... يكفي انه سعيد. "

فأجابـــه انه كان يريد أن يأخذ رأيه فيمـــا يرتدي الليلة للذهاب لحفـــل جوائز الأغنية ونظرا لغياب ماما فأنت يا أكرم من ســـيحل محلها.

ضحك الاثنان، أكرم من قلبه لكن حازم رسم الابتسامة بصعوبة.

فتح اشـــرف باب البيت ليسمع صوت قرآن يتلو آيات من سورة « الرحمن». ولمح أمينة واقفة أمام صورة كبيرة مثبتة على الحائط وعليها شـــريط اســـود مائل ومكتوب تحتها بالالمانية. Monika Baumann.

و آثار البكاء تبدو على وجهها والانتفاخ الظاهر أســـفل العينان الزرقاوان الجميلتان.

تقدم أشرف وعانق ابنته.. وقال.. الله يرحمها.. ذكراها الخامسة عشرة.

بالطبع لم تكن هـــذه الصورة ل مونيكا ولا تمت لها بأي صلة.. إنما اقدم أشـــرف على تلك الفعلة ليجيب عن تســـاؤلات أمينة منذ الصغر عن صورة لأمها... تريد أن تـــرى ملامحها.. فجلب صورة لإحدى لاعبات الكرة النســـائية المعتزلة وتوجه لمحل واســـتوديو تصوير طلب تكبير الصورة وبجودة عالية ووضعها في إطار ذهبي مع الشريطة السوداء.

و منذ ذلك الوقت لا تنســـى أمينة الاحتفال بذكرى وفاة الأم كل عام وكأنها تقيم عليها الحداد..

و لكن اشرف في كل مرة يجيد التمثيل ويمثل دور الزوج الحزين على زوجته الرحلة.

أمينة : لقد وعدتني ان نعـــود إلى بلدنا.. إلى مصر.. بعد انتهاء امتحانات الثانوية العامة

مر اسبوع ولم اسمع منك يا أبي اي خبر..»

أشـــرف : والأمر ليـــس بهذه الصورة يا أمينـــة.. لابد أن أنهى متعلقاتي في الجامعـــة التي أعمل بها وبعدهـــا نبيع ما نملكه.. السيارة والأساس والأجهزة الكهربائية..

أمينة : أشعر بوحدة فظيعة تزداد يوما بعد يوم.. ليس لي إخوة او أخوات.. ليس لـــي أم.. ليس لي أقارب.. أريد أن أرى عمتي وفاء التي حدثتني عنها ولم تزورنا او نزورها يوما واحدا... أيضا أولادها.. لا أعرف عنهما الا الاســـم فقط حازم وأكرم... هذه هي حياتي.... عشت عمري بأكمله مع الشغالات والمربيات.... أحيانا هندية وأخرى فلبينية وثالثة اندونيسية ورابعة ماليزية. حتى الوحيدة اللي تحدثت معي بالعربية كانت مغربية ولم أكن أفهم نصف ما تقول... الوحدة تقتلنـــي ولا أخرج الا قليلا وليس لدي أصدقـــاء دائمين... ولابد أن أغطي شعري وأرتدي الحجاب.. وكل من يقابلني يتخيل انتي أوربية ودخلت الإسلام حديثا لأنني شقراء بعيون زرقاء.

تعلمت تفاصيل مهمة لأي بنت من الدادات والمربيات.. أين أمي كي تعلمني النظافة الشـــخصية والاهتمام بالنفس... الله يرحمك يا أمي أحتاج إليها كثيرا وأشـــتاق الي وجودها.. نفسي ارتمي بين أحضانها.

. دخل حـــازم الي قاعة الاحتفال مرتديا بدلة ســـوداء وقميصا أبيض وبابيون أســـود وحذاء اســـود لامع.. وفي يده كارت الدعوة الخاص بالحفل.. يحاول الابتسام... لكن الإرهاق والتعب أقوى من أي ابتســـامة تحاول أن تجد لها طريقا على وجهه وشفتاه...َ بعد التحيات والسلام مع بعض الحضور والتعارف على بعض المطربين والمغنيين وكذلك الموســـيقيين.. اقتربت منـــه إحدى المطربات وسألته عن اسم الجريدة التي يعمل بها... قدم نفسه إليها.. واذا بها تلقى عليه باللوم والعتـــاب.. وأن الفيديو كليب الاخير تحدثت عنه كل المجـــلات الفنية إلا مجلته.. لم يجد حازم ما يرد به الا المجاملة الشـــديدة والأدب الجم.. وأنه سوف يهتم ويتابع أعمالها... واذا بها تضع أمامه على الطاولة ظرف ابيض صغير قائلة « انا مش ناسية.. عاملة حسابي.. عايزة أقرأ وأشوف صور لأعمالي في مجلتك...».

نظـــر حازم الي الظرف بعد. إن انصرفت المطربة... واذا برجل يجلس على طاولة أخرى بجواره.. يبدو أنه كان يتابع الحوار كعادة الناس تنظر وتسمع ما يدور حولها باهتمام وفضول شديد.. « خذه

انها نقود.... إكرامي يعني علشان تهتم بها وتتحدث عن أعمالها... نجمة تريد أن تصعد ولا تعرف الهبوط».

نظر إليه حازم ونظـــر الي الظرف ثانية « لكن انا لم أعتد على ذلك... والصح اني اكتب عن أعمالها من منظور النقد الفني... ولن أجامل ان كانت أعمال جيدة... او غير ذلك».

ضحك الرجل وقال : يبدو أنك مازلت في سنة أولى.. خذ الفلوس ودي فقـــط البداية.... هذا عرف مدركه نحـــن أصحاب الخبرة في تحرير المجلات والنقد الفني... الكل يأخذ.. كذا فريق عمل التصوير.

دس حـــازم الظرف في جيبه دون أن يعلـــم كم من النقود واذا برجل آخر ببدلة أنيقة يقترب منه.. ويبادره بســـؤال « هل انت ناقد فني في المجلة الفنية؟».

قبل أن يجيبه حازم ظن انه مطرب وســـوف يترك له ظرف هو الأخر.

نعم انا حازم الصاوى.. ناقد فني « فإذا بالرجل يسأله» اذا اين الاستاذ عزيز رشوان؟ لم اره بين الحضور في الحفل.. لقد أكد لي على حضوره».

استشاط حازم غضبا وكأنه تناســـي عزيز.. الذي بصحبة أمه فترات طويلة من الايام الماضية.. لا بد انه مازال مع أمه في دمنهور لحل مشكلة الأرض مع المزارعين.

لم يجب على سؤال الرجل وســـار بعيدا عن الحضور... انزوي بركن لا يجلس فيـــه أحد والغيرة على أمه تقتله والغضب من عزيز رشوان يكاد بخنقه...

لابد وان يفعل شـــيئا لإيقاف هذه المهزلة.. حاولت الحديث مع أكـــرم لكنه يعيش في عالم آخر بين الكلية والدراســـة والموضوع الجديـــد او الحب الجديد « ندى»... حكاية يبدأها وقلبه يدق معها.. لا أريد أن أفسد عليه السعادة التي وجدها... لابد أن أنهى هذا الأمر مع أمي ومع عزيز نفسه.. حتى ولو كان له أفضال على.. هذه نقرة وتلك نقرة أخرى.

قص أكرم على أمه ما كان مـــن أمره مع ندى وأن إهتمامها به قد جعله يفكر بها بشـــكل مختلف.. ثم استأذنها ان كانت توافق ان يساعدها في مادة التشريح في بيتها وبين أسرتها.

أجابته وفاء وهي تشعر بتعب شـــديد.. طبعا يا حبيبي موافقة وسعيدة لك... أنا ثقتي بك كبيرة... أعذرني اريد ان اتحمم وانام... لقد كان يوما طويلا.. مرهقا للغاية ولولا مســـاعدة عزيز رشـــوان والمحامـــي ما اســـتطعت ان أخرج باي نتيجة مـــع هذا الحاج / رســـلان... كان سيلاوعني ويماطل ويؤجل ويهدد مثل كل السنوات المنصرمـــة... لكن وجود المحامي ومن ورائـــه عزيز صنعا فارقا في لغة حواره معي وفي موقفه.. فالكلمة الآن بيد القانون وليســـت

بالحلول الودية وقريبا سيكون الايراد كبير وسوف أقسم بينك وبين أخيك حازم.. فكل منكما يحتاج إلى مصاريف كثيرة.

عاد عزيز الي بيته... بيتا خاليا من أي دفء.. كل شئ قابعا في مكانـــه كما تركه في الصباح.... أثاث البيت عتيق للغاية.. هو نفس الأثـــاث الذي تزوج به وعاش بين جناته مع ابنته وزوجته الراحلة.. ارتمي على مقعد وثير مريح.... قديما لكنه مريح للغاية.. ولم يمنع عقله من التفكير في وفاء ورقتها وأخلاقها رغم اقترابها من ســـن المعاش مثله لكنها تبدو في الثلاثين من عمرها.

فتح باب الشـــقة ونادي على البواب وطلب منه إحضار بعض السندوتشات من المطعم الملاصق للعمارة.

أكمل طعامه وشـــرب كوبا من الشـــاي.. واسلم جسده للسرير وراح في نوم عميق. ونسي انه من المفروض ان يحضر حفل جوائز الغناء العربي ولم يشـــاهد بطاقة الدعـــوة الموجودة على الطاولة بجوار السرير.

مرت عليه ســـاعات الليل وهو ينام نوما مريحا دون قلق.... هل ســـيتبدل الحال.؟ وتدخل وفاء حياته لتطرد شعور الوحدة القاتل لتهتم بترتيب بيته وأمور حياته... هذا ما كانت ابنته تتمناه... دائمة الطلب « اتجوز يا أبي لا تعش وحيدا»

استيقظ في الصباح كعادته واستعد للذهاب المجلة.

و ما ان خرج من باب الشـــقة وأغلقه خلفـــه الا وانهالت عليه اللكمات باليد وبعصا غليظة سـمع من يقـــول « انا هعلمك الأدب واعرفك انت بتتعامل مع مين يا عزيز يا رشوان.

ســـقط على الأرض مغشيا عليه والدماء تجد طريقها من جسده المجروح إلى أرض سلم العمارة.

في المستشـــفى أمام الضابط الذي حضر للتحقيق في واقعة ضرب عزيز رشـــوان... سأل الضابط بواب العمارة الذي أحضره.. هل رأيت من فعل ذلك؟

البواب : لا.. كنت اشتري بعض الأغراض للسكان.. لكن سمعت الاســـتاذ عزيز وهو ملقي على الأرض وقبـــل أن يغمى عليه يقول «حا... حا.... حا...» ثم فقد النطق.!

نظر الضابط الي البواب مستنكرا ما سمعه.. ما هذا.. ماذا تقول؟ ما معنى « حا.. حا.. حا».

البواب : لا أعلم يا ســـيادة الضابط لكن هذا ما كان يحاول قوله ولم يستطع إكمال الكلمة او الجملة.

حضرت وفاء الي المستشـــفى بعد أن طلبها الضابط من هاتف عزيـــز حيث كانت هي آخر من تحدث معه علـــى الهاتف وبعد أن ســـمعت ان آخر ما قاله عزيز هو « حا.. حا.. حا» ظنت انه حازم...

ربما يكون له دخل بهذا الأمر فهي تلاحظ عدم رضاه عن مســـاعدة عزيز رشوان لها والذهاب معها الي الأماكن الحكومية وإنهاء بعض المشكلات.

وبعد أن اطمئنت على عزيز وإنه ســـيكون بخير... بعد حديث قصير مع الطبيب المعالج.. قامت بالعودة إلى البيت.. وجدت حازم يستعد للخروج المجلة.

لمـــا فعلت هذا يـــا حازم «.. عزيزانســـان محتـــرم ويحاول مساعدتي... هل وصلت إلى هذة الدرجة من الجنون.

حازم : فعلت ماذا؟

وفاء : اذهب الى المستشـــفى لزيارة ضحيتك.. لكن الله انقذه وسيعود سالما بعد أيام قليلة

استطاع الضابط من أخذ أقوال عزيز بعد تحسن حالته.. ووجد الضابط حلا للغز.. باقي الجملة.. حا.. حا.. حا « إنه حاج رسلان... حضـــر اليه ومعه رجلان وقاموا بضربه لإثناءه عن مواصلة التدخل فيما لا يعنيه ويبعد عن وفاء والأرض.

أثناء زيارة وفاء لعزيز رشوان وهي تشعر بالأسل لما حدث له... وجدت على وجهه علامات السعادة والفرح وأول كلمة قالها ل وفاء» مبروك.. الف مبروك يا وفاء».

استنكرت واســـتغربت وفاء مما سمعته « مبروك على ماذا ولما كل هذه الفرحة وانت لازلت في فراش المستشـــفى ولن تخرج قبل اسبوع حسب كلام الطبيب

ضحك عزيز قائلا « اللي عمله الحاج رسلان.. قال حاج قال... ده سهل علينا كتير قوي ووضعه تحت طائلة القانون وصار التخلص منه وطرده خارج الأرض أمر في منتهى الســـهولة... لقد انتهيت لتوي من محادثـــة هاتفية مع المحامي وهـــو الآن قد حصل على محضر الشـــرطة بواقعة الضرب وتتوجه قوة اليه الآن للقبض عليه بتهمة الشروع في القتل....».

أشـــاحت وفاء وتذكرت حازم... لقد ظلمته.. ظننته هو من فرط غيرته قد أقدم على تلك الفعلة.. لابـــد أن زدت الطين بلة وجرحت مشاعره وكأني أخذت صف عزيز وأخاف عليه أكثر منه.

ندى : اتفضل يا أكرم

دخل أكرم من باب شقة ندى واسرتها.. باب عريض من خشب مميز الشكل... عرض واتســـاع الباب تقريبا ضعفي أبواب الشقق العادية والمعتاد رؤيتها.

رائحة المكان بين عطـــر الورد وعبق التاريـــخ.... الكثير من الخشب... حوائط مجلدة بخشـــب يبدو غالي القيمة والثمن وأثاث يشعرك انك في بيت ارستقراطي في مطلع القرن العشرين ويتوسط

المكان نافورة صغيرة ومن خلفها سلم خشبي يؤدي إلى أعلى... لم يستطع أكرم الصبر على تســـاؤلات عدة « هل هذا سلم يؤدي إلى الصندرة.. اي مكان التخزين؟»

ندى : « لا يا أكرم.. ضاحكة.. انه يؤدي إلى الطابق العلوي.. هذه ليست شقة بالمعنى المعتاد.. انها فيلا دوبلكس... قام أبي بشراءها وهي في مرحلة البناء.. اي قبل التشطيب.. اشتري مساحة الطابق الثالث والرابع.. وأعاد تصميمهما وجعلهم وحدة واحدة بسلم داخلي يربط الطابقين فصارت فيلا دوبلكس.. هكذا يسمونها... إنا لا أفهم كثيرا في أمـــور الديكور والبناء هذه... لكن هذه بعض الجمل التي ســـمعتها من أبي.. أيام كان يشرح لأمي ونحن في بيتنا القديم قبل الانتقال إلى هنا»

رائعة.. فعلا رائعة. أباك هـــذا فنان فعلا... واضح ان الفنون لا تتجزأ ومرتبطة ببعض.. عميد معهد الفنون.. لابد أن يكون فنانا في كل شيء حتى الديكور.

استمر أكرم في شـــرح. مادة التشريح لندى وهي تسمع بأذنها أحيانا وتنظر اليه خلسة أحيانا أخرى وهي تتأمل ملامحه عن قرب وبالتفصيل.. أنفه.. عيناه... شفتاه.. حاجباه.. شعره.. بياض بشرته وأصابع يده وهو ممســـك بالقلم والجدية الظاهرة عليه وهو يشرح على ماكيت هيكل عظمي وحان الوقت لينصرف.

دست ندى بورقة مطوية.. ووضعتها داخل حقيبة يد مخصصة للأوراق.

اســـتيقظ حازم متعبا بعد نوم ساعتين فقط .. نهض يبحث عن هاتفه.. دس يده في جيب ســـترته... وجـــد الهاتف ومعه ورقة... أخرجها.. آه انها.. الظرف الأبيض.. تلك المطربة.. لابد أن اكتب عنها غدا أذا قررت الاحتفـــاظ بالمال او ارجاعه إليها... فتح درج طاولة بجوار الفراش ووضع الظرف فيها... وأمســـك بورقة وقلم وبدأ في كتابة مقال الغد.. ولم يلحظ انه اســـتخدم أجمل وأرق العبارات في مدح تلك المطربة وكأن قلمه اختار ان يحتفظ بالنقود.

هل تعد هذه رشـــوة او إكرامية كما يسمونهاأو حافز إجادة أم مكافأة على محاولة مســـاعدة فنانة شـــابة ان تجد طريقها وسط عمالقة القدامى والحاليين... من حقها اســـتخدام اي أســـلوب كي تبرز موهبتها اذا كان المجتمع لـــم يعطها الفرصة للظهور وليس لها جمهور فهي وســـيلة جديدة لعمل جمهور... آراء النقاد.. يا لها من تأثير.

دخلت عليه وفاء... احتضنته « آســـفة اني اتهمتك او فكرت فيك بأي سوء.. اعذرني... خوفي في المقام الأول عليك.. ليس اي انسان آخر... بالطبع... أشـــعر بالحزن للإصابة عزيز لأنه دوما في صفي ويحاول مســـاعدتي قدر الإمكان... لكن انت ابني وانا ربيتك على

الخير.... ليس في بيتنا هذا مكان للشر أو الايذاء .... خوفي عليك من العاقبة... لا اتحمل أن تتورط في أي عمل ضد القانون... اعذرني يا ولدي.. قلبي ومخاوفك تختلف عن اهتماماتك ومخاوفك.

حازم والدموع ملئ عينيه « انا حاســـس انك تضيعين مني ... لا اريد ان أفقد أمي.. حبها ورعايتها هما الســـند الحقيقي لي في الحياة.. إنا كبرت مع أخي أكرم ولا أعرف أما غيرك ولا أبا غيرك انت أيضا. فمن الصعب عليا أيضا ان اراك مجذوبة ناحية هذا العزيز وأنا صرت في المرتبة الثانية.

وضعت وفاء يدها على فم حازم.. أرجوك لا تكمل.. توقف.. أنا لم ولن أضيع منك.. أنت وأخوك كل حياتي وستظل في المرتبة الأولى ولن يحل محلك أحد علـــى الإطلاق.. علاقتي بعزيز لا تتعدى علاقة صداقة.. أخوة . إنا كبرت في الســـن يا حازم وليس لي أصدقاء او أسرة أو سند.. حتى أخي الوحيد أشرف.. خالك.. صلتي به ضعيفة للغاية منذ سنوات والمشكلات والازمات تزداد من حولي وأنا مهما كنت أمرأة ضعيفة أحتاج للصديق.... أحتاج لمن هو من عمري كي يفهمني.. لا أحتاج أكثر من الكلام والفضفضة.

لكن فوجئت بعزيز يلعب دورا أهـــم من الكلام والفضفضة.... السند.. حلال العقد والمشاكل.. لم يتأخر لحظة عن المساعدة بكل ما أوتي به من قوة وجنـــد المحامي الخاص به للدفاع عني في كل أمر او مشـــكلة أغانيها... فلا تظلمه او تظلمني.. هو أخ.. صديق..

ليس إلا.. وهو يفهم هذا جيدا ولم يحاول ان يتعدى حدوده... نحن في هذا السن لا نبحث عن حب او مشاعر او ارتباط جسدي.. فقط الونس والسند.

الونس والسند... تذكر هذه الكلمات.

و مسحت دموعه بيديها الحانيتين وضمته الي صدرها.

حازم : الآن فقط استطيع ان أنام.

فقامت وفاء بوضع الغطاء عليه وتلاعبت بأصابعها في شـــعره ورتبت على ظهره وتغني له أغنية العصفورة السعيدة.. كما كانت تفعل في المهد منذ صغره.

أغلقت ستائر النافذة باحكام وأضاءت مصباح ليلى أزرق بضوء خفيف وسارت ببطء وفتحت باب الغرفة وغادرت وقلبها لا يتوقف عن الدعاء له بالحماية والستر والرزق والعافية.

في الصباح استعد أكرم للذهاب للجامعة... وقام بمراجعة الكتب التي سيحتاجها في ذلك اليوم... واذا به يجد الورقة التي دستها له ندى بالأمس « أكرم.... ودائما انت أكرم... اكرمتني عندما سامحني وقت إهانتي لك... أكرمتني عندما دعوتني أول أمس وجلســـنا في كافيه واســـتطعت ان أقترب منك أكثر... أكرمتني بشرح مادة من أصعب المواد... التشـــريح وعلى يديك استطعت فهمها... انت فعلا أكرم.

ها ممكن هذه المرة ان تكـــون أكرم أكثر وتقبل ان تدخل قلبي الذي يدق بشدة دون توقف كلما يراك... اسمح لي أن أقترب أكثر... افتح لي عقلك وقلبك»

فتاتك / ندى .

قرأ أكرم الخطاب مرات ومرات وشعر بدقات قلبه تزداد مع كل كلمة وقعت عيناه عليها... شـــعور لم يـــذق طعمه من قبل... لكنه جميل ومنعش.. يجعلك تطير في الهواء دون جناحين.... تنسى من انت ومشـــاكلك ولا ترى الا المستقبل وتحلم ثم تحلم.... تحلم اكثر وأكثر دون توقف.

و قدماك يقودانك الي الذهاب إليها ...نعم لابد انها سبقتني الي الجامعة.... جايلك يا ندى يا فتاتي.

في حفل كبير أقامته الجامعة على شرف أشرف بمناسبة انتهاء عمله ورحيله من الجامعة وعودته الي مصر.. كانت أمينة أشد الناس فرحا رغم حزن بعض زملاء أشـــرف لمغادرتـــه الجامعة وإنهاء عمله.... هكـــذا الحياة.. انت تتعامل مع أناس تظن انهم ملائكة ولا تعلم انهم قضوا أكثر من نصف حياتهم في ظلم من حولهم وأقرب الناس إليهم... فلن يتخيل أحد من زملاء اشرف أو تلامذته الدارسين والدراســـات أنه متهم.. زوجته لم يطلقها وخطف طفولتها وحرم الطفلة مـــن أمها.... ثم هرب.. وبعدها ادعـــي ان الأم ماتت وحكم

باليتم على الصغيرة ورماها بين أحضان الدادات والمربيات من كل جنسية ولغة ولون.

و الآن هو يكرم وابنته لا تعلم عن قذارته شـــيئا.... كل سعادتها في عودتها لمصر.. للأهل الذين لم تقابلهم قط... للقاء عمتها وأبناء عمتها... ثم الالتحاق بالجامعة والتي قررت أن تلتحق بكلية الألسن.. قسم اللغة الألمانية.. وكأن بها جذور وخلايا تدفعها للميل والانقياد وراء اللغة الالمانية... لغة أمها (الحية – الميتة)

و بعد سماع الكلمات المنمقة والرنانة والخطب العصماء... كان ختامها مسك أن قدمت الجامعة شيك بمبلغ باهظ لاشرف كمكافأة نهاية الخدمـــة وكأن الدنيا تكافئ الظالـــم وتعينه وتعطيه المال والنفوذ للاستمرار في ظلمه. لكن يأبى قانون السماء من استمرار هـــذا الهزل كما وعدنا وأخبرنا الخالق العظيم عن نفســـه « إن الله يمهل ولا يهمل».

حاول حازم اســـتعادة هدوءه بعد مـــرور الزوبعة والعاصفة بســـلام.. زوبعة عزيز رشوان المســـيطر علي امه وفاء، وبدأ يفهم بلسان وفاء الامر وتتضح له الصورة..

شـــرع في كتابة مقال اليوم التالي، وبينما هو في المنتصف.. وُضع امامه ظـــرف وردي اللون، تنبعث منه رائحة عطرية جميلة، رفع رأســـه فإذا به أمام امرأة جميلة للغاية ، بوجه غاضب لا يخفي مناطق الجمال في وجهها، وقبل ان ينطق.. قالت: « انت بقي..حازم

الصـــاوي، الناقد الفني الصاعد !! " ، شـــعر حازم بنبرة تهكم في حديثها، التزم الصمت وحاول تهدئتها والاســـتماع اكثر اليها عله يفهم ماذا يحدث..

وبعد نقاش وجدال تخلله الكثير من السخرية والغضب والتلميح بالتهديد وعبارات من شـــاكلة « انت لا تعرفنـــي جيدا، احذر من غضبي، انا ممكن اقلب الدنيا عليك» وعبارات اخري من هذا القبيل..

اخيرا تحدث حازم « نعم، فهمت سر غضبك وبدون تهديد يمكن بالحوار تدارك الامر»

دفعت بالظرف الوردي اقرب ناحيته وقالت: « هذا لك .. شـــوف بقي انا قدري ايه وقدرها وقيمتها هي ايه ؟!!»

فتح حـــازم الظرف الذي انبعثت منـــه رائحة عطر يبدو باهظ الثمن..

كان المبلغ تقريبا ضعف ما كان في الظرف الابيض يوم الحفلة منذ عدة ايام، انها الفنانة المنافســـة للفنانة الاولي والتي كتب عنها حازم ما يكفي لرفعها الي عنان السماء .. ثم عقبت: « دي بس دفعة اولي .. القادم افضل.. المطلوب سلسلة مقالت وليست مقالة واحدة، عايزة اشوف حاتعمل ايه، من كان قبلك اطلق علي ..نجمة الجيل.. فماذا تعطيني انت من القاب، سوف انتظر واري..»

ثم غادرت وكأنها تعرف طريقها جيدا بين دهاليز المجلة..

ظل حازم قابعا في مكانـــه بلا حراك ، « ما هذا العالم الغريب، قبل عدة أيام..ظـــرف ابيض..نقود..اكرامية..المدح والتفخيم، هل اثارت مقالتي الماضية غيرة الفنانة المنافســـة التي لم ترفع الراية البيضاء وتقرر الاستمرار في المعركة، ليرتفع سقف المزاد وها هي تقدم ضعف المبلغ مع رائحـــة أنثوية عطرية نفاذة..، عالم غريب، عالم النجوم والمطربات والان مطلوب مِني سلســـلة مقالات، فهي أقامت الدنيا ولم تقعدها علي مقالة واحدة، فما هو الحال اذا كتبت سلســـلة مقالات تبجيل في هذه الفنانة، ربما تعود الاولي مرة ثانية بسقف أعلي، الي اين نحن ماضون، هذا جنون.. لكن انا المستفيد، ولم لا ؟ فأنا احتاج الي المال اكثر منهم..

دخل عزيز الي قسم النقد الفني بالمجلة، تهافت وركض إليه كل المحررين والنقاد والعاملين بالجريدة، إلا حازم الذي لزم مكانه ولم يعـــرف كيف يتصرف، إذا ركض إليه فربما يعد هذا بمثابة إعتراف ومباركة علاقته بأمه وفاء، وإذا تجاهله فســـوف يثير تســـاؤلات وفضول الزملاء، ولا حاجة للكلام عن فضول المشتغلين بالصحافة أياً كان اتجاهها، سياســـي، اقتصادي، فني، الصحفي هو المرادف لكلمة الفضول والســـعي وراء المعلومة فـــي كل بلاد الدنيا، الكل متشابه مهما اختلفت جنسياتهم او لغاتهم ودياناتهم.

نهض من مقعده ببطء شـــديد وتعمد السير بتثاقل ووضع يده علي رأسه وتظاهر بالإعياء، القي التحية علي الجميع ووجه حديثه للأستاذ/ عزيز رشـــوان رئيس القسم ورئيسه المباشر..«حمدا لله علي السلامة يل ريس» ثم صمت برهة واضاف «المكان كان مظلم من غيرك ..اعذرني، عندي صداع فظيع.. سأعود الي مكتبي»

بالطبـــع فهم وأدرك عزيز بخبرته العريضة ما يمر به حازم من أزمة داخلية، احترم فيه عدم إظهار اي مشكلات بينهما امام الزملاء، مع علمه يقيناً ان الاصطدام مع حـــازم حتمي وقادم لا محالة وان كلاهما لابد وان يخرج ما في جعبته.. ما يمر به من اوجاع داخلية، عليه ان يصفي الجو مع حازم كي تستمر الحياة الشخصية والعملية.

قادت ندي سيارتها تشق طرقات القاهرة المزدحمة ثم اتجهت ناحية المعادي ثم كورنيش المعادي، توقفت امام مرسي لليخوت، أمسكت بيد أكرم وســـارت به وهو لا يعلم الي اين هو ذاهب، لكن تنفيذا للوعد الذي قطعه علي نفسه قبل ان يدخل سيارة ندي وإنفاذاً لرغبتها " اوعدني انك مش حا تسأل ولا تعارض ما سوف افعله ".

ســـار كلاهما علي ممر خشبي ضيق يربط بين الرصيف ويعبر بهم الي يخت قابع امام مرســـي صغير بصوت محرك هادئ يكاد لا يســـمع، طلبت ندي من أكرم ان يغمـــض عيناه قبل عبور الممر الخشبي الضيق، سار خلفها ممســـكا بيدها كأنه طفل متعلقا بيد

أمه خشية ان يتوه، دخلا اليخت .. موسيقي تانجو لاتيني تخرج من السماعات الجانبية والمثبتة بالسقف « افتح عيناك الان» ، قالت ندي هذه الجملة بعد ان تحرك اليخت وابتعد عن المرســـي بعدة أمتار وشق طريقه ضاربا موج نهر النيل بمقدمته المدببة.

ياله من جمال.. نظر أكرم حوله، كل شـــئ رائع وجميل، يخت رائع يشع جمالا وسحرا.. ندي ..أيقونة الجمال.. الموسيقي..رائحة الطعـــام، تقدم نحوهما النادلة بصينية عليها كأســـان من عصير البطيـــخ المخلوط بالاناناس، لم يجد أكرم ما يقوله ســـوي « انت جميلة اوي يا ندي .. انا اللي المفروض كنت أعمل كل ده.. باكتشف رقتك كل يوم»

ندي: « مفيش فرق بينا.. مين يعمل، مش مهم، المهم يكون نابع من القلب فأنا مع اعظم رجل في الكون، سأحدث أولادي عنك وعن علمك ورجولتك واحترامك لي كل يوم..»

أكرم: « قصدك اولادنا، حاتكوني اجمل واعظم أم .. وجدت فيكِ حناناً يكفي كل البشر .. انا محظوظ بيكي يا ندي»

اســـتمر اليخت في الابحار والهواء المنعش يتلاعب بشعر ندي الطويل المنسدل علي كتفيها وحرك بعضا من شعر أكرم القصير، صعدا الي الطابـــق الاعلي باليخت حيث كان الطعام معدا، .. تناولا طعامهما بشهية..

حاول أكرم ان يســـأل ندي عن اليخت لكنه كان مترددا ويشعر بخجل شديد وكأن ندي قد قرأت ما يدور في عقله بمجرد النظر الي عينيه، أجابته بشكل قاطع وحاسم.. :» هذا اليخت معداً للايجار بكل تجهيزاته.. يتم حجـــزه بيومين علب الاقل قبل الميعاد المحدد ولك ان تختار الطعام والمشروبات حتي نوع الموسيقي التي تسمعها، يأخذنا في رحلة لمدة ساعتين عبر نهر النيل ثم يعود بنا الي نفس المكان، صديقة لي قـــد حدثتني عن تجربتها معهم قبل ان أقلبلك، وكانت سعيدة للغاية وأنا رفضت خوض هذه التجربة الا مع الحبيب الذي يرسله لي الله، زوج المستقبل ومالك قلبي !! ”

مر الوقـــت بينهما كأنه حلم جميل.. موســـيقي ورقص هادئ، الهواء المنعش، جمال القاهرة ليلاً المزدانة بالاضواء المتلألئة علي حافتـــي النهر مع خرير المياه الهـــادئ ونعومة جريان اليخت مع حركة الامواج من حوله..

عاد أكرم إلي بيته ولا شـــئ في عقله او مخيلته سوي ساعتين أبحر فيهما مع الحبيبة .. ولا يزال غير مصدقاً انها قد رتبت وفعلت كل هذا من أجله، وانها باتأكيد قد تكبدت مبلغا كبيرا لإستئجار ذلك اليخت العظيم..

تقابل مع اخيه حازم في البيت ولم يستطع ان يحتفظ بمشاعره لنفسه، كان واضحا علي ظاهرا جلياً علي وجهه سعادة من نوع جديد لم يراه أخيه الاكبر حازم عليه من قبل، وبالطبع بادره بالســـؤال..

ولم يكمل حازم سؤاله حتي ترك أكرم للسانه الفرصة وفتح أبوابه الموصدة، وقص علي حازم ما حدث في يومه..، لم يصدق حازم ما سمعه، أن هناك فتاة تهتم بأكرم أخيه الاصغر إلي هذا الحد، ولكن أكثر ما يخيف أكرم وباح به لأخيه حازم هو كيف له بظروفه المادية المتواضعة ان يتكفل وينفق علي ندي بهذا المستوي المرتفع، فهو لا يملك شقة أو مهراً أو شبكة ولا شئ علي الاطلاق فهو لا يزال طالباً وأمه هي من تنفق عليه..

لم يتوقع أكرم الاجابـــة المغلفة بثقة واضحة وجريئة من حازم حيث قال: « ولا يهمك، أخوك في ضهرك..جيب الســـبع ما يخلاش، سأتكفل بكل شئ..»

بجوار النافذة، جلست أمينة تراقب وتترقب لحظة دخول الطائرة الاجواء المصرية، تنظر عبر النافذة تارة وعلي الشاشة المثبتة أمامها تارة أخري..وبجانبها أشـــرف ابيها..، تتراقص الافكار في عقلها، الكلية الجديدة ..كلية الالسن، عمتها وفاء وأبناء عمتها حازم وأكرم، هل ســـتحب الحياة في القاهرة ؟ ، وهل ســـتجد أصدقاء يكسرون حواجز الوحدة والملل، تشعر وكأنها قادمة ومقبلة علي المجهول..

إرتطمت عجلات الطائرة بأرضية مطار القاهرة في سلاسة دون أي إزعاج للركاب، أمســـكت أمينة بذراع أمينة، وهي تخرج من باب الطائرة وتســـير عبر الطرقات إلي ان تصـــل الي طابور يصل الي

ضابط الجوازات الذي سيضع أول ختم للدخول والاستقرار في بلدها بلد أبيها مصر..حيث هي أول زيارة كما هو أول سفر بالطائرة.

نظرت إلي أعلي.. شـــاهدت لوحة ضخمة مكتوب عليها « ادخوا مصر إن شاء الله آمنين»

نظر اليها ضابط الجـــوازات.. تفحص وجهها، ثم انتقل بنظره إلي أبيها أشـــرف، ورفع يده بالختم الدال علي الوصول.. لكنه أعاد يده ووضع الختم جانبا، ثم أشـــار الي أحد المساعدين وقال لأبي: «أذهب معه» .. بعد ان أعطاه جواز سفري وجواز سفر أبي.

دخلنا مكتبا جانبيا يجلس خلفه ضابط شرطة ربما برتبة عقيد علي قدر علمي، والذي بدوره وجه بعض الاسئلة لأبي، كالأسم وناريخ الميلاد، وأين كان طيلة السنوات الماضية، ثم تركه برهة وخرج.. ثم عاد بعد قليل، ليلقي علينا بقنبلة لم يتحملها قلبي الضعيف..

" انت يا أســـتاذ/ أشـــرف مطلوب القبض عليك، في تهمتين.. إســـمك مدرج علي قوائم الترقب والوصول، للأســـف ستظل معنا بعض الوقت الي ان تُعرض علي النيابة العامة في الصباح.. ".

ظلت أمينة في حالة من الانهيار التام مما ادي الي هبوط ضغط الدم لديها، مما اضطر سلطات المطار الي احضار رجال الاسعاف والذين بدورهم أشـــاروا الي انه من الافضل نقل الانســـة أمينة الي المستشفي لمتابعة حالتها..

نظرا لضعف وهزال جســـدها وأنها ربما تعانـــي من الانيميا ونقص بعض المعادن والفيتامينات، هكذا كانت أمينة منذ الطفولة، نحيفـــة لا تحب الاكل كثيراً نظرا لغيـــاب الام وقضاء معظم أيامها مـــع المربيات اللواتي لم تجد فيهن ضالتهـــا من البحث عن حنان ورعاية الام.، دائما ما تتســـائل: « لماذا امي انا ماتت وكل أقراني في المدرسة، امهاتهن علي قيد الحياة ويغمروهن بالحب ويحضرن معظم الحفلات والمناســـبات المدرســـية، وهذا مالم يستطع أبي تعويضه ولا أي مربية.

شاهد أشرف إسترخاء واستسلام ابنته أمينة علي حمالة الاسعاف والعرق يتصبب من جبينها وجســـدها البارد ممداً في ســـكون بلا حراك علي الحمالة ولمح وهي تبتعد وســـط رجلي الاسعاف الذان يحملانها، قطراتٍ من دمع تنهمر من عينين مغمضتين وكأنها تريد ان ينزل ستار مسرحية وكابوس حياتها الهزلية، أم ماتت ولم تراها أو تلمســـها أو تسمع صوتها او تشـــعر بضمة صدرها.، واب في قبضة الامن ومتهم ببعض التهم، .. الاســـتاذ الجامعي، عندما يقرر العودة الي بلده يتم احتجازه..

لم يتمالك أشرف نفسه من الاشارة بكلتا يديه وهو يصرخ بأعلي صوته : « بنتي .. أمينة .. بنتي»

أنا عايز تليفون، لازم أعمل مكالمة هاتفية .. بعد ان ســـمح له الضابط بالمطار من إجراء مكالمة، حاول تذكر الرقم وطلبه بيدين مرتعشتين..

علي الجانب الاخر جـــاءه صوت أخته بعد ان ازال الزمن عذوبة صوتها وتبدل مكانه صوت هادئ رخيم يخلوا من اي لهفة او إشراقة علي الحياة كالذي يودع كل من يحدثه.

إنها « وفاء» شقيقته التي لم يتواصل معها ولم يزرها او يسمع صوتها منذ ان كان ببيتها هاربا من سويسرا ومسافرا للعمل كأستاذ جامعي وعلي يده الرضيعة الصغيرة « أمينة».

كم أجرم في حقها، حرمها من وجود الأخ الشـــقيق أثناء لحظة انكســـارها بعد وفاة الزوج والحبيب محمـــد الصاوي الذي غادر وتركها أرملة مع طفلين ثم يأتـــي هو ليتركها أيضا رغم مناجاتها وتوسلاتها ان لا يتركها فإنها تحتاج للأخ إلي جوارها، لكنه لم يكن قد رفع او نزع ســـدادات الاذن من أذنيه، لم يعط لها فرصة للطلب او الشرح أو حتي الحزن بين يديه، فقد كان حضنه مغلقاً كما كانت اذناه...

ها هو الان عائداً جارا ذيول الخيبة والحســـرة مع الانكســـار المضاعف عن إنكسارها منذ سبعة عشر عاما..

علا صراخه في الهاتـــف وبصوت مهزوم « الحقيني يا وفاء» .. من المفروض يلحق من ؟؟!!!

الاخ الاكبر.. الهـــارب من زوجته وبعدها خاذلاً لاخته، ثم يجذب أنفه القدر ليطلب العون والنجدة من الاخت الصغري المكســـورة، والتي اضطرت للإســـتعانة بالغرباء لمعاونتها في مواجهة الدنيا بقوانينها الصارمة ظالمة كانت او عادلة.

داخل سيارة أجرة تجلس وفاء، تستعيد شريط حياتها وذكرياتها مع أخيها رغم غضبها الشـــديد منه، إلا أنها مجرد ان استمعت الي استغاثته، شعرت بإنكساره وضعفه وإنه قريب من مرحلة الإذلال، لم تكترث لموقفه الـــذي لم تفهمه ، لكن صورة الصغيرة الرضيعة أمينة لم تفارق عيناها..

الان هو من يســـتغيث، فهي قد طلبت العـــون من قبل لكنه لم يكترث حتي لســـماعها.. اضطرت للإستعانة بالاخرين.. الان نفس هؤلاء الاخرون هم من ســـيقدمون العون له، فقد حادثت وفاء عزيز رشوان هاتفيا والذي لم يفهم منها حرفاً واحدً ، الا ان عليه ان يأتي ليقابلها في مركز شـــرطة المطار ومعه المحامي، دون ان تذكر له اي تفاصيل، فهي نفسها لا تعلم ما حدث، غير ان الاستغاثة الاخوية قد احدثت شرخا بقلبها ولم تستطع إلا ان تنطق اسم أمينة المقهورة أولا ثم .. اخيها أشرف.

يارب ســـترك، هل هو الانتقام الالهي، لا..انه العدل الالهي فإن كان الله منتقما فهو الإنتقام العادل، انه ســـبحانه وتعالي اســـمه

العدل، هل دارت الدنيا علي أخيها بعد ان امهله القدر قرابة السبعة عشر عاما.. كســـر خلالها قلبين..قلب زوجته مونيكا والتي مازالت زوجته.. ثم القلب الصغير، قلب ابنته أمينة، فقد حرم أم من إبنتها، من لديه القدرة والجبروت علي القدوم بمثل تلك الفعلة الشـــنيعة، ثم يكذب علي ابنته مدعياً وفـــاة أمها، هل هذا أخي فعلا..حقا من نفس الاب والام، ظننته يحمل داخلـــه قلبا وفيا مخلصا محبا لأهله وللجميع حين اطلق اسم امي وامه علي ابنته الاولي " أمينة " ، لقد منحها الاسم ولكن حرمها حنان الام، وحرم زوجته من أول فرحتها ومن تربيتها والاســـتمتاع بتربيتها وتشاهدها تكبر أمامها وتسقيها كل الحب والود في الدنيا..

ياله من جرم ارتكبته يا أشـــرف، خوفي عليك من انتقام العادل الجبار، فهل حانت الساعة التي لا يهمل فيها الله بعد ان امهل..؟؟ !

لم تتوقف أمينة عن الهذيان داخل سيارة الاسعاف « أبي..أبي.. فينك يا أمي، محتاجالك.. يارب»

تلاقت عيناهما لأول مرة منذ أعوام طويلة، عينا كلاً منهما تبوح وتصرخ بمـــا فيهما وآثار الزمان الواضحة فـــي نظراتهما قبل ان ينطق احدهما..

ترمق وفاء أشرف بنظرة غضب مليئة بشفقة، لوم، حب مع ثبات نظـــرة الصحيحة أن لكل ظالم نهاية..هل هو تشـــفي ؟ ، ام إثبات صحة نظرتها وفقط، أم انه حزن علي ما آلت اليه امور أخيها الغائب وهـــا هو الان حاضراً ولكن أين ؟ .. في قبضة الشـــرطة وبعد أيام قليلة، وراء القضبان، .. لم تتوقف عينا وفاء عن إلقاء السهام الواحد تلو الاخر.. ســـهام الرحمة وسهام العذاب.. تتلقف عينا أشرف تلك الســـهام بلا مبالاة غريبة ..غير مكترثة إن كانت تلك سهام رحمة ام عذاب، فالسهام هي الســـهام، جارحة، خارقة..نافذة..مدببة من الامام، وليس هناك شئ مدبب يتميز بالرحمة أو الحنان..

اللامبالاة التي إستقبلت عينا أشـــرف نظرات وفاء النافذة، هي هي نفس اللامبالاة التي غادر بها أشـــرف هربا من سويسرا، فاراً برضيعته الصغيرة مخلفـــاً وراءه قلباً مجروحاً لم يتوقف للحظات عن البحث عـــن أمينة..هيلدا، ولم يتوقف عـــن صب اللعنات علي أشرف والتي ربما أصابته احدي تلك اللعنات الان..لعنات المظلوم.. لعنات مونيكا.

محاولاً ان يبقي يقظاً وواعياً لما يحدث رغم احساســـه الشديد بالتعـــب والارهاق، مع صداع الرأس الـــذي لا يفارقه كما لا تفارقه حبات الدواء المســـكنة للآلام، وقف حازم علـــي مقربة من موقع التصوير، تصوير احدي أغنيات المطربة الصاعدة ميار غزاوي التي

ارســـلت له لحضور تصوير فيديو كليب لأحدث أغانيها، في منطقة قريبة من الاهرامات وأبو الهول.

منطقة صحراوية والجو ساخن ونسبة الرطوبة مرتفعة، حاول حازم ان يغادر لكن لم يســـتطع، فعليه ان يشاهد مراحل تصوير الاغنية كي يكتب عنها في مقاله القادم، وبالطبع سيكون مدحاً حتي لو كان مستوي الاغنية متدني وليس علي المستوي المطلوب، قبض ثمن مقاله.. ربما يسمس هذا، المقال المدفوع مقدماً !!

الجميع يعمل كخليـــة نحل..كاميرات وفلاتر في اكثر من زاوية وأســـلاك كثيرة منتشـــرة علي الارض، وبعض فترة من الضجيج والضوضاء، سمع حازم صوتاً مرتفعاً إيذاناً بالاستعداد في غضون خمس دقلئق..

هنا ظهرت المطربة بملابس ممزقة وكأنها سقطت من علي ظهر الحصان وتبدأ في الغناء.. الجميع صامت بلا حراك والاغنية مسجلة وتعمل بطريقة بلاي باك والمطربة فقـــط تظهر التعبير الحركي والتمثيلي، وبعد دقائق توقفت الاغنية وســـمع حازم صوت مرتفع صادر من ميكروفون متنقل ... ســـتوب..و إذا بسيدة نحيلة شقراء ترتدي الجينز وقميص بأكمام طويلة، تذهب الي المطربة لتشـــرح لها بعض الامـــور وتجه الكاميرات والمصور بزوايا تصوير وحركة الكاميرا، وبعدها تعاود الذهاب الي مكانها خلف المونيتور.. وتنادي ثانية في الميكروفون .. أكشن.

تـــرك حازم كل طاقم العمـــل ، والمطربة نفســـها والحصان، ووضع كل تركيزه في هذه الســـيدة التي يبدو انها مخرجة العمل.. ظل يتابعها حيث تعمـــل بمنتهي الحزم ولا تقبل بأي خطأ، أوقفت التصوير أكثر من أثنين وعشرين مرة الي أن أخرجت الاغنية بالشكل الذي يرضيها..

و بعد انتهـــاء التصوير، التف البعض حول المطربة التي كانت متعبة من كثرة ســـاعات العمل والاجواء الحـــارة الرطبة، لمحت المطربـــة حازم يقف علي مبعدة من المكان، أشـــارت له بيدها أن يحضر وسألته « إيه رأيك ؟..انت الن تري بنفسك كم ابذل مجهوداً خارقا كي تخرج أغنية الي الجماهيـــر مدتها ثلاث دقائقو اربعين ثانية والتي تستغرق تصوير مدة ست ساعات متواصلة، حاجة كده متعبة ومميتة».

حازم: « نعم معك حق..حتي دي حرب أكتوبر اســـتغرقت ست ســـاعات، ثم انفجر من الضحك، وقبل ان يغادر مكانها ، سألها من هذه السيدة..هي المخرجة..صح؟!

المطربة: « انها هي، سيدة متعبة.. ربما لا اعمل معها ثانية»

حازم: « متعبة..لكـــن متقنة في عملها جدا ولا تترك فرصة الي الصدفة، ستخســـرين ان لم تعملي وتتعاوني معها ثاتية، انتظري حتي ترين الشكل النهائي للعمل ورد فعل الجمهور..هذه نصيحتي لك.. بالمناسبة ... ما اسمها ؟

المطربة: « ميمي عزيز»

تركها حازم وتوجه الي حيث كانـــت المخرجة ميمي عزيز، لم يجدها وعندما سأل عامل البوفيه، أخبره أنها غادرت لتوها.

لم تستطع وفاء قضاء وقتا طويلا مع أشرف رغم حضور عزيز رشوان وبصحبته المحامي، إلا ان الوقت المسموح كان قليلا للغاية لعقد جلسة بين أشرف ووفاء..ثم أشرف والمحامي.

لم يتحدث في هذه الجلســـة أشـــرف او ينطق بكلمة إلا جمل قصيرة للغاية..

" وصيتك أمينة يـــا وفاء.. هي مالهاش حد في الدنيا غيرك انت وأولادك .. بنتي يا وفاء، أمينة صارت وحيدة..مسكينة..لا أب ولا... " ثم سكت، وأضاف " أنا عارف إني حاقضي باقي عمري محبوس ولن أستطيع أن اجد اي مبرر ولن أخرج من هذه الكبوة علي خير، لكن انا مش ندمان..علي الاقل أمينة في امان في بلدها ومع عمتها"

ما أن إســـتفاقت أمينة، إلا ووجدت أمامها وجه شـــاحب لكن مبتسم.. وفاء .. أنا عمتك وفاء يا أمينة، لم تتمالك أمينة نفسها ولم تنتبه للأنابيب والمحاليل المعلقة في جسدها.. وتركت هذا الجسد النحيل ليستقر بين ذراعي وفاء المفتوحان، إنه حضن دافئ لم تذق طعمه طيله حياتها..

طال إلتصاق أمينة بجســـد وفاء وهي تـــردد « لا تتركيني، انا خايفة..خايفة، أين أبي ؟ لماذا قبضوا عليه ؟»

عشرات الأســـئلة تلقيها أمينة علي مسامع وفاء التي لم تستطع ان تجيـــب علي أي منها، ولكن دموعها ويداها التي تربت بهما علي ظهر أمينة قد باحت بكل الاســـرار، هل مـــن الممكن ان يفضفض الانســـان عبر دموعه ويداه بدلا عن الكلام..ربما..كل منا يحتاج ان يُخرج أحزانه بأي صورة كانت..لكن هذا غير كافٍ..انتفضت وفاء وامسكت بذراعي أمينة ونظرت في عينيها بقوة وحزم وبصوت عالٍ لا يعرف التردد، قالت « انـــت لازم تعرفي كل حاجة، ان الاوان، لم تعدي طفلة، رحمة بك وشفقة علي عقلك الذي لم يعد صغيرا، لابد وان اقص عليكِ كل ما أعلمه، اما الذي لا أعلمه فربما ستكشـــف لنا لاحقا..

سوف تخرجين من المستشـــفي وتأتين للعيش معي في بيتي ووسط أولادي، ،هناك لدينا من الوقت لنتحدث طويلا وأقص عليكِ كل ما في صدري..ربما أرتاح وترتاحين حتي لو كان الكلام مؤلم، فبالتأكيد فيه راحة مما يســـاعدنا علي التحرك بشكل سليم يخدم مصالحك ومصالح ابوك الله يســـامحه، رددت أمينة الكلمة الأخيرة « الله يسامحه»، قبل ان تنهض وفاء لإنهاء اجراءات خروج أمينة..

بعد ان تلقي أكرم رســـالة من أمه ان يقابلها في المستشـــفي القريب من المطار، دقات قلبه تتسارع، ماذا حدث لأمي، ولم يتوقف عن الدعاء الي ان وصل الي مكتب الاستقبال في المستشفي، تبحث الموظفة في كشف الاسماء التي وصلت الي المستشفي اليوم وليس بينهم اسم لسيدة تدعي « وفاء سعيد»..

بطريقـــة عصبية يطلب أكرم منها ان تبحـــث ثانية، لكن دون جدوي..، وقف منفعـــلا متهما الموظفة بالتخاذل والاهمال، واذا به يســـمع صوت من خلفه .. « أكرم يا حبيبي ..انت وصلت» انها وفاء أمه.. أجابها بلهفة «ماما، انتِ كويسة ؟..ماذا حدث، إسمك ليس بين سجلات المرضي..ماذا هناك ؟»

وفاء: « تعالي معي، سأشرح لك كل شئ.. دعنا ننهي الاجراءات ونتجه الي الطابق الثاني وبعدها نعود سويا احنا الثلاثة الي البيت» ثلاثة ؟!!! هكذا أبدي أكرم تعجبه.

تقـــدم أكرم من أمينة مصافحاً يدها، شـــعر ببرودة يدها، ربما بحس طالب كلية الطب، طبيب المســـتقبل أو بحســـه الانســـاني المرهف لإبنة خاله التي قلما كان يسمع عنها من أمه، وأخيرا التقي بها..ظلت نظراته متعلقة بعيني أمينة الزرقاوان فقلما يشاهد أكرم هذه الملامح الاوربية لفتاة مصرية..شقراء، بيضاء..

تبادلا النظرات وشعرت أمينة بدفء يديه التي بددت اي احساس بالبـــرودة، تزامنا مع دفء نظرة عيناه، راحا ســـويا للحظات في

سبات عميق، تجمدت يديهما في تعانق وتعلقت عيناهما وكأن شد بينهما حبل ليشد وثاقهما..

اســـتفاقا علي كلمات وفاء: « هيا يا ولاد..الاجراءات تمت ونحن الان جاهزين للمغـــادرة والتوجه للبيت» .. لم تتلق أي إجابة.. أكرم مشدود بالحبل وفي الطرف الآخر أمينة التي لم يعرف قلبها خبطات ودقات الحب من قبل..

نسي أكرم نفسه كما نسي حبيبته ندي والذي عاد الي مرحلة ما قبل ان يحب ندي بعقله، تدخل قلبه ليعلن له انه مازال لديه دور في رحلة حب أكرم، فإختيار القلب لا يقاوم ولا رجعة فيه، من الســـهل الاختيار العقلي بين آلاف الفتيات، حســـب المواصفات..لكن القلب له قوانين ونواميس متفردة ومختلفة..هو من لديه الســـيطرة واليد العليا، يدق وانت عليك التلبية والاستجابة، مسلوب الارادة امام هذا القلب المتسلط، لكنه ممتع.. فحب القلب هو الحب الحقيقي...

هكذا شـــعر أكرم خلال ثوانٍ معدودة جمعته بمن تمسك العصا التي تدق بها علي قلبه، الوافدة الجديدة دون مقدمات ...أمينة

استمعت أمينة الجالسة علي اريكة بنية اللون في حجرة المعيشة في بيت وفاء عمتها لكل كلمة وحدث شـــرحته وفاء حسب ما تملكه من معلومات قليلة ولم تخف عنها أي شـــئ رغم ان ما صرحت به يضع شقيقها، والد أمينة في أسوأ موقف ممكن لإنسان ان يتخيله،

الاب الســـئ، الخاطف، كاســـر القلوب ومحطم القوانين الانسانية والاخلاقية..الهارب، الكاذب، المدعي..

كل هذه الصفات وأكثر ظهرت جلية واضحة بعد سماع ما قالته العمة وفـــاء، وأمام كل هذا لا تملك أمينـــة إلا عينان وغدد وقنوات دمعية، أعطت إشـــارة البدء لثلاثتهم للعمل، أنهر الدمع تتدفق بلا توقف .. اســـتمرت في لبكاء والصراخ، ثـــم توقفت لحظة وفتحت عيناها علي كامل اتساعهما وامســـكت عمتها وفاء وهزت جسدها الضعيف بقوة : « ما معني هذا..هل هذا يعني ان أمي ليســـت ميتة، كذبة من أبي..خدعة أخري، ربما تكون أمي ما زالت علي قيد الحياة، وأنا أقيم العزاء علي روحها في كل عام.. والشريطة السوداء المعلقة في ركن صورتها الوحيدة التي أملكها، ..ولماذا لم تبحث عني أمي.. منك لله يا أبي»

وفاء: « لا تظلميها يا أمينة.. ربما هي لا تعلم بمكانكما وحســـب فهمي فإن أباك هرب بك بطريقة صعب فيها تتبعه وكشف مكانه.

نهضت أمينة من مكانها وهي تســـير بشكل دائري في المكان وتضرب بيدها علي الحائط.

فُتـــح الباب ودخل حازم الذي لم يفهم ما يحدث، وســـرعان ما شـــرحت له أمه، صافح أمينة بشـــئ من البرودة واللامبالاة.. كان مرهقاً، متعباً بعد يوم طويل في موقـــع التصوير الخارجي حول

منطقة أهرامات الجيزة، المطربـــة ميار غزاوي.. والمخرجة ميمي عزيز..

عـــاد ثانية ليلقي نظرة أخري علي أمينة، تفحصها بإمعان أكثر من المرة الســـابقة منذ دقائق حين صافحها، إنه يتذكر هذا الوجه، لقد رآه من فترة سابقة، لكن ذاكرته لم تساعده علي التذكر.. العينان الزرقاوان، البشرة البيضاء بحمرة خدود، شقراء..نحيلة.. نعم، هل تقابلنا من قبل ؟ ..يشعر انه قد اآها من قبل، لكن كيف وامه تخبره انها قد حضرت الي مصر منذ يومين فقط، وانها منذ قدومها مكثت هاذان اليومان بالمستشـــفي، وهذه أول ساعة لها في بيتهم الذي يستقبل ضيفة لتقيم معهم لأول مرة، إبنة خاله التي لم يرها ولم ير خاله طيلة حياته..

اقترب من الجلســـة التي جمعتها مع أمه وحاول الأشتراك معها في الحديث لكنها كانت في حالة من الحزن والذهول لم تســـمح له إجتذاب أطراف الحديث معها.

تقابل أكرم مع ندي في الكلية..اســـتطاعا ان يختلسا وقتا قليلاً بين جدول محاضرات كل منهما، جلسا في كافيتيريا الجامعة، ندي مقبلة عليه بكل لهفة واشتياق، لتجده واجماً..سارحا في أمر ما.. لم يكـــن عقله في حالة جبدةمع بداية اليوم، فقد كان ما زال غارقاً في

لقاء الأمس الغير مخطط له مسبقاً او مدبر.. لا إنه مدبر لكن القدر هو من قام بتدبير لقاء الساحرة أمينة.

أما عقله فقد دق دقات لم يعرفها من قبل وكأنها شفرة لرسالة جديدة يرســـلها له أيضا نفس القدر الذي دبر اللقاء دون ترتيب.. كيف له ان يفك شـــفرة تلك الدقات، الحل الوحيد لحل هذه الشفرة هو ان يعيش لحظات مع دقات أخري جديدة..

انتبه علي صوت ندي وهي تهز كتفـــه وكأنها توقظه من حالة إغماء راح فيها عقله وتبعه قلبه إلي مكان بعيد وكأنه لم يدخل الكلية ولم يجلـــس علي مقعد في الكافيتيريا وبالتالي لم ير او يتقابل مع ندي، لم يجد ما يقوله الا ان أعتذر، حيث عليه ان يعودً الي المدرج مرة أخري ليلق بالمحاضرة القادمة التي ستبدأ بعد لحظات.

اتخذ طريقه الي المدرج.. لكن لم يشـــعر بنفسه وهو يسير في اتجاه البوابة الخارجية ليستقل أول سيارة أجرة.. عائدا الي المنزل..

إتصل عزيز رشـــوان بوفاء هاتفياً ليخبرها انه لابد وان يتقابل معها حســـب توجيهات المحامي ليطلعها علي مســـتجدات الامور القانونية بشأن أشرف أخيها..

من خلال محادثة وفاء الهاتفية مع عزيز رشوان، وصلت بعض الكلمات الي مسامع أمينة التي كانت مسندة رأسها علي الكنبة وفي حالة إعياء وذهول..انتفضت من مكانها وانتظرت الي ان فرغت وفاء

من المكالمة وسألتها بكل لهفة: « أهذه المكالمة تخص أبي ؟.. ماذا حدث ؟ أين هو الان ؟ .. ماذا سيفعلون به ؟ أريد أن أراه..لازم اتكلم معاه، انا مش فاهمة حاجة، انا مقبلـــة علي الجنون، عقلي يذهب مِنِي..لماذا عدنا إلي مصر، انا كنـــت متلهفة للغاية للعودة وكأني عائدة الي الاحزان، الي الضياع.. لا أم والان بلا أب، ماذا يحدث لي ”

اســـتمعت إليها وفاء والحزن والألم يعتصران قلبها الضعيف، حاولت ان تتمالك نفســـها ولا تســـمح لدموعها بالانطلاق.. تكلمت بصوت هادئ حكيم: « أعلم ما تمرين بـــه، ومهما ألقيت عليكِ من كلمات تهدئ من روعـــك فلن يكون لها أي تأثير مثل الحقيقة، انت في حاجة لأن تفهمي كل شـــئ، لم تعودي طفلة، لابد وان تفهمي وتدركي جيداً ما تمرين به وما يمر به أشـــرف أباك وأخي.. تعالي يا أمينة..

طالت وامتدت الجلسة بين وفاء العمة وأمينة إبنة أشرف أخيها، شرحت فيها وفاء كل ما تعرفه عن أشرف من يوم زفافها إلي محمد الصاوي وسفر أشـــرف إلي سويسرا لدراسة الدكتوراه، إلي عودته بعد وفاة محمد الصاوي.. ليظهر بعدهـــا وأنتِ يا أمينة علي يده، رضيعة.. إلي ســـفركما للخارج في دولة عربية، والآن انت هنا في مصر بعد العودة..

ذكرت لهـــا وفاء كل التفاصيل الصغيـــرة التي تعرفها وبعض المناقشات التي دارت بينها وبين أشرف وعدم رضاها عن أفعاله..

نهضت أمينة وقد إعتلا وجهها نوبة من الغضب والصرامة.. : ” أنا مش مصدقة كل الكلام ده.. ده أبويا اللي عشت معاه عمري كله مش ممكن يعمل كده، ده أطيب إنسان في الدنيا، مش ممكن يأذي أي مخلوق، فكيف به يؤذي زوجته..أمي، كل الكلام ده كدب..“

هنا دق جرس الباب ، إنه عزيز رشوان بصحبة المحامي..

توجهت أمينة ناحية المحامي وقالت: « مش انت محامي بابا ؟ أنا عايزة أشوفهززعايزة تصريح بزيارته...»

أومأ المحامي برأسه بالايجاب..إنه سوف يسعي في الغد لترتيب زيارة لوالدها، الذي أمرت النيابة العامة بحبسه لمدة أربعة أيام علي ذمة التحقيقات..

أمينة: « إلي الغد إذاً»

أجري حازم إتصالات عديدة بكل مـــن يعرفه ممن يعملون في مجال الاعلانـــات أو الفيديو كليب، بحثاً عن ميمي عزيز.. تشـــبه الوافدة الجديدة أمينة، نعم الآن تذكرت..

بعد فترة أخبروه انها متواجدة باســـتوديو تسجيلات تقوم فيه بمراجعة الاغنية القادمة التي ستقوم بإخراج الاغنية الخاصة بها..

توجه علي الفور إلي هناك.. صف ســـيارته التي إشتراها مؤخراً بعد ان تكونت لديه حزمة من الأموال من الاظرف البيضاء والزرقاء والبمبي التي يتلقاها من الفنانات مقابل يكتب ويمتدح ثم يرفع إلي

السماء، يا له من قلم ســـاحر..قلم جبار..يستطيع ان يجلب الرزق ويفك المحظور ويشتري السيارات..

بعد أن اقترب من باب دخول الاســـتديو.. تراجع وقرر الانتظار في الخارج بجوار السيارة..

مرت أكثر من ســـاعتين، ذاق فيهما حازم مرارة وملل الانتظار، لكنه كان علي استعداد للانتظار لمدة أطول من ذلك.. لماذا ؟

هو نفسه لا يعرف..لكنه كان يشعر برغبة جارفة للتعرف علي هذه السيدة.. أخيرا ظهرت ميمي عزيز بلباس كاجوال أنيق بجسدها النحيل الممشوق، طويلة بيضاء او شقراء، لا تضع علي وجهها أي نوع من أنواع المســـاحيق أو المكياج سوي ماسكارا لإطالة رموش عيناها..

تسير في ثقة لإلي سيارتها، ســـيارة حمراء اللون بباب واحد، انطلق حازم خلفها بســـيارته، وللمرة الثانية هو لا يعلم لما يفعل ذلك، انها أول مرة يتتبع فيها فتاة أو إمرأة بهذا الشكل.

توقفت سيارتها أمام كنيســـة كبيرة، إختفت داخلها في دقائق وحازم فـــي الخارج منتظراً.. مرت أكثر من نصف ســـاعة الي ان ظهرت وهي تفتح حقيبة يدها الصغيرة وتدس داخلها منديل غطاء رأس، عادت ثانية إلي سيارتها وحازم منطلق خلفها إلي أن استقرت أمام مطعم مطل علي النيل، دخلت، هنا قرر حازم الدخول خلفها.. جلســـت علي طاولة، جلس حازم علي طاولـــة ملاصقة لطاولتها،

طلبت فنجاناً من القهوة الفرنسية وأشعلت سيجارة، أخرجت دفتر صغير وقلـــم من حقيبتها، وبدأت تكتب..رســـمت قلب صغير في الجانب العلوي الايمن من الصفحة،ُم خطت بعض السطور..

نظر حازم خلسة في دفترها..وإذا بها بخط واضح منمق تنظم أبياتاً من الشعر باللغة الألمانية.. يا للحظ السعيد، فكان حازم يتقن الألمانية منذ الطفولة حيث كان هو وأكرم بالمدرسة الألمانية..

بدأت بالقراءة بصوت خافت وهي تكتب دون أن تلحظ.....

ســـلبوا قلبي بعد نزعه وتركوني في العراء
قسموه إثنا عشـــر جزءاً بلا رحمة أو عزاء
أخذوا إحدي عشـــر وتركوا لي واحدا به داء
متي يعود الهارب بقطعة قلبي المخطوفة هباء
أمضيت ســـنوات بجســـد ميت :انه أشلاء
هـــل لي ان اراهـــا بعد طول غيـــاب وعناء
قلبي الضعيف لم يعد قادراً علي تحمل البلاء
هلا رددتوها كي أطير بها الي عنان السماء

و قبل أن تخط ســـطراً جديداً من أبيات الشعر الحزين الذي ملأ قلب حازم أسي وشـــجن.. لاحظت ميمي عزيز ان هناك من يجلس علي الطاولة المجاورة وعيناه تقرآن ما في الصفحة.. بإبتســـامة

باهته: " علي ما تنظر.. لن تفهم شئاً انه ليس بالنجليزية، ولا أعتقد انه سيروق لك ما أكتبه "

أجابها حازم بلغة ألمانية سليمة: « معك الحق، لكن لسوء حظك أنني درست الألمانية جيداً»

فتحت عيناها من هول المفاجأة.. فقد اعتادتمنذ ان حضرت الي مصر ان اللغة الاجنبية التي يعرف منها البعض هي الإنجليزية، لذا تعلمت هي العربية وأتقنتها..

لم تنم أمينة للحظـــة واحدة إنتظاراً للصبـــاح كي تتقابل مع المحامي الذي ســـيصحبها لزيارة أبيها أشـــرف ولا تريد من هذه الزيارة إلا إجابة علي ســـؤال واحد فقط ولا يوجد علي وجه الارض إنســـاناً واحداً يســـتطيع الإجابة عليه إلا أبيها أشرف... « أين أمي ؟؟!!» .. « هل ماتت حقاً ، أين دُفنت»

طوال هذه الســـنوات، أخبرها أشرف ان أمها ماتت في سويسرا ودُفنـــت هناك، لكن بعد الحديث مع العمـــة وفاء تغيرت الحقائقو تكشفت أموراً كثيرة واستشعرت أمينة الصدق في في حديث وفاء عن كل ماتعرفه..

فهي إمرأة لا تقبل الظلم وأفصحت عن رأيها في أن أخاها أشرف الهـــارب ظالم وان زوجته مونيكا التي لـــم تتقابل معها يوماً قط،

مظلومة ومقهورة ومجني عليها، محرومة من إبنتها ومكسور قلبها إلي أشلاء صغيرة للغاية ربما أقرب الي الفتات..

أمي .. أمي، يا أبي..هل هربت بي وتركتها بلا رحمة.. ؟!

أين الحقيقة .. طوال سنوات عمري لم أهتم بالحصول علي أدلة أو أية إثباتات.. ما حكاه لي أبي راســـخ في ذهني بلا أي شـــكوك والان أنا في حيرة شديدة..تهدمت أسوار صدق أبي، سقطت صورته المثالية، لم أعد أثق في أي معلومة غرســـها فيَ من قبل.. سامحك الله.

ولكن الحقيقة الوحيدة هي أننـــي أملك وفي يدي وبين أوراقي الشـــخصية القليلة، شهادة ميلادي السويسرية وبها إسم أبي وأمي رحمة الله عليها.. لا..لا .. ربما يصـــدق قول عمتي وتكون أمي ما زالت تنعم بالحياة.. وهل حقاً تنعم ؟؟ .. كيف لها ان تنعم بدوني.. ابنتهـــا.. لماذا لم تبحث عنَي ، لماذا لم أبي وتنتصر عليه وتنتزعني من بين يديه، أحتاج إلي أمي ألف مرة أكثر من إحتياجي إلي أبي ، وبعد أن علمت جزءاً من الحقيقة.. نعم جزء، أشـــعر أن القادم أسوأ والألغاز ستزدادا يوماً بعد يوم دون إجابة أو حلول..

و إن كانت أمي حقا قد ماتت فأين هي شـــهادة الوفاة، الان لم أعد طفلة، أريـــد ان اطلع علي كل الاوراق والمســـتندات، لابد من إثبات ورقي لكل معلومة أو كذبة عشتها طيلة سنوات عمري نظير حرماني ومعاناتي ووحدتي التي لم يعرف أحد عذاباتها غيري أنا ..

ومـــاذا لو كان أبي صادقاً وعمتي هي من تكذب، كيف لي أن أعيش معها وأولادها تحت ســـقف واحد.. يا إلهي..ألهمني الصواب وأرني الحقيقة..

هنا اخترق أذنيها صوت آذان الفجر.. و:انها إســـتجابة ورد من رب العالمين أنه قد سمع إلي أمينة..

نهضت من مكانها للوضوء والصـــلاة، لكنها توقفت للحظات، الصلاة !! ..لكن أبي أشرف الهارب الخاطف الكاذب، كان يصلي..

عادت إلي مكانها، لكن ســـرعان ما نهضت ثانية..لا..لا.. ليس العيب في الصلاة، فالانسان الفاسد لا تصلحه الصلاة لانه لم يصلح النوايا والاخلاص..

ســـأصلي وأتضرع للحي القيوم الذي لا ينام.. وأســـأله العون والراحة، إما بالوصول الي أمي أو الموت الي جوارها..

انتهت من صلاتها بعد ان أطالت في الدعاء ودموعها لم تتوقف الي ان تحولت الدموع الي شـــلال ينهمر علـــي وجهها مع البكاء بصوت مرتفع..الي ان فتحت وفاء الباب وهي فزعة وتركض ناحية أمينة، أخذتها بين ذراعيها وضمتها الي صدرها ضمة طويلة، ازداد معها نحيب أمينـــة وتحدثت بصوت لاهث، متقطع، مرتعش: " أول مرة أشـــعر بالحضن، أول مرة أعيش لحظة حنان، كنت أطلب من المربيات الحضن لكن لم أشـــعر به فقط إلا معك الان..احضنيني وضميني أكثر..

أمضي حازم، مـــع الصديقة الجديدة ميمي عزيز أكثر من ثلاث ساعات يتبادل معها الحديث عن الفن والتصوير والاخراج وبعد ان علمت هي أنه يعمل كناقد فني..استمرت في الحديث، فهي كعادتها لا تتحـــدث عن العمـــل للأخرين نظراً لاختلاف مجـــالات الاهتمام والعمل..وبما ان حازم ناقد فني، أي يعمل ويفهم في نفس المجال، فلا بأس هنا ان تخرج ما بداخلها عن مشكلات العمل وما تتعرض له بدأً من تأخـــر العاملين وخاصة النجمات منهن عن موعد العمل، إلي الرقابة والتصاريح والممنوع والمســـموح. ثم صرحت له انها تفكر في إخراج فيلم ســـينيمائي طويل فهي خاضت تجربة إخراج الإعلانات والفيديو كليب والأفلام الوثائقية وبعدها الافلام القصيرة وحققت نجاح طيب لا بأس به بإشادة الجميع وحصلت علي بعض الجوائز حتي صار لها إسم معروف بين المشتغلين بالوسط الفني، ولا يتبقي في طموحاتهـــا إلا إخراج فيلم روائي طويل يكون مميز ومختلف وتنافس به في المهرجانات الدولية وربما تربح به جائزة الاوسكار.. ولم لا !!!

ظل حازم ينظر إليها بإعجاب شـــديد، يتفحص ملامح وجهها الرقيق وهي تتحدث، جمال طبيعي دون مكياج او مساحيق، صوت رقيق، جسد نحيل ممشوق، شعر أشـــقر..قفزت إلي مخيلته أمينة

التي تحمل ملامح قريبة للغاية من ميمي عزيز التي لم يشعر معها بالوقت الذي مر سريعاً.

بعد ان مرت نصف ساعة في بيت ندى ، أكرم منهمك في شرح بعض المعلومات الهامة في مادة التشريح، شعر بالتشتت الذهني وانه غير قادر علي اســـتكمال الشرح، وقد انتقل هذا الاحساس الي وجدان ندى التي بادرته بالسؤال بعد تردد: « مالك يا أكرم، انت مش طبيعي النهاردة..» ، تطلع فيها وكأنه يستفيق من إغماءة طويلة او يعود بعد رحلة ذهنية تملكت فيهـــا صورة أمينة من عقله، لدرجة انه كاد ان يخطئ في أســـم ندى ويناديها بأمينة لكنه تدارك نفسه وتنحنح قبل ان تلحظ ندى هذا الخطأ الذي لا تنســـاه أي إمرأة او تغفره، ربما تســـامح المرأة وتغفر وتتحمل كل الأعباء إلا أي شئ يتعلق بإمرأة أخري تقف علي مسافة ما من حبيبها..

ورغم قلة أو إنعدام خبرة أكرم في الحب وفهمه للمرأة ومشاعرها، إلا أنه بحس الانسان تدارك الأمر وأوقف عقله عن التفكير في أمينة ولم يجد إلا أن ينســـحب من الموقف قبل ان تتعدد أخطاءه ويفقد الســـيطرة علي نفسه، إعتذر من ندى عن إستكمال الدرس لشعوره ببعض الصداع وأنه عليه ان يعود الي البيت للراحة..

رغم عدم اقتناع ندى وتقبل عقلها انها مســـألة صداع فقط..و ملاحظتها تغييرا كبيرا قـــد طرأ علي أكرم وكأنه ليس نفس الرجل

الذي بادلها الاهتمام، إلا انها أظهرت اهتماماً وتلهفاً علي مساعدته لتخفيف الصـــداع، عرضت عليه بعض المســـكنات او ان توصله بســـيارتها للبيت، لكنه اعتذر وفي دقائـــق كان خارج المنزل في سيارة أجرة في طريقه للمنزل.. ربما متلهفاً لرؤية أمينة..

في حجرة الزيارة، تقف أمينة بتلهف منتظرة دخول أباها أشرف ، فُتح الباب والاساور الحديدية تزين يد أشرف، يقوم العسكري بفك الاســـاور من يديه وينصرف، بعدها يستأذن كل من في الحجرة .. الضابط والمحامي ووفاء..

يتقدم أشـــرف من أمينة وهو يعلم ويدرك جيدا بفطنته وذكائه انه أمام عاصفة من الاسئلة ووابل من رصاص يصيب عقله ومركز الذاكـــرة في مخه، عليـــه ان يفتح الدفاتر القديمـــة ويعود للوراء لســـنوات طويلة مضت بعد ان ظن انها لن تعود وانه قد أغلق الباب في وجه الزمن، لكن القدر فاجأه وفتح كل الابواب علي مصراعيها ليجبره ان يبوح بكل الأسرار.. وبينما تنظر أمينة إليه ، وينظر إليها برأس مطرق إلي الأرض ويتصبـــب منه العرق.. واقف امام ابنته ، وهي صامتة لم تنطق ولكن أنفاســـها تبوح بكل كلمة محشورة في الصدر، ..طال الصمت بينهما..لم يتحمل أشـــرف كل هذا الضغط النفســـي، وصرخ بأعلي صوته وهو يرتعد ولا يتمني إلا الموت في تلك اللحظة.

أشـــرف صارخاً: « ياللا.. إسألي..حاســـبيني، مش انت جاية علشان كده..اتفضلي إســـألي، لكن قبل أن تسألي لازم تفهمي ان كل حاجة اتعملت فـــي الحياة كانت لأجلك انت..أنت فقط..رغم كل الظروف ورغم المصير المجهول الذي ينتظرني فلن أتكلم با أمينة ولن تجدي إجابة مِني علي اي تساؤلات، فليس لدي ما أقوله.. ”

أمينة: « هو ســـؤال واحد بلا لوم أو عتاب أو حساب.. أين أمي ؟..لو عايشة ، هي فين ؟ .. ولو ميتة، هي مدفونة فين وأين شهادة الوفاة ؟، من حقي زيارة قبرها والدعاء لها ..»

يصرخ أشرف ثانية علي العسكري، الذي دخل مسرعاً.. يطلب أشـــرف وهو ماداً يديه للبس الاساور الحديدية ثانية، أن يعيده الي الزنزانة.

يقتل أمينة للمرة الثانية ويهرب للمرة الثانية ولا يهتم بكســـر القلوب.. لم يستطع المواجهة وواصل اللجوء الي نفس الحل السهل ، الهرب وعدم المواجهة ثم التبرير لنفسه أنه يفعل الصواب لنفس الانســـانة التي هرب من أجلها في الســـابق.. إنها ابنته أمينة، التي وقفت مكانها غير مصدقة ان تنتهـــي المقابلة ويغادر أباها بهذه الســـهولة والســـرعة ولم تجد أي إجابة تزيل بها حيرتها وتضعها جانباً وتفتح باباً من التفاؤل كي تستطيع ان تتنفس هواءاً غير الذي استنشقته من قبل وتظل تردد نفس الكلمة .. أمي.. أين أمي ؟

تغادر أمينة بصحبـــة المحامي وعمتها وفاء التي لم تتوقف عن سؤال أمينة عما حدث..لم تنطق أمينة بكلمة واحدة إلا أنها طلبت من المحامي الذي كان يقود السيارة التوجه بهم إلي سفارة سويسرا..

غابت داخل السفارة لمدة ساعة، عادت بعدها لتخبر وفاء..« كله تمام»

وفاء: «إيه هو اللي تمام»

أمينة: « قدمت أوراق إستخراج جواز سفر سويسري، وسأتسلمه في أقل من أسبوع»

وفاء: « جواز سفر !..لماذا ؟ ماذا تنوين عمله يا أمينة»

أمينة: «سأسافر إلي سويسرا للبحث عن الحقيقة .. للبحث عن أمي أو عن قبر أمي»

وفاء: « كيف هذا..أتسافرين بمفردك ؟ .. هذا لن يحدث، أخاف عليكِ»

وصلت الســـيارة الي البيت، دخلت أمينة ووفاء بعد أن شكرت المحامي الذي انصرف بسيارته.. وجدوا أكرم منتظراً بقلق..

أكرم: « أين كنتم .. ؟»

وفاء: « الحقني يا أكرم .. أمينة عايزة تسافر»

هنا دخل حازم من الباب وسمع ما قالته أمه وفاء..

أكرم: « تسافر! ..تسافر إلي أين ولماذا ؟.. »

حازم: « آه فعلاً..هو انتي مش مبسوطة معانا يا أمينة ..»

أمينة: « لا، ليس هذا..أريد البحث عن أمي، كفانا ألغاز، لن أعرف أي معلومة من أبي الذي يملك المعلومات وحده .. لماذا لا تأتي معي يا عمتي إذا كنتي لا توافقين علي سفري بمفردي»

وفاء: « لا، انا صعب جداً..عندما أسافر الي دمنهور، أشعر كأني ذهبت لنهاية الكوكب.. ليس لي قدرة علي السفر، لما لا يسافر معك أحد الأولاد.. أكرم أو حازم.. »

أكرم: « إزاي يا ماما حنسافر معاها..بصفة إيه ؟ ..»

وفـــاء: « عندك حق يا أكرم، كمان انت عندك الكلية والدراســـة صعبة..»

أمينة: « هل المشـــكلة الان في صفة من ســـيكون معي.. أكرم مشغول في الكلية، إذاً.. مفيش غير حازم ..!!»

وتقدمت أمينة من حازم وهي تنظر فـــي عيناه المرهقتان.. » تتجوزني يا حازم ؟ ! ! !»

وقعت جملة أمينة كالصاعقة علي مســـامع الجميع .. لكن أكرم شعر بطعنة حادة اخترقت جدران قلبه الذي بدأ يعرف دقات الحب الحقيقيـــة، وبعد ظهور أمينة وعرف قلبه دقات لم يعرفها من قبل، اتضح له ان ميله إلي ندي كان بدافع اهتمامها الشـــديد به وحبها الظاهر له، فشـــعر انها انسانة مميزة وتقرب إليها ظاناً انه يحبها، لكنه لم يشعر بها كمثل لحظة رؤيته لأمينة.. والان تتاح له الفرصة للســـفر ومصاحبتها في رحلتها للبحث عن امها في سويسرا، فإذا

بأمه هو تؤكد كم هو مشغول بدراسته بكلية صعبة مثل كلية الطب، ولم يســـتطع أن يعرضها أو يفصح عن حبه لها، ولم تمر لحظات إلا وتطور الامر ان ســـمع ما لم يكن يتمني سماعه في حياته... " تتجوزني يا حازم " عبارة قاتلـــة .. محطمة ، من حازم ؟؟؟؟ إنه أخي..شقيقي..أنهي دراسته والان يعمل، فهو فهو في موقف أفضل منِي للزواج..بجانب كيف لها ان تنطقها، ففي لحظة ما ، شـــعرت انها تميل ناحيتي انـــا .. أكرم.. الاخ الاصغر، لا ألومها لكنها تقريباً قتلتني، .. تظهر منذ أيام قلائل دون مقدمات، والان تختفي ثانية مع أخي بعد ان تتزوجه، واعود انا كما كنت، لكن الفرق هو انني عرفت معني حب لم اتذوقه من قبل..حقاً كم هوغريب هذا القدر، يضع في طريقنا أناســـاً، نتعلق بهم وكأنه ينتظر ويمهلنا الي ان يصل هذا التعلق الي زروته، ثم بيد قاسية يضرب الحبل الرابط بيننا ويسحب هؤلاء الناس لنعود أدراجنا الي نقطة الصفر لكن مع لوعة في القلب وغصة في الحلق..

في حفل صغير أو جلسة صغيرة حيث رفضت أمينة اي مظاهر احتفال وأباها قابع خلف القضبان، حضر الجلســـة عزيز رشوان والمحامي ليكونا شاهدين علي عقد قران حازم وأمينة.

كان وقتاً صعباً علي الجميع وكأنها مهمة يريد الجميع اتمامها والانتهـــاء منها، لم تكن هناك اي مظاهر لوجود فرح وزواج او عقد

قران..حتي ان المأذون نفسه كان يتساءل لماذا لا توجد مشروبات أو زينة أو طعام.. أين الزغروتة، «أول وأغرب حفل زفاف أشـــهده بهذه الكآبة والحزن» هكذا تمتم المأذون.

في صباح اليوم التالي ذهبا كلا من حازم وأمينة لإنهاء إجراءات السفر، وتسلمت أمينة جواز الســـفر السويسري واستخرج حازم تأشيرة دخول البلد وقام بعدها حازم بعمل توكيل ادارة وبيع سيارة لأخيه أكرم، وتم حجز تذاكر الســـفر وحازم يتساءل.. « لم كل هذه العجلة؟ .. متي حفل الزفاف وليلة الدخلة، وماذا عن شهر العسل» .. لكـــن أمينة لم تكن تلقي بالا لكل هذه التســـاؤلات ولا تجيب إلا بكلمة واحدة « بعدين يا حازم .. كل تلك الشـــكليات نرتب لها فيما بعد.. سأجعلك أسعد زوج في الدنيا اذا استطعت ان اعثر علي أمي وان اجد إجابات علي كل هذه الالغاز والتساؤلات، ساعدني يا حازم وســـتجد في فيما بعد الزوجة التي تحلم بها، ســـأكون ملك يمينك بحق».

طلب أكرم من ندى حين تقابل معها في الجامعة تحديد موعداً لمقابلة أباها.. وعندما لاحظ نظرات الإســـتفهام في عينيها، أجابها علي الفـــور ودون مقدمات .. « عايز أتقدم لخطبتك.. تتجوزيني يا ندي ..»

هل يريد أكرم فعلاً الزواج والاقتران بندى طيلة حياته كشريكة عمر..، أم انه يريد ان يرد بعضاً من الكرامة التي سقطت بين قدميه او ان يرد الصفعة لأمينة.. وهل ســـتفهم أمينة تلك الصفعة أم انها غارقـــة في حل ألغاز قد ألقي بها القـــدر في وجهها دون عون من أحد..و ما ذنب ندي في كل هذا، هي لا تســـتحق ابداً ان تكون بديلاً لأمينة.. هي تفعل كل ما بوســـعها لإســـعادي رغم انها ليست ذي صفة، فماذا ستفعل حين تصير خطيبتي أو زوجتي.. لابد ان ابادلها الاهتمام والاخلاص، أمينة الان زوجة أخي.. هي كأختي الان وستظل كذلك، وعلي قلبي ان يدير دفته ويطلق سهامه واهتمامه تجاه ندي التي لا تفعل الا كل ما فيه سعادتي وراحتي..

ندي: « طبعـــاً يا أكرم، إنها أمنية حياتـــي.. انت لا تعلم كم انا متعلقة بك وحبك داخلي يغمرني بسعادة لم أعرفها من قبل، واعتقد ان أبي وأمي يحبانك».

جلســـت أمينة في المقعد الملاصق للنافذة في الطائرة المتجهة الي جينيف بسويســـرا وبجوارها حازم قابع في مقعده وفي حالة انعدام عقل قبل ان يكون انعدام وزن فعقله مازال غير مستوعباً ما يحدث او حدث.. حضـــور أمينة من الخارج بعد غربة طويلة واول مرة يلتقي بها بعد عودتها من قسم الشرطة وحدها من دون خالي أشرف الذي لم أره أو ألتقي به، وهي في حالة بكاء دائم..

و لم يمر يومان إلا ونحن زوجان بلا مقدمات، بلا حب أو مشاعر ســـاخنة ملتهبة، وماذا عن فترة الخطوبة..أجمل أوقات العمر، كل الدلع والحب والبال الخالي، قبل المسؤليات..

ها خي الان بجواري، هي زوجتي وانا زوجها.. وأين ليلة الدخلة، أنا لم ألمس حتي يدها، وشهر العســـل وهل هذه هي كل خيالاتي وأحلامي عن الزواج، فم لا يعرفه البعض ، مثلما تحلم الفتاة بالفستان الابيض والفارس ذو العضلات علي الحصان الابيض الذي يخطف عروســـه بحركة واحدة من يده لتجد نفســـها بالفستان والطرحة وبوكيه الورد خلفه علي الحصان، الذي يخرج منه جناحان ليحلق في اتجاه السحاب !!.. الرجال أيضا لهم أحلام عن هذه الليلة، البدلة السوداء (توكسيدو) مع الفشخرة والمنظرة في الفرح وتحياته لكل الحضور والتباهي بجمال عروســـته، مع استعراض عضلاته وكأنه تحضير وتسخين قبل لقاء الســـحاب في ليلة الدخلة..أذاً ..العامل المشترك الرابط بين حلم الفتاة وحلم الرجل هو السحاب.. نعم كلمة السر هي السحاب.. ثم ينظر عبر النافذة الملاصقة لمن تدعي انها زوجته، فيري الســـحاب..نعم انها كلمة السر تتحقق، أذاً فقد حقق أحلامه، هو الان متزوج من أمينة.. مال بجسده ناحيتها ووضع يده فوق يدها، فإذا بها تسحب يدها من تحت يدها.. وتنظر إلي الأرض بخجل.

انها أغرب حالة زواج في التاريخ، تكون من نصيبي انا، انا من يقوم بدور البطولة في تلك الزيجة الغريبة، والان ..ماذا بعد ؟.. ماذا بعد ان فتحت كل الاظرف الملونة والمحشـــوة بالاوراق النقدية وقد جمعتها في حافظة نقودي الان. ، هل ســـتكفي هذه الاموال للفترة القادمة وهي كل ما املك بجانب السيارة القابعة امام المنزل ولدي أكرم توكيل بالتصرف فيها اذا لزم الامر..

ثم تذكر لقاءه مع ميمي عزيز، فكان يتمني لقاءها مرات ومرات عديدة، لكن القدر أقوي منه.. وعمله بالمجلة، لقد حادثهم في مكتب الادارة هاتفيا وطلب أجازة سنة بدون مرتب، وله الحق ان يقطعها ويعود للعمل اي وقت بعد ان تنجح مهمته مع أمينة في العثور علي أمها، ربما بعد أيام أو أسابيع، ثم يعود بعدها الي مصر والي عمله.

فتحت أمينة حقيبة يدها بعد ان أطالت النظر عبر نافذة الطائرة وأخرجت دفتر مغلفاً بالجلد الأحمر القاتم الأرجواني.. دفتر مذكرات، بدأت تكتب أولي صفحاته.. «الان بالطائـــرة انا وحازم زوجي» .. تعجبت وهـــي تكتب كلمة زوجي، أحقاً انـــا الان صرت متزوجة.. لم أعد آنســـة، صرت مدام، ماذا يفعل بـــي القدر، أتزوج ولم أكمل الثمانية عشر عاماً، أشعر انني ما زلت طفلة، اريد ان ألهو كما يلهو الاطفال، لكن أمي.. تســـتحق كل تلك التضحيات، كم أشعر بصدق حديث عمتي وفاء وان مونيكا امي لا زالت علي قيد الحياة..

ثم نظرت الي يمينها، انه حازم.. يغط في نوم ام انه مغلق العينان فقط ويعيـــش نفس حيرتي، انه متزوج وأنا متزوجة..دون خطوبة او حتي تبادل عبـــارات الاعجاب، أين أحلامي، وأبي لم يحضر عقد قراني..هو محبوس في زنزانة ضيقة وأنا أعيش في الدنيا الواسعة لكنني أشـــعر بالضيق أكثر منه بكثير، ذاهبة إلي المجهول، فمعي بعـــض النقود التي لا بأس بها.. كل ما اســـتطعت القيام به حجز تذاكر الطائرة وحجرتان في فنـــدق رخيص متواضع، .. حجرتان ؟؟؟ .. نعم فأنا لن أستطيع ان أشارك حازم نفس الحجرة، حتي ولو كان زوجي علي الورق، أنا لا أعرفه حتي ولو كان ابن عمتي.

اســـتمرت أمينة في الكتابة في أولي صفحات دفتر المذكرات دون توقف حيـــث امضت الوقت المتبقي فـــي الكتابة والتي كان أغلبها ممزوج بدموعها التي تساقطت علي الورق واختلطت بالحبر فظهرت الكثير من العبارات غيـــر واضحة حيث تداخلت الحروف مع بعضها تماماً مثل حياتها التي ليســـت لها معالم واضحة حيث وكلها متداخلة وتصب في بئر من الالغاز وعلامات الاســـتفهام التي لا تنتهي، فمنذ طفولتها وعلامات الابهام تزداد واحدة تلو الاخري..

و الان هي لا تعلم ما هي التهمة الموجهة لأبيها تحديداً، لماذا هو قابع خلف القضبان ولكي تحدثه او تقابله، لابد من الحصول علي تصريح ولعدة دقائق معدودة وهـــو مرتديا حلة بيضاء بها الكثير من الاتســـاخ، رائحته ليســـت نفس الرائحة التي اعتادت عليها من

أبيها، رائحة العطر الاخاذ وو الشـــعر المنمق والذقن الناعمة، الان تبدل الحال.. علا الســـواد وجهه مع ذقن خشنة بالاضافة الي القهر والضعف الذان يبدوان عليه ظاهراً جلياً..

وقد وصل الي مسامعها، بعض الجمل والتهم..» خطف، هروب، تغيب عن جلسة محاكمة، الانتربول..»

كل هذه التهم موجهة للأستاذ الجامعي .. دكتور أشرف سعيد .. يالك من قاسية أيتها الحياة.

بعد أن أطال التفكير كثيرا..كانت الفكرة المســـيطرة عليه هى الانتحار..

لم يعتاد أشرف أو الدكتور أشـــرف طيله حياته على مثل هذه الاهانات وكان مكان غير آدمي ينام فيه وكذلك دورات المياه بجانب الاوامر والكلام الجـــارح المهين والتطاول الذى يمتد للتطاول باليد من العســـاكر وحراس الحبس الاحتياطى الذى أحيل اليه انتظارا لميعاد محاكمته..

وكل يوم يؤخذ من الحبس الاحتياطى داخل عربه الســـجن الى سرايا النيابة للتحقيقات..

ودائمـــا لا يجد ما يقوله أو يصرح به ولكن ما يؤنس وحدته هو التعارف الذى حدث بينه وبيـــن تاجر عملة محبوس على ذمة عدة قضايا منها غســـيل أموال وتهريب أموال وتجارة عملة غير النصب والاحتيال على المواطنين ..

هو الحاج / عابد عدوى ..طويل القامة أســـمر اللون لديه كرش كبير ولحية قصيرة دون شـــارب مع وجـــود علامة الصلاه أو كما يطلقون عليها (ذبيبة الصلاه) فى مقدمة الجبهة وبين الحاجبين..

ورغم أنه أودع الشطيرة الكبرى من أمواله تحت أسماء أقارب له وبعـــض الاصدقاء من أهل الثقة ..الا أن أعين الأمن ورجال مكافحة الاموال العامة دائما يقظة.. فلم تشفع له كل تلك الألاعيب ..ويجرى حالياً حصر أمواله فى بنوك خارج مصر ..ويتم مخاطبة تلك الدول لاسترداد تلك الاموال حيث هى أموال الشعب ..

كذلك الحاج/عابد عدوى ..يوافقهم الرأى أنها أموال الشعب وأن دوره هو الحفاظ علي أموال الشـــعب ومساعدة العاملين بالخارج فى تحويل أموالهم واســـتبدالها بالعملة المحلية ليضمن لهم أكبر اســـتفادة من فرق تحويل العملة فهو قائم على خدمة هؤلاء ..هذا هـــو المنطق والحجة التى يتحدث بها هذا الحاج /عابد عدوى أمام ممثل النيابه.

وفى نهاية اليوم بعد كم الاهانات ..يمد كلا من د/ أشرف سعيد والحاج /عابد عدوى يداهما ليربط بينهما الأساور الحديدية فى رحلة العودة إلى الحبس الاحتياطى ..

وداخل عربة الســـجن يتبادل الاثنان المقهوران ..الحديث مما جرى لكل منهما داخل سرايا النيابة وكيف كان سير التحقيقات..

الى أن قال الحاج /عابد عدوى جملة استوقفت أشرف..

(ودينى لـــو ما خرجت منها مش هيحصل طيب وحا تطبل على الكل وعلىّ وعلى أعدائى)

شعر أشرف أن يده مرافقة ليد أحد مراكز القوى ..رغم أسلوبه فى الحديث الذى ينم عن شخص لم يستكمل دراسته وبالكاد يقرأ ويكتب..

الا أنه أحيانا يســـتخدم البعض لهجة قوة وتهديد استناداً على المال ..فنفوذ المـــال يتفوق كثيراً علي النفـــوذ العلمى أو النفوذ الوظيفى..عندما يتكلم المال يصمت الجميع..

مر عليهما ثلاثة أيام داخل فندق صغير متواضع للغاية ..لم تنجز أى من المهام التى حددتها لنفسها ..ضاع الوقت بين نوم طويل فى اليوم الاول والثانى والثالث فى محاولات لاستكشاف المكان جغرافياً حول الفندق..

لم تكن أمينة تدرك أن ما حـــدث معها هو أمر مخالف لطبيعة البشر.. والمهمة المقدمة عليها كذلك من الصعوبة بمكان..

تذكرت بعد أن طلبت من حازم الزواج ..فى صباح اليوم التالى توجهت وفاء لزيارة أشـــرف ..وعرضت عليه الأمر ..الذى رحب به للغاية.. وأخبر أخته وفاء أن قلبه ارتاح الان ..حتى لو تم زواج ابنته عند عمر الثامنة عشر وحتى لو لم يحضر عقد القران ..لكنه يشعر أنها فى أمان فى كنف زوج وابن عمة..

فإن طال زمـــن العقوبة فهو على الاقل ليـــس بقلق على ابنته الوحيدة أمينة..

لم يكن أشرف يدرك أنه فى الوقت الذى أخبر وفاء فيه بمباركته للزواج أثناء زيارتها له ..كانت أمينـــة تقوم بحجز تذاكر الطيران والفندق حتى قبل عقد القران..

لم تنتظر موافقة ومباركة أبيها ..وليست لها أى أهمية لديها ..الان الوضع يتعلق بأمها..فهو لم يرح قلبها ويجيب على أى سؤال لإزالة حقل الألغاز الذى كانت أمينة وبســـببه..فضل السكوت والصمت.. والان مطلوب منها أن تنتظر الموافقة والمباركة..

لا ..لن يحدث سأبحث عن أمى مهما كانت الخسائر أو التكلفة..

أما حازم ..فقد سأل أمينة سؤال واحد قبل الزواج..

هل أنـــت تدركين مـــا يحدث..أنت ما زلت فى ســـن صغيرة وستصبحين زوجة منىّ ..من رجل لا تعرفينه..لما كل هذا..

أمينـــة: " اذا أنت لا تقبل ..تمهل قبل أن تأخذ قرارك بالرفض.. لكن ليس لدى ما أقوله الا كلمة واحدة..ســـاعدنى فى العثور على أمى وفهم ما حدث فى الماضى..وأعدك أنك ستكون أسعد زوج على وجه الأرض ..ســـأجعلك فى راحة وسعادة كل لحظة..أقبل الزواج منى ولن تندم.."

ضحك حازم قائلا: "..أنا الذى على أن أقول هذه الكلمات ..أنت لديك مقومات الفتاه الكاملة..جميلة للغاية..ذكية..بالاضافة للقرابة

بيننا..أنتى ابنه خالى..وأنا الذى أعدك ..أننى سأساعدك فى العثور على أمك وتحقيق أهدافك وســـيظل الزواج بيننا شكلى على الورق فقط لحين أن تنالى ما تريدين وبعدها نرى أن تكون الحب بيننا.. اذن نفعل الزواج لمرحلة الحقيقة..وننعم بحياتنا سوياً..

واذا أردت التراجع عن الزواج فى أى وقت ..أنا على استعداد أن تحصلى على قسيمة طلاق فى نفس اليوم الذى تطلبين فيه ذلك..“

هكذا كتبت أمينـــة فى مذكراتها ما حدث أثناء الزواج وما فبله.. وكان عليها أن تتحرك فى رحلة العثور على أمها..

توجهت مع حازم الى مكتـــب محامى..عرضت عليه الموقف.. أخبرها المحامى أنه لا يســـتطيع تقديم أى مساعدة لها الا اذا كانت لديها حالـــة قانونية بالمحكمة..لكن فى هذه المرحلة هى لا تحتاج الى محامى..فهى بحاجة الى مخبر خاص ..وهناك بعض المكاتب التى تؤدى هذه الخدمة نظير مبلغ مالى وربما مبلغا كبيرا ..ثم قدم لها ورقة بها أسماء وبيانات بعض من هذه المكاتب..

كان حـــازم فى حالة من الارهاق ..فد تملكت من أعصابه وصار مزاجه سيئاً ..

حاولت أمينة من تهدئته ومســـاعدته على الراحة والنوم بعض الوقت..لكن لم تمر أكثر من ســـاعة الا واتصل بها من حجرته الى حجرتها أنه حاول النوم لكن لم يستطع..أخبرها أنه سيخرج للتنزه فليلا وعرض عليها مصاحبته لكنهـــا اعتذرت..عليها اجراء بعض

المكالمات الهاتفية بمكاتب المخبر الخاص ..لعلها تســـتطيع أن تحدد موعداً مع أحدهما..

هبط حازم الدرج وســـار فى الطرقـــات لا يعلم الى أين ..وجد نفســـه أمام مقهى.. دخل لتناول القهوة علها تساعده على التركيز الذى بدأ يفقده شيئاً فشيئاً..

فتح باب المقهى واذا به يفتح وتخرج منه سيدة..نظر اليها وهى تمسك له الباب ..وقبل أن يشكرها..

انها هى ..ميمى عزيز ..هنا فى سويسرا.. ! !

لم يستطع حازم أن يقضى مع ميمى عزيز أكثر من خمس دقائق أمام باب المقهى أخبرته أنها تأتى للتنزه مرة كل سنة لبضعة أيام إجابه على سؤاله..ماذا تفعلين هنا؟!

وأن موعد الطائرة بعد بضعه ســـاعات قليلة وعليها الانصراف للاستعداد للعودة الى القاهرة..فقد سافرت ميمى بعد لقاءها الاول مع حازم بيوم واحد..

جلس فى المقهى وصورة ميمى لا تفـــارق مخيلته..يالها من جميلة..حوله الكثير من الجميلات ..لكن ميمى جمعت بين الجمال الاوربى والروح الشرقية.. المصرية..وكأنها أوروبية قد تمصرت ..

وتمنى أن لو قابلها فى الثلاث أيام السابقة..منذ حضوره ربما قد استطاع لقاءها أكثر من مرة ..

يشعر بانجذاب غريب نحوها ..ربما أكثر من انجذابه الى أمينة.. زوجته أو نصف زوجته كما يقول لنفسه منذ ليلة عقد القران..زواج مع ايقاف التنفيذ..

ثم ضحك ضحكة خفيفة وعاود الارتشاف من فنجان قهوته..

مرت أمامه صور.. المجلة.. مكتبه ..الفنانات.. ميمى عزيز.. أمه، أخوه..

لم يستطع أن يتمالك دموعه..ثم أخرج هاتفه واتصل بأمه وفاء هاتفياً ..والتى كانت فى غاية الشوق لسماع صوته والاطمئنان عليه وعلى زوجته أمينه..

ولم تكن وفاء تعلم بالاتفـــاق المبرم بين حازم وأمينة وارتباط اتمام الزواج الفعلى بالعثور على أمها ..إما حية أو..

وبينما هما يتبادلان الكلمات الحارة والاشـــواق المفعمة بالحب الجارف..زفت وفاء خبر ارتباط أكرم بـــ ندى..

تم خطبتهما بالأمس ..دون مقدمات ..يبدو أن كلاهما على عجل لاقامة تلك الخطبة ..ندى تحب أكرم للغاية وتخشى أن لا يكون من نصيبها كما تقول الفتيات وتمنت ان تطوق اصبعها فى اليد اليمنى بخاتم الخطوبة..حتى ولو كان مصنوعا من الخشب..

أما أكرم ..فشعر بنهاية دقات قلبه الحقيقية وأن قلبه لا يحق له أن يدق منذ أن صارت أمينة زوجه أخيه..

فلابد أن يشغل ذلك القلب الشـــاب الفتى بأمر هام وقوة هائلة تكبح جماحه الجارف..أنها ندى ..الحب الوهمى كما يسميه هو فيما بينه وبين نفسه..

لـــم يدرك حقيقة ذلك الحب الا بعـــد ان توجع قلبه بدقات حب أمينة الى طعنات حب أمينة الى محاولة نسيان حب أمينة بزواجها من شقيقه ..

لابد وأن يسدل الستار وتكتب النهاية الى أن يبدأ العرض الجديد ..عرض حب ندى..عله يســـتمر ويدوم الى آخر العمر دون اسدال لستائر أو كتابة كلمات لها أى دلاله على النهاية..والبداية من حفل الخطوبة..

اغرورقت عينا أمينة بالدموع عند عـــودة حازم وإلقاء الاخبار اليها وكان أهمهم بالطبع خطوبة أكـــرم وندى..لكنها ربطت على قلبها نفس الحجر الذى ربطته من قبل فى رحلة بحثها عن أمها..

كل ما فعلته هو أنها أخرجـــت دفتر مذكراتها وبدأت فى كتابه كلمات تقويها على الاســـتمرار والتحمل..وخطـــت جملة واحدة... (ذهب الحبيب)..

وهل حقا أكرم حبيب ..كيف ..كيف تحب انســـان اخر فى أيام معدودات ولحظات قليلة من اللقاء ..ربمـــا تلاقى النظرات ..التى تخرج ســـهام تصيب القلب ..ليست خرافة..بل هى حقيقة..نظرية الحب من أول نظرة..

كنا جميعا نتخيل أنها مجرد لقطات سينمائية اشترك فيها مؤلف حالم وغير واقعى مع مخرج أفلام الحب والنهايات السعيدة..

لكن أمينة عاشت هذه الحدوته القصيرة للغاية ..ولكن القدر لابد له أن يسخر ويبقى ساخراَ مع نفاذ كلمته على رقاب الجميع ..

فقرر القدرأن تتزوج من شقيق الحبيب.. فارس الحب من النظرة الاولى..

الآن أنا متزوجة من شقيقه وبالأمس هو خاطب لندى كما علمت ابنه عميد كليه حازم وزميلته فى الدراسة أو تصغره بسنة..

وكأن حازم هو القاسم المشترك ..هو أخ الحبيب وهو كان طالباَ لدى العميد..والد خطيبة أكرم..ما هذه الشبكة والعلاقات المنسوجة بعناية..

ازدادات العلاقة بين أشـــرف والحاج /عابـــد عدى قوة فصارا يلتقيان فى أوقات الفســـحة وغيرها من المســـموح بها للسجناء بالتواجد فى الفناء .

وبدأ.. عابد فى إلقاء الاســـئلة على أشـــرف الذى كان حريصاَ ومتكتماَعن ســـبب القبض عليه وماهية تهمتـــه ..ومع إلحاح عابد أخبره أنها تهمة تخص محاكم الأسرة ..خلافات زوجية..

هنا انفجر عابد.. بالسب واللعنات على المرأة وأن كل المصائب لا تأتى إلا من النساء ثم قال جملته المشهورة بوجه عابس ..شديد العبوس..(انهن ناقصات عقل ودين)

إنحدر بهما الحديث الى الدين ..ولماذا لا يطلق أشـــرف لحيته.. عندها تعجب أشرف..ولم يطلق لحيته..هنا أقترب منه عابد بعد أن تلفت حوله خوفاً من سماع أحدهم ما ســـيقوله ..واقترب من أذن أشرف ..

" اللحية هنا أى فى الســـجن لها هيبة واحترام وخاصة اذا كنت متفقهـــا ومتبحرا فى علوم الدين وتجيد الكلام الدينى والاســـتناد والاستشهاد ببعض الآيات والأحاديث .."

" يا سلام "..." عندها ســـيكون لك عزوة وحاشية يقومون عنك بالأعمال المهينة والدنيئة ويتولون الدفـــاع عنك اذا لزم الأمر..ويا حبذا أيضا لو كان لديك بعض التنبؤات والكرامات.."

نظر إليه أشرف مســـتنكراً ما سمعه .. تنبؤات وكرامات ..كيف هذا أعتقد أنها من اختصاص الانبياء..ولا يوجد أنبياء بعد ســـيدنا محمد عليه الصلاة والسلام..

عابـــد: " لا..لا اقصد تلـــك الكرامات ..لكن مثـــلا عند ذهاب المســـاجين فى عربات الترحيلة للعرض على النيابة أو المحاكمة أن تخبر أحدهم أنه ســـيعود مجبور الخاطر وسيحصل على حكم مخفف أو سيقبل الاستئناف أو الاستشكال الذى قدمه محاميه.."

ثـــم عاد اليه عابد بعد غياب لدقائق وفى يديه كتابان صغيران.. ومد يـــده إليه قائلا : "..اقرأ هذه الكتب واجعلها فى يدك دائماً عند الخروج للفناء ودع الجميع يشـــاهدك وأنت تقرأ فيها..سيزيد من أسهمك.. حتى حراس السجن سيهابونك.."

نظر أشـــرف فى الكتاب الاول بعنوان (الثعبان الاقرع وأهوال القبر)

انفجر فى الضحك ..رغم محاولات عابد من إسكاته وإيقافه عن الضحك بصوت عال ومحاولة إخافته.: ".أتضحك من دينك وتسخر من الاسلام !! "

بعد محاولات جاهدة ومضنية استطاع أشرف الحديث رغم رغبته الشديدة فى الاســـتمرار فى الضحك كلما نظر الى غلاف الكتاب.. الذى يحـــوى رأس ثعبان كبير يخرج من فتحة قبر والنيران تحيط المكان..

" يا حاج عابد ..ايه الكلام الفاضى دة ..هو فيه ثعبان بشـــعر علشان يكون فى ثعبان أقرع.."

عقدت أمينة جلسة مطولة مع المخبر السرى الذى استقرت عليه لمساعدتها فى العثور على أمها (مونيكا باومان)

اســـتمع اليها بعناية مع تدوينه كل الملاحظات وقررا أن يلتقيا بعد مكالمة هاتفية اذا استطاع الوصول الى شئ ..

كان حازم جالســـا بجوارها ..لكنه كان سارحا ..فى عمله كناقد فنى وتواجده وســـط الجميلات وعالم الفن المبهر.. وميمى عزيز .. الصديقة الجديدة التى لا تخرج من رأسه ولا تفارق كلماتها اذنه..

مرت عدة أيام قبل أن تتلقى أمينة أى اتصال من المخبر السرى ..الذى كان ضابطا للشرطة قبل التقاعد ..واتفقا على موعد..

وامتدت الجلســـة بينهما ..لأقل من نصف ســـاعه حيث لم تكن المعلومات كثيرة ..بل هى مقتضبة للغاية لكنها أجابت على العديد من التساؤلات وأزالت بعض الغموض المسيطر على ذهن أمينة..

: " الســـيدة مونيكا باومان قد غادرت سويسرا بعد الابلاغ عن اختطاف ابنتها (أمينة – هيلدا) من قبل زوجها أشرف سعيد وبعد اقدامها على محاولة انتحار وتم انقاذها.."

هنا صرخت أمينة واســـتوقفته.. : " مـــاذا تقول هل ماتت أمى منتحرة ..

لا ..لماذا ..ماذا حدث لها كى تصل الى مرحلة الانتحار.."

رفع الرجل يده مشيرا لها بالتمهل..

: " أنا قلت محاولة انتحار وتم انقاذها..وبعدها غادرت سويسرا ..دعينى أكمل حديثى وستفهمين كل شئ..

علمت مـــن مصادرى بالمطـــار أنها قد اتجهت الـــى القاهرة وبالرجوع الى ضباط الشـــرطة الذين تولوا هذا الملف فقد صرحوا

أنها ذهبت الى القاهرة فى محاولة لاستعادة ابنتها..وبعدها انقطعت أخبارها بالكامل..

لذا أنا أعتقد يا مدام أمينة أنك تبحثين فى المكان الخطأ..

أمك حسب المعلومات المتاحة غير مقيمة فى سويسرا..ليس لها عنوان معروف ولا تمتلك ســـيارة أو أى شئ نستدل به على اقامتها هنا..

ربما مازالت بالقاهرة أو رحلت الى الدول العربية التى كان أباك يعمل بها وتربيتى أنت بها..

على أى حال ..سأواصل البحث لمدة يومان أخران حسب المبلغ الذى تلقيته منك واذا أردت أن اســـتمر بالتحرى أكثر فلابد من دفع مبلغ مثل الذى قمت بدفعه..

لكن على الاقل أننا تأكدنا أن ..مدام مونيكا باومان ..غير مسجلة فى قوائم المتوفين منذ يوم ولادتك الى الأن ..

لقد تحريت وتأكدت بنفســـى ..وعن طريـــق علاقاتى كضابط شرطة سابق ..تم التحقق من هذا الامر ..

أمك يا مدام أمينة على قيد الحياه..“

لم تكن أمينة تســـتمع اليه بأذنيها ..لكن قلبها هو ما كان يسمع ومخيلتها..

تخيلت وتذكرت الصورة الكبيرة فى حجرة المعيشـــة فى البيت الذى كان فى احدى الدول العربية ..الصورة بها شريط أسود مائل

على أحد اركان اطار الصورة لإمرأة جميلة فقدت حياتها وشـــبابها بعد ولادتهـــا لأبنتها ..لم يمهلها القدر أن تـــرى لون عينى الطفلة الصغيـــرة ولم يمهلها القدر أيضا أن ترتشـــف الصغيرة رضعتها الاولى من ثدى الام ..الاثنان حرمهما الموت من بعضهما..

كانت هذه بعض الكلمات التى طالما ســـمعتها أمينة من أبيها أشرف

: " سامحك الله يا أبى ..جعلتنى أعيش وأحيا على أكذوبة كبيرة.. كلها روايات من تأليفك وحدك ..

ربما يســـتطع حازم كناقد فنى الافتاء فى هذا الامر.. القصص التى ألفتها لى عن أمى المتوفية..

وترانى يوميا أقف أمام الصورة وأرفع يدى بالدعاء لها بالرحمة ودموعى لا تتوقف عن الهطول ولا تبالى أن تقول الحقيقة ..

لم ترحم جسدى الصغير النحيل وهو يعتصر ألما على فراق الام ..قلبى انكسر أمامك ..وبيدك وبعقلك وتفكيرك الشيطانى..لو عشت مع الشيطان ربما كان أرحم بى منك يا أبى..

كيف هانت أمى عليك أن تشـــيع عنها شـــائعة الموت وتحرمها منى وتحرمنى منها.. كيف كنت ومازلت تنام كل ليلة ..أين الضمير ..ربما هو الذى مات وليس أمى.."

اســـتطاع حازم الوصول الى مبنى أكاديميـــة الفنون بعد جهد جهيد وسؤال العديد من المارة ..رغم استعانته بالخريطة الدالة على عنوان المكان..

طلب لقاء مدير الاكاديمية لكن تم رفض طلبه لعدم حصوله على موعد مسبق ..وحاول مقابلة النائب..كذلك كان نفس الرد..

الـــى أن وصل به الحال الى الحديث مع واحدة من العاملات فى مكتب الاســـتقبال بعد ان حكى لها قصتـــه وخبراته وطبيعه عمله كناقد فنى وأنه يرغب فى العمل فى سويسرا ولو بشكل مؤقت كناقد فنى..

ناولتـــه الســـكرتيرة ورق أبيض بعد مكالمة مع مســـئول فى الاكاديمية وطلبت منه كتابة نقد فنى عن أحد هذه الافلام.. ليختار من بينها النقد الفنى عنها ..وكانت خمس اختيارات..

جلس جانبا وبطبيعـــة الحال كان لزاما عليـــه الكتابة باللغة الألمانيـــة التى لم يتحدث بها أو يكتب منذ أن كان فى فترة التعليم الاساســـى وقبل أن ينتقل الى المدرســـة الحكومية المجانية نظرا للأزمة المالية التى كانت تمر بها والدته ..وفاء ..

اختـــار واحدا من الافلام الامريكية التى شـــاهدها أكثر من مرة ..وبدأ يكتب أول الكلمات ..توقف بعد ثانى جملة ..حاول استعادة مهارات اللغة لديه ..واستكمل الكتابة ثم أعاد الورقة الى السكرتيرة والتى بدورها أخبرته أن ينتظر مكالمة هاتفية خلال بضعة أيام..

أمسك أشرف بماكينة الحلاقة البلاستيكية كما يفعل كل صباح ووضـــع الصابون على وجهه..ورفع يده ليمررها على ذقنه ووجهه للحلاقة الصباحية المعتادة..

لكنه توقف وتذكر كلمات الحاج /عابد عدوى " سيكون لك هيئة ونفوذ .."

خفض يده ووضع ما فيها جانبا وغسل وجهه دون حلاقة لذقنه وأخذ يتمتم..لن ترى هذه الذقن الموس بعد اليوم..باذن الله..

ثم توجه الى الفناء الذى يتوســـط أبنية السجن ..ليجد الحاج / عابد ..يناديه بأعلى صوته ..يا حاج عابد ..أنا هنا..

يتوجه اليه الحاج / عابد وأول جملة يلقيها عليه..

لا تقل حاج /عابد ..أنا هنا اسمى الشيخ /عابد ..

وســـار يتبادلان الحديث فى الفناء الضيق ..وأرضيتة الرملية.. وبدأ الشيخ عابد فى سؤال أشرف عن أحواله المادية..

أنت يا أخ أشرف.. دكتور ..أستاذ جامعى فى دولة عربية وتعمل منذ ســـنوات..أين هى أموالك التى عدت بها ..ولماذا لم تحولها عن طريق مكاتبنا..

أشرف: مكاتبكم؟!!

عابد: نعم نحن نمتلك سلسلة مكاتب صرافة تعمل داخل مصر وخارجها وتؤدى خدمة جليلة للمغتربين فى الخارج ومســـاعدتهم

فى تحويل أموالهم دون أى عناء وسرعة الوصول مهما كانت المبالغ النقدية الى ذويهم فى مصر

.. كان أجدر بك أن تسأل وتتحرى ..

الاسم معروف للغاية..(العدوى للصرافة)

والآن ..أين وضعت أموالك؟؟

أشرف: قمت بتحويلها على أحد البنوك الوطنية..

عابد: كيف تفعل هذا ..هذه البنـــوك تتعامل بنظام ربوى..ضد شريعه الله وفطرة الله التى فطر الناس عليها..

نحن نتعامل بالنظام الاسلامى التجارى فى كل المعاملات المالية حيث الفائدة لدينا متغيرة حسب المشروعات التى نقوم بها ودائما ناجحة باذن الله..

لابد أن نجد طريقة لاخراج أموالك من تلك البنوك لاستثمارها فى الحلال..

اســـتمع اليه أشرف دون أى اســـتجابه وكأن عابد كان يحدث الهواء ..

وانزوى أشرف جانبا وبيده الكتابان وبدأ يقرأ فى الاول.. الثعبان الأقرع.. وأهوال القبر ..

لم يستسلم للضحك كما كان أولا ..لكنه حاول القراءة ..

نذير وتهديد ووعيد وأهوال عذاب القبر استنادا الى آيات وأحاديث كثيرة وتفسيرها جميعا تصب فى أن المرء الذى يبتعد قيد أنمله عن المظهر والزى والالفاظ الاسلامية ..هالك لا محالة..

استمر فى القراءة وبدأت ملامحه تأخذ الشكل الجدي الاقرب الى الخوف..

اصطحب أكرم ندى فى نزهة نيلية فى مركب شـــراعى صغير ..أحضر بعض الشطائر والمشروبات الخفيفة..

جلســـت الى جواره وتركت يداها لتستقر بين يديه وهى تشعر بالخجل ..طال الصمت بينهما لكن حديث قلب ندى لم يتوقف..

وأول ما تكلمت به كان .. أنت بتحب الاطفال ياحبيبى؟

وقبل أن يجيب..أضافت " أنا بحب الاطفال جدا ونفســـى يكون عندى ولاد وبنات كتير..كنت فقـــط أبحث عن أب جيد لهم..إلى أن قابلتك..“

ابتســـم لها أكرم ورفع يدها وقبلها قائـــلا: هأعمل كل جهدى علشان أسعدك وأكون هذا الأب..

استمر الحديث بينهما مع ضربات مقدمة المركب لموجات نهر النيل المتتابعه ..

وبدأ أكرم يترك لقلبه الفرحة للتقرب من قلب ندى..لعله يستطيع أن يدق لها.. حتى ولو كان دق وهمى..

لابد للعقل هنا أن يتدخل ويكون له دور فى إنجاح هذه العلاقة التى ستتحول الى زواج فور تخرجه من الجامعة..هكذا كان الاتفاق مع أبيها د/زاهر حداد..

أن ينعما بالخطوبة والتعارف ..حيث الخطوبة دائما فترة اختبار للطرفين ..

وبعد تخرج أكـــرم ..يمكنهما أن يتوجا علاقتهما بإتمام الزفاف وشهر العسل..

بعد سفر حازم وحصوله على اجازة بدون راتب ..

انتقلت مهام عمله والعامود الذى يكتبه الى رئيس القسم..عزيز رشوان.. والذى استرجع ذاكرته أيام كان محرراً بالمجلة الفنية ونزل الى الميدان مـــرة أخرى للتواجد فى أماكن التصوير والمهرجانات ومحاولة الحصول على أخبار الفنانين والفنانات ســـواء العملية أو الشخصية..

وبعـــد عدة أيام تواجـــد فى مكان تصوير أحـــد أغانى الفنانة الشـــهيرة ..ميادة غزاوى.. وهناك تقابل وجهه لوجه أمام مخرجة العمل ..ميمى عزيز..

التى ما أن رأته حتـــى ركضت ناحيته وإرتمت على كتفيه وبين ذراعيه ونادته بـــ أبى..

ألتف حولهما بعض العاملين والمساعدين ..أبيك..

هل الاستاذ /عزيز رشـــوان أبوك أم تشابه أسماء بما أنك ميمى عزيز ..

ضحك الاثنان ..ميمى عزيز وعزيز رشوان..

وبدأ عزيز يقص عليهم القصة لازاله الغموض ..ان كان أباها أم لا

اننى التقيت بميمى من حوالى ثمانية عشـــر عاماً ..وكانت فى أولى زيارتها الى القاهرة وفى حالة نفسية سيئة وتتحدث الانجليزية بصعوبة وكانت تحتاج لمن يأخذ بيدها فى بلد غريب وثقافة ولغة غير مألوفة لديها ..

أوقعها القدر فى طريقى ..أخذتها الى منزلى وأقامت فى حجرة ابنتى قبل وفاه زوجتى ..أحببناها جميعا..

أتمتت دراستها للاخراج هنا فى القاهرة ..وتعلمت العربية..

وكان اختيار اسم ميمى من إقتراح ابنتى ووافقنا عليه جميعا وصارت الان ميمى عزيز..

وبعد وفاه زوجتى لـــم تتحمل الصدمة ..فقد كانت تحبها كثيرا ..وبعدها تزوجت ابنتى وهاجرت الى كندا مع زوجها

وهنا انتقلت ميمى للعيـــش بمفردها وظللنا على تواصل والذى كان يقل تدريجيا بمرور السنين وإنشغال كل منا..

لكنها ابنتى التى لم انجبها..

هنا تدخل أحد الحضور قائلا : ذكرتنى بقصة اســـم عبد الحليم حافظ كما قرأتها فى احدى المجلات القديمة..حيث كان يدعى عبد الحليم شـــبانة ونصحه الكثيرون أن يتخذ له اسما فنياً حيث اسم شبانة ليس اســـم فنى ولن يعجب الجمهور ..هنا حاول عبد الحليم أن يتخذ من اسم الموسيقار عبد الوهاب اسم ثانى بعد عبد الحليم ..لكن لم يكن مستســـاغاً على الأذن ..عبد الحليم عبد الوهاب .. هنا أقترح هو أن يأخذ أسم الأســـتاذ حافظ عبد الوهاب رئيس الاذاعه آنذاك والذى كان داعما لموهبة عبد الحليم وهو مغمور قبل الشهرة وبذلك صار اسمه عبد الحليم حافظ..

تركت ميمي الجميع وســـط كلماتهم الرقيقة لها وللأب الروحى عزيز رشوان وانزوت جانبا ..ثم أخرجت من صدرها سلسلة طويلة ..وبهـــا كلمة من خمس حروف قامـــت بتقبيلها ..تقبيل كل حرف وعيناها مغرورقتان بالدموع إبتلت معها الحروف الخمسه HILDA

عاودت أمينة لقاءها بالمخبـــر الخاص..وقد بدأ على وجهه من النظرة الاولى أن لا هناك جديد لديه .. ومع هذا أهتمت أمينة لسماعه بشغف..

والذى قال انه تحرك فى أماكن عديدة وتواصل مع أكثر من جهه ثم ناولها ملف فيه كل المعلومات..

اســـم وعنوان البارك المطل على بحيرة لدسيرن.. حيت كانت تبحث مونيكا عنهما ..هى وأبيها أشـــرف ثم قســـم الشرطة الذى قدمت فيه البلاغ..

وبعدها المستشفى الذى عولجت فيها أثر محاولة الانتحار بقطع شريان معصمها..

وتضمن الملف أيضا اسم وعنوان المستشفى التى وضعت فيها مونيكا ابنتها أمينة..وأخيرا مرفق بالملف عدة صور لمونيكا..

تناولت أمينة الملف ..وقلبت فى أوراقه بسرعة على أن تفحص كل هذه الاوراق بعنايه عند عودتها الى الفندق..

أمســـكت بورقة صادرة من مستشـــفى ســـانت آن لوسيرن هيرسلاندن.. وهى المستشفى التى ولدت بها أمينة..وبها تقرير عن حالة الام والمولودة وأن كلاهما بصحة جيدة وقد غادرا المستشفى فى اليوم التالى للولادة..

يا ألهى.. اذن هى لم تمت أثناء الولادة كما أخبرنى أبى..

الكذب مستمر والاقنعه تسقط والضربات الموجعة لى تتوالى..

لكن.. هذه المرة هى ضربة رائعة ليست موجعه على الاطلاق.. بل هى ضربة أزالت الكثير مـــن الاوجاع ..وأنا لم أعد مصدومة فى أبى ..لقد تعودت أن علىّ أن أعتاد على مراجعة كل معلومة ذرعها فى رأسى وحطم بها قلبى..

وما ذكره التقرير ..أننى خرجت مع أمى ..أى بين ذراعيها ..أى أنها بالتأكيد أرضعتنى وأهتمت بى كأى أم مع رضيعتها..

ثم وضعت ورقة المستشـــفى جانبا ..وأمسكت بمظروف داخل الملف به ثلاث صور..صورة وهى فى قســـم الشـــرطة أثناء البلاغ ..وأخرى وهى ممددة على الارض والدمـــاء حولها أثناء محاولتها للانتحاروالثالثة وهى على فراش المستشفى بعد إنقاذها وإفاقتها ..

شعرت أمينة بالدوار والانهيار التام وتدميرها عاطفيا وعصبيا..

حتى صورة أمى يا أبى ..هكذا قالت وهى تصرخ وتفتح حافظة نقودها بعصبية شـــديدة وارتجاف يســـرى فـــى يديها واخرجت صورة صغيرة نفس الصورة التى كانت فى حجرة المعيشة وعليها الشريطة السوداءالمائلة ..

وضعت الصورة الصغيرة التى أخرجتهـــا من حافظة نقودها بجوار صورة أمها وهى فى قســـم الشـــرطة ..صورتان مختلفتان تماما ..

أخذ المخبر الخـــاص الصورتان وأكد علـــى كلام أمينة أنهما لفتاتان مختلفتان ..

اذن من هى هذه السيدة..

هنا تدخل المخبر الخـــاص قائلا: أنا اســـتطيع أن أعود اليك بمعلومات عـــن صاحبة هذه الصورة لكـــن أعطينى بعض الوقت وسيتكلف الكثير من المال..

أمينة: لا..لا يهم.. ربما تكون شـــخصية عامة واســـتعان أبى بصورتها كى تكون القصة المزيفة منطقية..

وضعت الصورة الصغيرة جانبا وتفحصت الصورة الثالثة واشتد بكاؤها عند مشاهدتها لصورة أمها ممددة على الارض بجوار دمائها فى محاولة لانتحارها..

وزاد نحيبها عندما علمت ..أنها قاربت على الخلاص من حياتها بعد فشلها ويأسها فى العثور على ابنتها الوحيدة..

أنهت جلســـتها بصعوبة مع المخبر الخاص واســـتغرقت وقت طويل كى تتمكن من النهوض ..

طلبت من حازم العودة الى الفندق وســـوف تقوم هى بالعودة سيرا على الاقدام .. تريد أن تختلى بنفسها لبعض الوقت..

فما حدث لها اليوم من مفاجأت ومعلومات وما شاهدت من صور فوق تحمل قلبها البرئ..

بمجرد أن اغلق حازم باب الغرفـــة فى الفندق دق هاتفه وكان على الطرف الاخر مسئول فى أكاديمية الفنون للرد على النقد الذى كتبه فى الفيلم الذى اختاره من بين خمسة أفلام..

الاســـلوب اللغوى ركيك وضعيف..نقاط تحليل الفيلم ســـواء الايجابية أو الســـلبية لم يتم توفيقك فـــى اختيارها..هناك لقطات ومشاهد أخرى كانت محورية فى سياق الدراما ..لم تذكرها وكذلك

تحولات تركيبه بعض الابطال النفســـية فى الصراع الداخلى الذى لازمهم فى اغلب فترات الفيلم..

يبدو انكم فى الشرق الاوسط تحللون وتنتقدون الافلام بطريقة مغايرة تماما عما يلفت انتباهنا هنا..

انصحك بتقويـــة اللغة وخاصة جانب تراكيب الجملة .. والتعود على مشاهده الفيلم بعقلك وحسك الفنى أكثر من القلب والعاطفة ..

مع الاهتمام بعناصر مســـاعدة أدت الى نجاح الفيلم..مثل إبهار وزوايا التصوير وكذلك أوقات الكلوز أب على وجه البطله فى مشاهد محددة مع الموسيقى التصويرية ..

وكذلك فى هذا الفيلم تحديدا فقد حصلت على جائزة الملابس.. منســـق الملابس لعب دورا هاما فى خروج الفيلم واقناع المشاهد بأحداثه بهذه الصورة ..حظ أوفر فى المرات القادمة..

هذا ما سمعه حازم من محدثه..ألقى الهاتف على الفراش وشعر بإرهاق شديد لم يعتد عليه..فقد كان فى مصر له وضع آخر..

الجميع يتودد اليه ولا يسمع الا كلمات الاعجاب عن مقالاته سواء تمدح أو تذم أحد النجوم أو النجمات..

اهانه..إحباط..مع الاحساس بضآله وصغر حجمه..وكأنه حشرة صغيرة قد داستها قدم غليظ..

أمسك بحافظه نقوده ليرى كم تبقى لديه من مال..

هـــذا المبلغ بالكاد يكفيهما ربما لشـــهر آخر مـــن الاقامة فى سويسرا..

حاول التحدث مع أخيه أكرم فى الهاتف لكن صوته كان محشوراً فى حلقه ولم يستطع أن ينطق بكلمة واحدة..

أرسل له رسالة يطلب فيها أن يقوم أكرم ببيع السيارة وارسال له الاموال فى أسرع وقت ..

حاول أن ينام.. لكن دون فائدة..

قفزت فى ذهنه صورة ميمى عزيز ..تمنى لو اســـتطاع رؤيتها أو الحديث معها ربما تســـمعه أو تفهمه..ألهذه الدرجة ومن مقابلة واحدة يشعر معها بهذا الارتياح..وكأنه يعرفها من سنين طويله..

غريب هذا القـــدر هل يحب حازم ميمى عزيـــز.. أم يرى فيها مســـتمعاً جيداً ، هو يدرك فارق الســـن بينهما وأنها تكبره بأعوام كثيرة كذلك صرحـــت له ..لكن ما رأته عيناه غير ذلك ..الشـــباب والحيوية يدب فيها كأنها تصغره فى العمر بسنوات..

اقتربت أمينة مـــن ضفة بحيرة لوســـيرن.. بهدوءها ورونقها الغيرمألوف فى بحيرات العالم ..الجبال الراســـية التى تكســـوها الخضرة على الثلوج تحيط البحيرة فى الجانب الشمالى ..والبيوت المترامية فوق الجبال .. وتشـــق البحيرة بعض المراكب واليخوت الصغيرة..

سارت أمينة فى الممشى المحادى للبحيرة وكأنها تقوم بمشهد تمثيلى مكتوب لها مســـبقاً وتتلفت يمينا ويسارا..ربما تقابل أمها مونيكا..بعد أن حفظت ملامحها الجديدة من الصورة الصحيحة..

تراءى أمامها خيالات وكأنها ترى امراة تسير بطفلة داخل عربة أطفال وهى تغنى لها ..هكذا تخيلت نفسها مع أمها..بالتأكيد كانت تفعل ذلك..

بدأت تشعر بالتعب ..

جلست على أريكة لترتاح قليلا ..

شاهدت زوجان من الشـــرطة يسيران جانبا ..طرأت فى رأسها فكرة ..توجهت ناحية رجل الشرطة ومعه امرأة شرطية ..وأخرجت من الملف الذى لديها صورة محضر الشرطة والبلاغ الذى كتب فى قسم الشرطة من أمها بعد هروب واختطاف أبيها لها..

سألتهم عن مكان قسم الشرطة الذى تم فيه هذا البلاغ..

وبعد الاستماع للشرح ..سارت بأقصى سرعة الى أن وصلت الى قسم الشرطة..

أمام شباك تلقى الشـــكاوى والبلاغات بقسم الشرطة ..حاولت أمينة جاهدة أن تشرح للضابط الذى كان يسمعها دون اهتمام وهو يدق بعض الأزرار فى لوحة مفاتيح جهاز الكمبيوتر أمامه..

أخرجت محضر الشـــرطة المقدم من أمهـــا مونيكا ..نظر اليه سريعا الضابط ولم يجب الا بكلمة واحدة ..انه منذ أكثر من ثمانية عشرة عاما..

وواصل دق المفاتيح مرة أخرى..

شعرت أمينة بالاحباط الشديد وانهارت فى البكاء وعلا صوتها وحاولت أن تعيد الشرح ثانية..

هنا ظهرت ضابطة شرطة..وحاولت تهدئتها وجلست بها جانبا واستمعت لها باهتمام شديد ..

ثم أجابت أنا فهمت ما قلتيه ..لكن ما هو طلبك .. ماذا تريدين؟؟

أمينة: أريد أن اتقابل مع الضابط الذى ذكر اســـمه فى المحضر أو الضابطة التى ذكر اسمها وتوقيعها ايضا على المحضر..

نظرت الضابطة مرة اخرى فى الاسماء المدونة فى المحضر ..ثم هزت رأسها يمينا ويســـارا قائلة ..هل تدرين ما تطلبيت ..لقد مر على هذا المحضر اكثر من ثمانية عشرة عاما..ومستحيل أن تجدى أحدهما هنا .. يحدث هنا حركـــة تنقلات كل ثلاثة أعوام.. فلابد أن توجه كل منهما للعمل فى موقع اخر أو قســـم شرطة آخر ..أنا لم أتعرف على هذه الاسماء رغم عملى فى هذا القسم منذ عامان..

شـــعرت أمينة أنها كالطفل التائه فى السوق وفقد أمه وبدأ فى سؤال الباعة والمارة عن امرأة ترتدى فستان .. كم ألف امراة ترتدى فستان .. من هو الخارق الذى يملك الاجابة..

شعرت بحالة من الاعياء الشديد وأن الحوائط تتحرك من حولها وزغللة أغلقت عيناها..ومالت بجســـدها ورأســـها جانباً وأغمضت عيناها..

لم تدرى كم مر عليها من وقت والعاملين والعاملات فى قســـم الشرطة يحاولون إفاقتها وبعد دقائق توقفت سيارة اسعاف وهبط منها المسعفون الذين حملوها على الحمالة الطبية الى داخل العربة.. وتطوعت الضابطة بالذهاب معها للمستشفى للاطمئنان عليها..

تحسنت حالتها بمجرد اجراء بعض الفحوصات وتعليق المحاليل اللازمة لانعاشـــها ..كانت الضابطة تعلم أنها لاتشكو ألما بجسدها ..لكن روحها تتألم على فراق أمها..

وهنا أخبرتها أنها ستؤدى لها خدمة ربما تبدو غير قانونية لكن ستخوض معها هذه المحاولة..

ستساعدها فى الحصول على الضابط أو الضابطة ..ربما لديهما ما يقولانه عن بلاغ مونيكا الذى تم منذ ثمانية عشرة عام..

عادت أمينة الى الفندق على أمل أن تتلقى مكالمة من الضابطة فيها أى معلومة جديدة أو بصيص أمل..

داخل الغرفة وجدت ورقة مدونة من حازم..أنه خرج للتمشـــيه حول الفندق..فلا تقلق عليه..

لم يكن حازم فى حقيقة الامر فى نزهة والتمشـــيه فى المدينة الجميلة بشـــوارعها الضيقة ومحلاتها الصغيرة القديمة والمطاعم

الصغيرة الراقية والاضاءة مع الاشجار والزهور الملونة فى كل مكان والموسيقى تعزف فى الشـــوارع بآله الاكورديون ورائحة مختلطة بين البيتزا الايطالية والقهوة الفرنســـية مع الكريب والشـــيكولاته الساخنة..

لم يشعر بالجوع رغم كل هذا الخليط من الرائحة التى يسيل لها اللعاب ..لكنه ومع ذلك دخل أحد المطاعم الصغيرة بالنوافذ الكبيرة والاضاءة الصفراء خلف النوافذ وعلى جانبى الحائط..

ســـمع صوت بيانو يعـــزف بالداخل مع أصـــوات الحديث من الطاولات..

توجه الى أحد العاملين بالمطعم وطلب مقابلة المدير ..سأله عن السبب ..أجابه أنه رأى يافطة ورقية مكتوب عليها مطلوب عاملين..

وبعـــد مقابلة مع المدير..وبعد ان عـــرف أنه مصرى ..يتحدث العربيـــة ..فرح به وأجابه أنه يريده للعمـــل فى وظيفة نادل يقدم الطلبات للزبائن على الطاولات وأنه سعيد أنه يتحدث العربية ..حيث يأتى عدد لا بأس به من رواد المطعم يتحدثون العربية..سيكون هو الوحيد القادر على التفاهم معهم بسهولة..

تلقـــت أمينة اتصالا من الضابطة تبشـــرها فيه أن لديها أخبار طيبة ..

أمينة: فرحة..أخيرا ..أنا أسمع..

الضابطة: الرجل الشـــرطى قد تقاعد وأحيل الى المعاش وهو يعيش فى بلدة بعيدة فى الريف ..وصعب الوصول اليه..

أما الضابطة فهى تعمل فى شرطة زيورخ ..وعرفت عنوان عملها وأيضا بيتها..قابلينى غدا وأعطيك البيانات وتســـتطيعين الذهاب لمقابلتها..

فرحت أمينة للغاية وشعرت أن إلحاحها واصرارها قد أتوا بعض الثمار وكأن الله سمع دعائها وبكاؤها..

انتظرت حازم ..حتى عاد فى وقت متأخر وقصت عليه ما حدث لها..وعلى قدر الغضب والتعب والتوتر ..الذى أدى إلى الاحباط ..

على قدر الانفراجة أو بداية الفرج ..تشـــعر أنها ستجد بعض المعلومات لدى الضابطة التى تعاملت مع أمها ..رغم مرور كل هذه السنوات..حيث أن مثل هذه الحالات لا تتكرر كثيرا..

فهى ليست حادثة سرقة أو مشاجرة أو فقدان قطة أو كلب.. أنه رجل شرقى عربى اختطف ابنته وسافر بها الى بلاده ..

هكذا قيل لها فى قســـم الشـــرطة قبل أن تصاب بالاغماء وهذه الحالات لا تتكرر كثيرا هنا فى سويسرا..

ازدادت شـــعبية أشرف والشـــيخ /عابد عدوى ..وصار الشيخ أشـــرف بعد أن طالت لحيته لتصل الى قرب صدره.. وازدادت عدد الكتب التى يمسكها فى فناء السجن ..وكان قد صدق الشيخ / عابد

فيما قاله مسبقاً ..أنه ســـيكون له هيبة واحترام بين نزلاء السجن حتى حراس وعساكر السجن كانوا يعاملونه ببعض الاحترام.. وكأنه وجد ضالته أن يكون نزيلا فى الســـجن لكن دون اهانة لفظية أو جسدية..

كما اتفق مع الشيخ/ عابد أن أحد أهم المحامين الذين يدافعون عنه سيتولون قضيته ويدافعون عنه هو الآخر..

وكل ما عليه فعله هو عمل توكيل للمحامى للدفاع عنه..

وعمل توكيل آخر لزوجة الشـــيخ /عابد لادارة أموال الشيخ / أشرف والتصرف فيها ..

حيث ستعمل على المضاربة بها والتجارة ليتضاعف حجمها..

وعندما أبدى أشرف إعتراض أو عدم ترحيب.. أخبره عابد بنبرة فيها تهديد وجدية..

" أنا قدمت الســـبت عليك الآن أن تقـــدم الأحد..أنا أنقذتك من بلطجية السجن وعملت لك مكانة من لا شئ كى تكون مكرماً بينهم ..

وأقنعت أكبر محامى فى فريق المحامين المدافعين عنى بالتولى بالدفاع عنك دون دفع أى أتعاب ..

الآن حان دورك ..أعمالى متوقفة وأحتاج الى سيولة ..كى تعود مكاتب الصرافة للعمل كما كانت ..زوجتى تعرف جيداً كيف تديرها

وتربح الكثير من وراءها..جرب ولن تندم..وإلا ســـأغضب وأنت لا تعرف غضبى..“

فى أول يوم عمل لحازم فى المطعم..وقف ليســـتمع الى الشرح من أقدم نادلة فى المطعم مرتدياً قميصاً أبيض وســـروالا أســـود ويضع حول وسطه مريلة مطبخ طويلة تصل الى حذاءه فلا يظهر منها السروال الاسود إلا من الخلف..

وبما أنه تحت التمرين فما عليه إلا ان يقوم بفرش الطاولة التى يغادرها الزبائن ..

ســـيقوم العامل بأخذ الاطباق والاكواب وكل مـــا على الطاولة ويذهب بها الى عامل غسل الاطباق..

وعلى حازم أن يضع مفرش ســـفرة نظيـــف ووضع الاطباق النظيفة أمام كل مقعد مع كل المشتملات الاخرى من أكواب وملاعق وشوك وسكاكين..

لا تظن أنه عمل هين أو بســـيط ..أنها أهم وظيفة.. حيث طريقة واتقان ترتيب الطاولة لا يقل أهميـــة عن جودة وطعم كل صنوف الطعام..

هذا فى الوقـــت الحالى..المرحلـــة القادمة ســـتقوم بتقديم المشروبات وبعدها تقدم المقبلات وبعد ان تكتسب الخبرة المطلوبة ستقوم بتقديم الحساء والطبق الرئيسى وأطباق الحلوى..

إذن عليك أن تتعلم وتعرف كل الاصناف..أسماءها وكيف تنطق ..مع مكونات كل طبق وطريقة الطهى..وكل معلومة ولو صغيرةعنه وهذه ايضا ليست بالمهمة السهلة ..تحتاج الى وقت وتركيز ومجهود وصبر..

هذا كله بجانب طريقـــة التعامل مع الزبائن ..ســـتجد منهم البشـــوش الطيب وآخر عابس الوجه..مغـــرور وثالث لا يكف عن الطلبات والشكوى ..ورابع يريد فتح أى حديث أو حوار..يريد فقط التحدث..وهكذا..!!

شعرت ندى بغضب وغيظ شديد عندما تلقى أكرم مكالمة هاتفية ..قام على أثرها وترك ندى وحيدة على طاولة فى كافتريا مطلة على النيل مباشرة..لم تجلس معه ســـوى أقل من سبعة دقائق قبل أن يغادر ..أنه شخص يريد معاينة السيارة التى يمتلكها حازم ويتولى أكرم بيعها ..وهـــذه لم تكن المرة الاولى فمنـــذ أن أهتم بأمر بيع السيارة ..لم تعد ندى تراه الا قليلاً وعلى استحياء داخل الجامعة.. ولم يعد يشرح لها ويساعدها فى مادة التشريح كما كان سابقاً ..

لقد شاهد وعاين الســـيارة أكثر من عشرين فرداً ولم يتم البيع بعد..

هذا أمر ليس بالهيـــن..كلام كتير..ومحاولة لايجاد أى عيب فى السيارة للنزول بالســـعر الى أقل من النصف ..هذا بجانب التجار

الذين يدعون أنهم مشـــترون عاديـــون ويحاولون الحصول عليها بأبخس الأثمان..أنه أمر سخيف للغايه عندما تقدم على بيع سيارة..

هكذا كان أكرم يصرخ عندما يرى الغضب يتملك منها ودائما ما تقول له ..انا مش لاقياك يا أكرم..!!

استطاع بعد جهد شاق أن يتمم بيع السيارة وقام بتحويل النقود الى حازم..وأضاف اليه قيمة نصيبه من أرباح الارض ..حيث تقوم وفاء بتقسيم تلك الارباح بينهما الاثنان وهى تكتفى براتبها..

فى غرقة مظلمة بعض الشـــئ كانت ميمـــى عزيز ممددة على شيزلونج أبيض اللون وموســـيقى الجاز الخفيف تملأ الغرفة..مع الزهور الطبيعية الموزعه بعنايه ..

وبجوار الشيزلونج جلس د.رؤوف ليستمع الى ميمى عزيز ..فى احدى الجلسات التى اعتادت عليها ميمى عزيزبعد وفاه زوجه عزيز رشوان وسفر ابنته الى كندا..والانتقال للعيش بمفردها..وشعورها بالوحدة التى تملكت منها بعد معاناه واكتئاب شـــديد بسبب فقد ابنتها الوحيدة أمينة..

وقد بذل د.رؤوف مجهودا مميزا لإخراجها من حالة الاكتئاب ..

وصارت تشغل كل وقتها تقريبا فى العمل.. كى لا تعطى عقلها أى فرصة للتفكير وايضا لتضمن معيشة جيدة فى الوسط الفنى..

أطلقت لنفســـها العنان للكلام والحديث المســـتفيض ..وهى ممسكة السلسلة التى عليها الخمس حروف اللاتينية باسم هيلدا .. وتطلق كم من الاسئلة بلا أى اجابات..

ياترى أين تعيش أمينة وما هى دراســـتها ..وكيف صار شكلها الان..لابد أنها أنسة جميلة.. هل لازالت شقراء كما كانت وهى مازالت مولودة صغيرة..أم أن ملامحها قد تغيرت مع مرور السنين؟

ماهى هواياتها..هل تمارس اى نوع مـــن الرياضة ..هل تحب الموسيقى ..وماذا تسمع من أغانى.. وهل تحب القراءة ..وكيف هى ملابسها؟

السؤال تلو الآخر..بلا اجابات ومع كل سؤال..تارة تبتسم وكأنها تتذكر شيئاً بعيدا من الماضى السحيق..وتارة أخرى تهبط دموعها على وجهها والحسرة تغلف صوتها والأهات والزفرات تزج الواحدة تلو الاخرى..

لم يعد لها أى أمل فى الحياه سوى أن تسمع أى خبر عن ابنتها ..أمينه أو هيلدا..

ليس لها أى رغبة فى الرجال ..ترفض الزواج الذى يعرض عليها تقريبا اســـبوعياً يطلب منها أحدهم الارتبـــاط والزواج ويعرضون عليها الأموال والهدايا الثمينة ..لكنها لا تســـمع ولا تعطى اى انتباه لأى من تلك الطلبات..

فهم يرون فيها المرأة الاوروبية الشقراء ..ذات الجسد الممشوق الذى يلهث ورائه الكثير من النساء ..مخرجة ناجحة ومشهورة فى الاوساط الفنية ..لطيفة التعامل بقدر زائد من الأدب والاحترام..فهى ترفض الرجل الشرقى والعربى الهوى على السواء..

ولا يشـــعر بنارها الموقدة أحد ..اللهـــب داخل صدرها ليس له صدى على وجهها..ماوراء الابتســـام ..بقايا رماد..بقايا انســـان ..عاشت ثمانية عشر عاماً فى حيرة وعذاب ..

أسوأ عقاب هو الحرمان وأسوأ حرمان هو الحرمان من وليدك.. قطعة منك.. دمـــاء واحدة ..ليس لها أى ذكريـــات الا أيام الحمل ..الولادة وفترة قليلة للغاية من الرعاية والاهتمام بأمينة..

نهضت ميمى عزيز ..وأخذت طريقها للخارج ..وهى تسمع .. " ميعادنا الاسبوع القادم.."

اجتاز حازم الفترة الأولى من التدريب والان ســـينتقل الى مهلة التعامل المباشر مع الزبائن ووضع المشروبات على الطاولات..

مرت ساعة وهو يعمل جاهدا بشكل طبيعى ..إلى أن نادته امرأة على احدى الطاولات ..

واحدة من ضمـــن اربع أفراد يتناولون طعـــام الغذاء..هل من الممكن كوباً من الماء من فضلك..أشار اليها حازم برأسه..أى ..نعم

وذهب لاحضار الماء ..وعندما حاول وضعه على الطاولة سقط الكوب من يده وانهمرت المياه المثلجة على ملابس الزبونة..

اعتذر بشدة وانضمت اليه كبيرة النادلات.. لمساعدته ومحاولة تجفيـــف ملابس الزبونة التى بدورها كانت من الكرم أن أعربت عن تقبلها للاعتذار وأنها تعلم أنه لا يقصد ..

وهب حازم الى داخـــل المطبخ وأحضر كوباً آخر مثلجاً وتوجه به الى الطاولة وبنفس الطريقة سقط الكوب للمرة الثانية وانسكبت المياه المثلجة على بطن نفس الزبونة ..التى فقدت صوابها وأمطرت حازم بوابل من التوبيـــخ واتهمـــت الادارة بالتقصير فى اختيار العاملين وطريقه تدريبهم..

ظهر مدير المطعم وطلب حـــازم أن يحضر الى مكتبه..والذى بدوره أمطر حازم بوابل آخر من اللـــوم والعتاب على قله تركيزة وأنه سيتسبب فى الخسارة للمطعم الذى بنى سمعة طيبة على مر السنين وأن مجرد غضب زبونة سينتشر فى البلدة الصغيرة وربما يخسرون المزيد من الخسائر..ثم أمره أن يخلع المريلة ويغادر..

بلا عودة..أى أنه مفصول..

لم يصـــدق حازم ما حدث فى خلال أقل مـــن خمس دقائق أن يسكب كوب الماء البارد مرتان متتاليتان على نفس السيدة.

أين عقلـــه وتركيزه..ماهى الصعوبة فى حمل كوب ماء ووضعه على الطاولة ..كيف يسقط من يده كما يحدث للأطفال..

حاول الاعتذار مرارا للمدير وأن يعطيه فرصه أخرى وســـيثبت جدارته..

وأمام الحاحه ..قبل المدير الاعتذار ولكن عليه أن يصعد الســـلم من أول درجة..

الفرصة الوحيدة التى أمامه الان هو أنه يعمل داخل المطبخ فى غســـل الاطباق.. ويقوم بتنظيف الحمامات فى بداية الوردية وقبل المغادرة ..هذه هى الفرصة الوحيدة أمامه للاستمرار فى العمل..

شعر حازم بارهاق شديد وكأنه يصفع على وجهه لمرات عديدة دون سبب واضح..

تصبب وجهه بالعرق مع رغبه فى ان يركض بأقصى ســـرعة ويختفى من هـــذا المكان..لكنه تذكر أن ما فى حافظة نقوده ليس بالكثير..

وايضا تذكر ايـــام حضوره الحفـــلات والمهرجانات واماكن التصوير ومحاولة الفنانين والفنانات كسب وده وقلمه الذى يكتب عامودا فى اهم مجله فنيه..

تذكر المال الوفير والاظرف الملونة المحشوة بالنقود ..سيارتة ..امينة زوجته الشقراء مع إيقاف التنفيذ ..امه وفاء ..

لا..لن يفشل وسيصعد السلم من الاسفل..انا أقبل..

غادرت أمينة الحافلة بعد أن توقفت فى المحطة الرئيســـية فى لوزان.. توجهت بعدها الى قسم الشـــرطة التى تعمل به الشرطيه التى قابلت أمها وساعدتها فى محاوله استرجاع ابنتها مرة أخرى..

أمينة: هل من الممكن أن آخذ من وقتك عشر دقائق..

الضابطة: بكل تأكيد .. كيف لى أن أساعدك؟؟

أمينة: تناولها المحضـــر القديم ..وتســـألها ..بخصوص هذا المحضر..أريد أن أعرف أى معلومة عن هذه السيدة مونيكا باومان.. أنا ابنتها التى خطفت منها منذ ثمانية عشر عاما..

لم تصدق الضابطة.. جلست على أقرب مقعد وهى فاتحة فاها.. وممسكة رأسها بيدها..

هل هذا معقول ..أنتى أمينة التى خطفها أباها وغادر سويسرا

نعم..أتذكر أمك جيداً..رغم مرورکل تلك السنوات الطويلة هذه .. أمك.. من ألطف النساء التى قابلتهن ..لقد حاولت التخلص من حياتها بعـــد أن فقدتك.. ولولا عناية الله ..كانت فارقت الحياه..لقد سالت دماءها على ملابسى.. وأنا أحملها وأضعها فى عربة الاسعاف بمساعدة المسعفين..

ياااه.. لم أتخيل أننى أراك ..أين هى أمك الان أريد أن أراها..

أمينة:بعينان يملأها الدمع..هذا هو بيت القصيد..أمى ..

أنا لا أعرف أين هى وأبحث عنها فى كل مكان..

ثـــم قصت عليها أمينة كل ما حدث وكل المحاولات للوصول لأى معلومات تدل على مكان أمها وأنها لا زالت على قيد الحياه..

الضابطة: يا للزمن العجيب.. قديماً الام تبحث عن ابنتها ويتقطع قلبها والان حان الدور على قلب الابنة ليتقطع باحثا عن الام..

والغريب كليكما..يســـتعين بى..وكأننى أنا الوسيط أو القاسم المشترك الذى لابد وأن أشهد على هذه المأساه..

استمرت الجلسة بينهما لفترة طويلة وقصت فيها الضابطة كل ما حدث مع أمها حسب ما استطاعت تذكره..

غادرت أمينـــة.. عائدة الى الفندق مع وعد مـــن الضابطة انها ســـتحاول البحث عن أمها خلال أجهزة الكمبيوتر المتصلة فى كل الهيئات.. لعلها تصل الى جديد ستحادثها تليفونها..

استقلت الحافلة ..مرة أخرى فى اتجاه العودة.. أخرجت الأوراق ..وظلت تنظر الى صورة أمها وهى تحدثها بقلبها وعقلها ولم تنطق الا بكلمة واحدة ..وحشتينى..

ثم نظرت الى شـــهادة ميلادهـــا .. وأمعنت النظر فى اســـم المستشـــفى ..قررت التوجه الى هناك..المكان التى كانت بداخله أمها لمدة يومان..والتى وضعتها فيه وخرجت منه سعيدة ..حاملة طفلتها بين ذراعيها..

وقفت أمـــام المبنى الخارجى للمستشـــفى ..يافطة كبيرة من الخارج..

مستشفى سانت آن لوسيرن هيرسلاندن.

تخيلت خروج أمها مونيكا بصحبة زوجها أشرف..أبيها.. وهى بين أحضان أمها..

دخلت الى المستشـــفى بحرص وهى تتفقد المكان كأنه بيتها القديم..

بالفعل هنا استنشقت أول جرعة اكسجين ..وهنا فتحت عيناها على الدنيا لأول مرة.. هنا اشـــتمت رائحة أمها ..وهنا رضعت من صدر أمها أول رضعة..وهنا أيضا ارتدت أول ملابس لها..

وهنا أيضا تحممت بالماء الدافئ ..وهنا أيضا شـــاهدت الفرحة والابتسام على وجه من حولها..وهنا خرج أول مستند رسمى خاص بها.. شهادة الميلاد..وهنا تم أول فحص طبى لها من قبل الطبيب.. ووضعت على الميزان لاول مرة وهنا شـــاهدت الزهور والبالونات الملونة باللون الزهرى..

وأمام هذا المبنى استقلت أول سيارة فى حياتها..وأخرجت أول صوت..وأول مرة عرفت البكاء ..كان هنا..

نعم أنه بيتى الأول ..أول جدران وأبواب ونوافذ وأجهزة وأطباء وممرضات..مع أمى ..أه يا أمى..

لم يمهلنى أبى كثيراً ..أسرع بالهرب بى وفارق بينى وبين أول حضن وأحن حضن..أمى..لماذا؟؟

آه..تذكرت شـــيئاً هاماً ســـمعته من الضابطة أثناء زيارتها فى لوزان..

قالت ان الام مونيكا كانت تصـــرخ بعد أن أنقذوها من محاولة الانتحار باســـم هيلدا..وعندما سألتها الضابطة ..من هى هيلدا هل هى أختك أم صديقتك.. أجابتهـــا مونيكا ..لا أنها ابنتى أمينة كنت أريد وأرغب بشدة أن أطلق عليها اســـم هيلدا وكان هذا أول وأكبر خلاف حدث بينى وبين زوجى أشرف ..هو يريد اسم أمينة ..حسب اسم أمه..وأنا أردت اسم هيلدا لكنه دون أن يقنعنى، أنهى اجراءات تسجيل المولودة تحت اسم أمينة لذا لا يفارقنى اسم هيلدا..

هذه هى الرواية التى ســـمعتها من الضابطة ..ياربى ..كان من المفترض أن يكون اسمى هيلدا كم أحب هذا الاسم وأحببته أكثر لانه اختيار أمى..ثم أخرجت قلما..وكتبت فى شهادة الميلاد بجوار اسم أمينة كتبت ..هيلدا.

وظلت تردد الاسم فى طريق عودتها من مستشفى الولادة..الى الفندق والحنين والشوق يملأن قلبها وهى تنظر فى وجوه كل المارة لعلها تعثر على أمها بينهم..

التف عدد من المســـاجين حول الشـــيخ /أشرف والذى طالت لحيته أكثر مـــن ذى قبل وظهرت الندبه البنية فى الجلد فى جبهته

والتى يطلق عليها البعض زبيبة الصلاة يستمعون باهتمام الى احد الدروس التى بدأها الاسبوع الماضى..

وبعد مرور عدة دقائق وصل الى مسامعهم صوت ضحكات مرتفع..من مجموعة من المساجين لا يبعدون عنهم أكثر من ثلاثة أمتار فى فناء السجن..

وهم يدخنون السجائر ويتبادلون النكات والضحكات ليخففوا عن أنفسهم سنوات السجن ومحاولة إضفاء بعض المرح بدلا من الإحباط والاكتئاب المتواصل..

توقف الشيخ /أشرف عن الدرس قائلا: كيف لى أن أشرح لكم أصول دينكم وهؤلاء يدخنون السجائر ويضحكون بهذا الصوت المرتفع..هكذا صرح وهو يشير الى تلك المجموعة..

توجه أحد المستمعين والمحسوبين من اتباع الشيخ/ أشرف وطلب من هذه المجموعة إما السكوت أو الذهاب بعيدا ..فهم يقومون بالتشويش عليهم وإفساد وقت إستماعهم لدرس الشيخ /أشرف.

أجابهم أحدهم..فين؟؟مين؟؟ الشيخ مين؟ وانفجروا فى الضحك أكثر من الأول..

تعالت الاصوات بينهم وتدخل أخرون من الطرفين وفى دقائق نشبت مشاجرة حامية بين هذه الجماعة وجماعة وأتباع الشيخ أشرف وتقاذفوا الحجارة المتواجدة فى الفناء فيما بينهم..

تدخل بعض المساجين المتواجدين لفض المشاجرة ..لكن دون جدوى وأتباع الشيخ /أشرف يلقبون الجماعة الاخرى بالزناديق..

واستقبلت رأس الشيخ /أشرف حجرا..شج رأسه وسالت الدماء بغزارة هنا ظهر الشيخ /عابد ومعه مجموعة كبيرة وقاموا بضرب تلك المجموعة التى كانت تضحك وأحدثوا فيهم اصابات وكاد أحدهم يقتل لولا تدخل حراس ورجال الامن داخل السجن .. والقبض على الجميع وتحويلهم الى التحقيق..

وأسرعوا بالشـــيخ أشـــرف الى حجرة العيادة والتى استطاع الطبيب هناك أن يوقف نزيف رأســـه ويخيـــط الجرح بعدة غرز ويربطه باحكام ..

وعاد أشرف منتصرا فاتحاً بصحبة الشيخ عابد وأتباعهما بعدما لقنوا تلك الجماعة درساً لن ينسوه..

واســـتطاع الشـــيخ /عابد بنفوذه إقناع إدارة السجن أن هؤلاء الضاحكون هم من بدأ الاعتداء والشيخ /أشرف ومن معه لم يفعلوا أو يرتكبوا أى مخالفة..

وانتهى اليوم ..لكنه بالنسبة لاشرف وعابد لم ينتهى..

اذا توجه عابد لأشـــرف وأخبره أنه بدون مساندته لكان تعرض لإهانه لا يعرفها ..فإهانه السجن تكون معنوية وجسدية وفى أغلب الاحيان لها علاقة بالشرف..أنت أكيد فاهمنى؟؟

أومأ أشرف برأسه وهوينظر الى الارض وكأنه كان مكسورا ولولا عابد لظل مكسورا..

هنا ..جدد عابد طلبه فى ان يقوم باستثمار أمواله وعليه إصدار التوكيل لزوجته ووعده بأرباح خياليه..

لم يستطع هذه المرة أن يهرب أشرف من حديث استثمار الاموال هذه اذ عرف انه بدون عابد داخل السجن سيتعرض لاهانات متعددة .. وأحدهما لا يتحمله وكرامته ستكون تحت أقدام نزلاء السجن ..

وفى صباح اليوم التالى قام بعمل توكيل بطلب من ادارة السجن.. باسم زوجه عابد ..لادارة أمواله ..والتعامل مع البنوك بالنيابة عنه..

شعر أشرف أنه قد وضع بين فكى الأسد ..ولا يستطيع الخلاص من عابد..ربما يكون صادق.. وتزداد الارباح أو ربما يكون..بلطجى أموال..وسيفقد كل ما يملك أو كما يقول دائما تحويشة العمر..

أعاد على عابد ما قيل له من وعود ..أن هناك محامى كبير سيدافع عنه ليخرج براءه كما وعده..وأيضا الارباح توضح فى حسابه كل 6 أشهر..

وعندما طلب من عابد أن يكتب له ورقة باجمالى المبلغ ..أحمرت عينا عابد وكشـــر عن انيابه وتغير صوته ونظره عيناه التى ملاءهاَ الشر ..

قائلا: أنت بتخونى يا شيخ أشرف..مكانشى العشم..

تسلم عزيز رشـــوان أثناء تواجده بمكتبه كرئيس قسم والقائم بأعمـــال حازم..دعـــوة ..وبعد ان فتحها .. هى مـــن أحد الفنانين ..يدعوه فيها لحفـــل إفتتاح المقهى الذى أقامه ذلك الفنان بمنظقه المهندسين بمحافظة الجيزة ..

وكانت الدعوة مفتوحـــة أى أنه بمقدوره اصطحاب أى عدد من الضيوف لديه..

هنا تناول عزيز رشوان التليفون ووجد اصابعه تدق أرقام بيت وفاء وبعد السلامات والاطمئنان على كل منهم..

طلب عزيز رشـــوان من وفاء مصاحبته لحضور حفل الافتتاح ..لازم تغيرى جو ..وكى تتواجدى وسط الفنانين والفنانات بيكون عادة وقت لطيف للغاية ولن تتأخرى كثيراً..

وبعد إلحاح من عزيز ..وافقت وفاء واتفقا على أن يمر عليها فى السادسة مساء بعد الغد..وهويوم الافتتاح..

وبالفعل هبطت وفاء من العمارة الى سيارة عزيز رشوان ..كانت فى أبهى صورة لها ترتدى فســـتان أســـود بسيط لكن أنيق للغاية ..ووجهها تشع منه براءه مثل براءة الاطفال ببشرة ناعمة رغم تقدم السن بها ..وشعر أسود منسدل على كتفيها بابتسامة رقيقة للغاية.. وتفوح منها رائحة عطر هادئ ورقيق..

استقبلها عزيز رشوان أمام السيارة وفتح لها باب السيارة وهو يمطرها بوابل من عبارات الاعجاب بطلتها المميزة..

وبعد مراســـم الافتتاح ..جلسا على طاولة داخل المقهى الجديد الذى تم افتتاحه منذ دقائق..

وقام صاحب المطعم الفنان بناء علـــى رغبة الحضور بالغناء لاغنية من أحدث ألبوماته.. كانت الموسيقى صاخبة والصوت عالى للغاية..

شـــعرت وفاء بالضيق والضجر..ووضعت يداها على اذنيها..لم تتحمل الموسيق العالية ولا صوت هذا الفنان..

طلبت من عزيـــز أن تنصرف ورغم تعود عزيز على تلك الاجواء الصاخبة الا أنه كان يشـــاركها الاحساس بالضيق من الازعاج الغير محتمل..

خرجا ســـويا وطلب منها عزيز أن يجلسان فى مكان هادئ كى يغسل كل الازعاج ويسترجع كل منهما هدوءه..

وبالفعل فى الشـــارع المقابل بمنطقة المهندســـين كان هناك مطعم..يبدو عليه الهدوء والاضاءة الخافته..

كان المكان بســـيط ونظيف للغاية وهادئ..عكس ما كان عليه ذاك المقهى العبثى المزعج..

وأثناء تناول العشاء سويا ..بدأ عزيز حديثه لوفاء ..كم هو يعانى فى حياته رغم تواجده دائما وسط الاحتفالات والمناسبات الفنية ..

لكنه فى آخر الليل يعود الى منزل بارد جاف خالى من أى لمسة حنان.. خال من لمســـة الأنثى، يشعر بوحدة فظيعة تكاد أن تقتله أحيانا ..

هذا بجانب أنه يخشى أن يموت بالفعل داخل البيت ولا يشعر به أحد الا عندما يشمون رائحة تعفن الجثة..

وضعت وفاء يدها أمام فمه ..وخففت ابتســـامتها ..أي اسكت لا تكمل..

ثم عرض عليها عزيز بشـــكل مباشر ودون مقدمات طويلة ..أن يرتبط بها أن يتزوجها..

مرت لحظات ينتظر فيها عزيز رشوان وفاء ومعارضتها ولومه وتوبيخـــه وأنها راحت عليهم وان العمر قد ولى وأولادنا الان هم من يتزوجون لكنه فوجئ بردها..

أن أجابته بنعم..هل ما ســـمعته صحيح هل قلت نعم أنتى فعلا موافقة..

وفاء: نعم.. أنا مثلك أشـــعر بوحدة خانقة وازدادت الأعباء على كاهلى الذى لم يحتمل .. ابحث عن السند ..عن الونس ..

الزواج لمن فى نفس ظروفنا وحالنـــا لا يبحث عن عواطف أو متعة جســـدية لا..أنا أريد الظهر ..الونيس .. من يسمعنى ..اريد أن أتكلم ..أحيانا يمر على ايام دون أن أنطق بكلمة ..لدرجة أنى كدت أنسى صوتى..

احتاج لرجـــل ..وأنت فيك كل الصفات ..شـــهم..يعتمد عليك.. ظروفك تشبه

ظروفى..نعم يا عزيز ..أكيد موافقة..!!

ارتمت نـــدى فى احضان أبيها د.زاهر حداد ..وهى تبكى حظها وتشتكى أكرم لأبيها..

لـــم يعد يهتم بى..دائما الانشغال..أشـــعر أنى ألاحقه وهو غير مكترث بحزنى أو غضبى أو مشاعرى .. أخيه حازم يأتى قبلى فى أولويه أهتماماته..

لم يعد يتصل بى ..وقد اقترب عيـــد ميلادى ولم يجل بخاطره حتى أن يسألنى عن الهدية التى أحبها ..أو أرغب فيها.. رغم اننى لا أريد أى شئ لكنها ملاحظة فقط ..

واعدنى أكثر من مرة على اللقاء لكنه يتخلف ..وصار مهملا فى مساعدتى فى فهم بعض المواد ..عكس ما كان يفعل فى السابق..

اتصل د.زاهر بأكرم وطلب لقاؤه ..مساء اليوم ..ليأتى الى بيتهم ..يشرب معهم الشاى ويتحدث معه بعض الشئ..

حضر أكرم فى موعده عكس توقعات ندى وأباها والام أيضا أنه أما سيتأخر أو يعتذر عن الحضور..

سأل د. زاهر أكرم بشكل مباشرو دون مقدمات عما تشتكى منه ابنته ندى استمع اليه أكرم باهتمام ..وأجابه..

المسألة فقط..أننى وحازم أخى مثل التوأم ..لم نفترق يوما واحدا ..وعندما تزوج وسافر حدثت لى هزة نفسية وهذا أمر طبيعى.. لكن بالتدريج والتعود سأعود الى طبيعتى ....

لم يستطع أكرم أن يعترف بأن سبب هذه الهزة هى أمينة وليس حازم..

انتظرت أمينة عودة حازم فـــى نهاية اليوم ..هى راضية بعض الشئ مما وصلت اليه .. على الاقل تأكدت أن أمها لم تمت وليست فى عداد الموتى المسجلين لدى السلطات السويسرية..

وأيضا المعلومات التى حصلت عليها مما حدث لامها ..والصورة الحقيقيـــة لأمها والتى قررت أن تطبع منها مائة نســـخة بمختلف الاحجام وتنشرها فى جميع أركان بيتها ..

عاد حازم فى غاية التعب والارهاق وائحته ليســـت طيبة ..كانت أمينة تظن أنه يقضى وقته فـــى أكاديمية الفنون ..لم يطلعها على عمله الجديد والمســـتوى المتدنى الذى وصل اليه ..يغسل الاطباق فى مطعم..

استحم وبدل ملابسه وبدأ يتناول العشاء معها..

بدأت أمينة كلامهـــا.. كنت أتمنى أن أطهو لك طعام العشـــاء بنفسى بدلا من تلك الشطائر الجاهزة.. لكن للاسف حجرة الفندق ليس بها مطبخ..

لكـــن أعدك ..فى المســـتقبل القريب وبعـــد عودتنا الى مصر ..سأطهو لك أشهى الاصناف والحلوى.. وسأكون زوجة مثالية..

نظر اليها حازم نظرات انسان يتحدث الى كائن فضائى..

ماذا تقولين ..طبخ ايه .. ومصر.. وزوجة..أنا مش فاهم حاجة..

أمينة: أنا عارفة أنك عايز تثبت أقدامك فى أكاديمية الفنون هنا ..لكن أنا انتهيت من بحثى عن أمى هنا ..

ولن يجدى التواجد لأكثر من ذلك حيث لن يكون هناك جديد..

نظر اليها حازم بقوة واجابها بسخرية..

أنا لم أكن فى أكاديمية الفنـــون هل تريدين حقا أن تعلمى أين كنت؟

أمينة: طبعا..

حازم: كنت فى عملى الجديد عملى المقزز طبعا ليس كناقد فنى أو أى عمـــل له علاقة بالفنون الا فن واحد هو فن غســـيل الاطباق وتنظيف الحمامات

أمينة: ماذا تقول أطلقت صرخة من فمها لابد انك تمزح وليس هذا وقت المزاح..

حازم: أنا لا أمزح من نصف ســـاعة كانت رائحتى سيئة نتيجة لغســـيل الاطباق والحلل وخلافه بجانب تنظيف حمامات المطعم الذى أعمل به ..

ثـــم قص عليها ما حدث له من بداية رفضه فى أكاديمية الفنون الى بحثه عن عمل فى المطعم وفشـــله فى اتقان عمله وسكب كوب الماء مرتان على بطن نفس الزبونة الى أن انتهى به الحال الى غسل الصحون وتنظيف الحمامات..

أمينة: ولما كل هذا؟؟

حازم: من أجلك يا أمينة ..الاموال التى معى قاربت على الانتهاء ولا أعرف كم ســـنبقى هنا ..فكان لزاما علـــى أن أجد عمل براتب معقول حتى يكفى المرحلة القادمة..

أمينة: حازم.. كم أنت رجل شهم..لذلك أشعر أن زواجنا لابد أن ينتقل لمرحلة الزواج الفعلى ..لن أجد زوجاً أفضل منك..

معاملتك الطيبة وصبرك على أحزانى وظروفى وعدم معارضتى كثيرا والان تتعرض لأشد أنواع الاهانة وإنحدار طبيعة العمل.. من أجلى أنا ..فأنت لست مستفيداً أى شئ ..

أنت كبرت فى نظرى جدا..وأنا من الان زوجتك وملكك وحدك.. ســـنعود الى مصر فى الايام القادمة ..ونقيـــم حفل زفاف صغير ونذهب لقضاء شهر عســـل فى اى مكان تحدده أنت ..وسأبذل كل جهدى لاسعدك ليل نهار

حازم: هل أنت متأكدة من قرارك هذا ..أنا على استعداد للانتظار وقـــت أطول كى تصلى الـــى هدفك وتجدى اجابـــات لكل الالغاز المحيطة بك وكل ما يتعلق بوالدتك..

أمينة: أنا وصلت لمعلومات مرضية للغاية وأشـــعر أنها مجرد مقدمة للوصول الى مكان..أمى ..وأنا متأكدة أنها على قيد الحياه..

الفترة الماضيـــة يمكن أن نعتبرها أنا وأنـــت أنها بمثابة فترة خطوبة وبعد انتهاء تلك الفترة تأكدت أنك الرجل الوحيد الذى أريده أن يكون زوجا لى ..وأتمنى أن يكون لديك نفس الشعور..

هيا بنا نستعد للعودة الى بلادنا الحبيبة..

حازم: أنا على اســـتعداد ..سأســـتقيل من العمـــل غدا ونبدأ الترتيبات..

قامـــت أمينة بعمل عدة اتصالات ..أهمهـــا ..الاتصال بالجامعة فى القاهرة وادارة كلية الالســـن كى تنتظم فى ما تبقى من دراسة فى هـــذا العام والالتحاق باختبار آخر العام..لكن لم تجد جدية فى المساعدة من الموظفه التى طلبت منها أوراق ورسوم لابد من دفعها لكى تتم كل الامور بشكل جيد..

عرضت الموقف على حازم والذى أجابها بلا تردد..أكرم.. أكرم يستطيع الذهاب الى الكلية عندك واتمام كل الاجراءات ..لا تقلقى هو سيتصرف ..يمكن أن تعتمدى عليه..وبالفعل ..وبمجرد أن علم أكرم برغبه أخيه حازم وزوجته فى اتمام هذا الطلب تحرك فى اعادة قيد أمينة ومساعدتها فى الالتحاق بالاختبارات النهائية..

وعندما علمت ندى ..أنه سينشغل عنها ثانية..

أخيك من قبل ..والان زوجه أخيك ..وماذا بعد

تتركنى كل يوم ولا تقابلنى كى تسوى خدمات لأخيك وزوجته..

أكرم:حبيبتى ..أنهما سيصيران من أهلك ..وربما نحن نساعدهم اليوم واذا طلبت منهما أى شئ فلن يتأخرا عن فعله..

لا تغضبى وساعدينى بدلا من الهجوم على ..تعالى معى لننهى الاجراءات سويا..

ندى: لا ..شـــكرا ..اذهب وحدك أنا أكره الاجـــراءات والاوراق والموظفين واستخراج المســـتندات وغيره..بدلا من أن تذهب الى مطعم لطيف أو كافية هادئ .. تأخذنى فى فترة خطوبتنا لاجراءات ورقيه وسط الموظفين..

أنهى أكرم الاجراءات فى سعادة ولم تستغرق وقتا طويلا وكأن الحظ هو حليف أمينة فى كل مساعيها ..

ولم تنقضى الا بضعة أيام الا وكان حازم وأمينة فى سيارة أجرة من مطار القاهرة الى بيت وفاء ..

لكنهما اتفقا على عدم العيش فى بيت وفاء وسيقومان باستئجار شقة مستقلة لهما.. ولكن هذه الايام سيقيمان فى فندق بشكل مؤقت وفى نفس الوقت ..قام حازم بالاتصال بالمجلة الفنية ليقطع اجازته ويطلب العودة لعمله...

وكان أكثر الناس ســـعادة بهذه الخطوة هو عزيز رشوان حيث كان يرغب فى تخفيف مهام عمله لكى يجد المزيد من الوقت للتفرغ

لوفاء الـــذى كان يقضى معها أجمل الاوقـــات الى أن يحين الوقت المناسب لإعلان جديه علاقتهما وترتيب الزواج..

كان عليه أن يتحدث مع ابنه المقيم فى كندا ..وهى ..وفاء.. لابد وأن تتحدث فى أمر زواجها مـــع أبناءها ..أكرم وحازم بعد عودته التى يتبقى منها الا ســـاعتان ويكون فى البيت وزوجته أمينة ..ابنه خاله..

كانت وفاء أكثر الناس ســـعادة بعودة حازم ..ابنها الكبير..أول فرحتها مع زوجته التى تراها وفاء ..الفتاه المظلومة المحرومة من حنان الام وتحاول عمل أى شئ لأجل إسعادها..

وأن تكون لها بمثابة الام لا العمة .

وبدأت الحياه الزوجية بشكل فعلى وحقيقى بين..حازم وأمينة..

بعد انقضاء اسبوع العســـل حيث كان سبعة أيام وليس شهرا كالمتعارف عليه بين الناس..

قامت أمينـــة بعمل مكالمة هاتفية للمخبر الخاص بسويســـرا ..ربما يكون لديه أى جديد يساعد فى العثور على أمها..لكن الاجابه جاءتها سلبية..أى لا جديد حدث منذ أن كانت هى فى سويسرا..

وكذلك استطاع حازم العودة الى عمله ..الى مكتبه..الى العامود المفضل لديه والى الدعوات والحفلات وسط الجميلات من الفنانات والفنانين..

كم اشتاق لهذه اللحظة تذكر وهو جالس على مكتبه.. وقت عمله بالمطعم السويسرى وغسل الاطباق وتنظيف الحمامات..

أوقظه من تلك اللحظات عزيز رشـــوان.. الذى قدم اليه التحيه.. بصفته رئيسا للقسم وأيضا مدربه ومعلمه الاول..

وربما مســـتقبلا زوج أمه.. لكنه لم يذكر له ذلك حسب الاتفاق المبرم بينه وبين وفاء التى طلبت منه مهلة لمفاتحه أولادها والتأكد من تقبلهم لفكرة زواج أمهما.. وهى من الأمور الصعبة بعض الشئ وخاصة فى المجتمعات الشرقية..

بدأ حازم فى كتابه مقاله الاســـبوعى بهمة ونشاط رغم الارهاق الذهنى والبدنى الذى يشعر به دائماً..

عاد الهدوء والوئام لعلاقة اكرم وندى حيث كان أكرم ســـعيدا للغاية بعودة أخيه حازم ..وقد زال التأثير السلبى الذى تركه فراق الأخوان بعد العودة الحميدة..

وقد لاحظت ندى ذلك ..

عندها قالت : لم أكن أعلم أن غياب أخيك عن مصر ..ســـيكون مؤثرا فيك لهـــذه الدرجة..الان لاحظت الفـــارق وأنك قد عدت الى طبيعتك التى أعرفها وعليها أحببتك..سامحنى ياأكرم..أنا تسرعت فى غضبى وشـــكواى لأبى ..كان يجب أن اقترب أكثروأحاول فهمك

لم تفترق عن حازم طيلة أكثر من ثلاثة وعشـــرون عاماً ..وأنه كان صعب عليك..

عاد حازم تدريجيا شيئا فشـــيئا الى حياته الاولى التى عهدها وأحبها..بالاضافة الى الاســـتقرار المنزلى مع زوجته أمينة ..التى تحـــاول جاهدة أن تجعل من البيت واحـــة للراحة وبأقل التكاليف حيث دائما ما يصرح حازم أن راتبـــه ضعيف ولا يملك الكثير من المال ..فقامت أمينة بدور وزير المالية المدبرة الواعية ..

ونجحت فى ذلك الى حد كبير الى ان أتى يوم شعرت فيه بتعب شديد ..وكان حازم كالعادة خارج البيت حيث يعود فقط على موعد النوم..حتى طعام العشـــاء يتركه..ودائما ما تشم منه أمينة رائحه عطور نسائيه من النوع الفاخر ..

توجهت بصعوبه الى مستشـــفى قريبة من محل اقامتها ..وبعد عمل اللازم..زف اليها الطبيب خبر سار..

حضرتك يا مدام أمينة ...حامل فى الشهر الثالث..

وقبل أن تصرخ أمينة فرحا...

لحقها الطبيب بجمله آخرى حيث أضاف..

وكمان حامل فى تـــوأم ..أرى أمامى على الشاشـــة هنا قلبان ينبضان بالحياه..

أمينة: تشعر بســـعادة بالغة وتمنت أن يكون حازم الى جوارها وأمها مونيكا..تكون حاضرة ..لحظـــات الحمل والولادة هى اكثر الاوقات للمرأة احتياجـــا لأمها ..تعطيها الخبـــرة والصبر والحب والحنان ..ما هو نوع المولود يادكتور..

الطبيب: للأسف هذا ســـؤال مبكر بعض الشئ لا استطيع رؤية وتحديد جنس المولود قبل الشهر الرابع واحيانا الخامس..

ثم ألقى عليها الطبيب بتعليمات كثيرة وكتب روشتة فيها ادوية مثبتة للحمل وأيضا بعض الفيتامينات المطلوبة فى هذه المرحلة ..

وطلب منها أن تتابع مع دكتورنساء وولادة وتكون هناك زيارة شهرية للاطمئنان عليها وعلى التوأم..

نهضت ..وسارت ببطء رغم رغبتها للقفز فى الهواء من الفرحة..

فى تلك اللحظة كان حازم يتنـــاول الغذاء مع ميمى عزيز التى حاولت صد مشـــاعره التى صرح لها بها..ودائما تؤكد انها تكبره بسنوات وأن قلبها مغلق ولن يفتح الا لانسان واحد يسكن داخله..

حاول حازم الالحاح عليها لمعرفة من هو هذا الشخص لكن بلا أى استجابة من ميمى عزيز والتى رفضت أيضا استقباله فى بيتها يوم طلب اليها أن يزورها فى بيتها ..

ونصحته أن حالة الارهاق التى يبدو عليها دائما هذه تحتاج الى زيارة للطبيب وربما يحتاج ايضا الى طبيب نفســـى قبل أن يدخل

فى حالة اكتئاب شديدة من قلة النوم وان المسكنات لن تجدى نفعا فيما بعد.

.

...شعرت أمينة برغبة جارفة واحتياج لمن ترتمى فى احضانه.. حازم متغيب عن المنزل..

ساقتها قدماها لتستقل سيارة اجرة وتذهب الى عمتها وفاء..

وما أن فتحت لها الباب حتـــى ارتمت فى احضانها وهى تبكى وتضحك فى الوقت ذاته..باركيلى يا عمتى..

وفاء: ألف مبروك ..لكن على ماذا؟؟

أمينة: ستصيرين جدة.. نعم سيكون لكى أحفادا..

وفاء: فعلا..هل هذا يعنى أنك...حامل..؟؟

أمينة: نعم..خبرطازج ..أنا عائدة من المستشفى وأخبرونى انى حامل فى توأم..

كانت وفاء أشـــد الناس فرحا ..لكن فى الوقت ذاته علا وجهها بعض الحزن والحيرة..

أدخلت أمينة حجرة حازم التى مازالت على حالتها قبل أن ينتقلا الى شـــقة خاصة بهما..قدمت اليها الطعام وأرسلت بواب العمارة ليشـــترى الدواء من الصيدلية وبعد أن فرغـــت من تناول طعامها ..ناولتها الدواء بعد حضور البواب..وتركتها لتنام وترتاح..

أمسكت هاتفها وطلبت حازم لكنه لم يرد على الهاتف..فأرسلت له رســـالة تخبره فيها ان زوجته..هنـــا عندى..وكى لا يقلق اذا لم يجدها فى البيت ..

وبعدها وبيد مرتعشة ..طلبت عزيز رشوان..لتخبره أن كل شئ بينهمـــا لابد أن يؤجل أو يلغى تماماً.. لم أتخيل أن أصير جدة بهذه السرعة كيف لى كجدة أن أتزوج..

أن يكون لى أحفاد وأن أزف الى عريس ..وأن ابنى الأصغر أكرم لم يتزوج بعد وأمه تتزوج وهى جدة..

عزيز رشوان:أولا ألف مبروك على الاحفاد ..وأيه حكاية جدة دى نحـــن لا نبحث عن الزواج مثل الشـــباب لكننا نبحث عن الربع الاخير من العمر أن نقضيه فى صحبة طيبة وونس..بلاش تفكرى كدة..

لم يظهر حازم فرحة شديدة كما كانت أمينة ووفاء يتوقعان..

ابتســـم عند علمه بنبأ حمل أمينه وانه ســـيكون اب فى غضون بضعه أشهر..

كان الارهاق المصحوب بصداع هو المسيطر علي انفعالاته التى لم تعد مفهومة لزوجته وأمه..

انزوى جانبا ..وظل ينظر فى ســـقف الغرفة وخيالات تمر من امامه..ماحدث اليوم ..ولقاءه بميمى عزيز ..ومحاولته لكتابه مقالة

الغد ..ولكنه لم يجد ما يكتب عنه..وكأن الافكار والتحليلات للاغانى الجديدة والمسلسلات قد هربت من رأسه مغادرة بلا عودة..

بعد طول النظر فى الســـقف ..نهض من مكانه قائلا: أنا لازم اعمل حاجة ..لازم أشـــوف دكتور ..لازم اعرف أنام..أنا مش ممكن اعيش كدة طول حياتى ..

وبالفعل توجه الى الطبيب..الذى لم يجد اجابة محددة ..الشكوك تحوم حول عدة احتمالات ..التحاليل والاشعة المقطعية على المخ مع الرنين المغناطيسى..ستظهر ما يعانى منه..هكذا كان رد الطبيب..

وبالفعل قام حـــازم بالتوجه لمعمل التحاليـــل وبعدها لمركز الاشعة..ثم عاد مرة اخرى لمنزل أمه وفاء..ليجد أمينه فى انتظاره والفرحه تمـــلأ عيناها ..وكأن الله عوضها عن غياب الام ..بطفلين.. عوضها عن الحرمان من احســـاس الامومة.. لم تاخذه ..لكنها الان تستطيع ان تعطيه لاثنين.

لم يغمض لأشـــرف جفنا طوال الليل فى الصباح سيذهبون به وبعض المساجين الى قاعة المحكمة..اليوم محاكمته بتهمة خطف ابنته والخصيم هو سفارة سويسرا بالقاهرة ممثلة نيابه عن زوجته ..

مونيـــكا باومان.. بدأ يضيق ذرعا بالســـجن والزنزانه الضيقة للغايـــة لماذا يحاكمونى انها ابنتى هو فيه حد يخطف بنته انا كنت

احاول انقاذها من ام مهملة تريد أن تبدل دينها وتزرع فيها عادات ومفاهيم عكس ما تربينا عليه انا لـــم أرتكب أى جرم ولم أفعل الا ما فيه مصلحة ابنتى ..لعلها تدرك ذلـــك فى يوم من الايام..مرت عليه الساعات بطيئة مميته ينظر عبر النافذه الضيقة فى أعلى جدا الزنزانه وعليها القضبان الحديديه لعله يستشرف بزوغ شمس هذا اليوم الصعب..

هل مـــن الممكن حقا أن يحصل المحامى لـــه على البراءه كما وعده..

لقد تـــرك يد عابد بدوى وزوجته يتحكمان فى امواله.. وكل هذا من اجل الحرية والعودة لحياته ..والاهتمام بابنته..

وماذا لـــو ؟؟ ..لا..لا.. لا اريد هذا الاحتمال..المحامى يبدو عليه الخبرة ويعرف دهاليز المحاكمات والقضاه ..أنا متفاءل..

ثم جلس بجوار الحائط واخرج المصحف الصغير من جيبه ولم يقرأ فيه..لكنه امسكه بيده ليتبرك به..ويطرد الافكار التى تلاحقه.. كما كانت صورة مونيكا تلاحقه وتطلق عليه الخاطف الهارب..

كان القاضى يصرخ ويهدد كل من يخل بقواعد المحاكمة..

بشخصية قوية وصوت قوى ومع ذلك أدار المحاكمة بكل هدوء وحنكة..

اســـتمع لجميع الاطراف.. ثم قال كلمته الشهيرة ..الحكم آخر الجلسة..

توجه المحامى الى قفص الاتهام ناحية أشـــرف بحلته البيضاء ولحيته السوداء والمصحف الصغير فى يده.. وكلما كان المحامى فصيحا فى دفاعه عن أشـــرف مبررا فعلته انها فى مصلحة الطفلة الصغيرة أمينة ومستنكرا تسمية ما حدث بالخطف ..

كان أشرف من داخل القفص يرفع يده بالمصحف مهللا..الله أكبر ولله الحمد..

مرت ساعتان..حتى نادى الحاجب بصوت عال في أرجاء القاعة.. محكمة..

وقف جميـــع الحضور حتى خرج القاضى مـــن الباب الخلفى واســـتقر على كرســـيه الفخم ودق أمامه بالقادوم الخشبى ثلاث مرات..الى أن صمت الجميع وأذن لهم بالجلوس..

وبدأ فى اعلان حكم كل حالة.. الى أن جاء دور أشـــرف ..وبعد سماع اســـمه حكم القاضى عليه حضوريا بالسجن خمس سنوات واعادة ابنته أمينة الى أمهـــا ..مونيكا باومان ..إذا رغبت أمينة فى ذلك..

انهار أشرف غير مصدق ما ســـمعه ..خمس سنوات وأين وعد هذا المحامى.. الذى بدوره انصرف من قاعة المحكمة مسرعا وكأنه هارب آخر.. لكن هذه المرة أشرف هو من ذاق ظلم الهروب منه..

ظهرت نتائج الاشعة والتحاليل لحازم..

صمـــت الطبيب لفترة لكنه أخيرا تكلـــم لا أدرى ما اخبرك به.. لقد راجعت حالتك بعد التحاليل واشـــعة الرنين المغناطيسى على المخ ..واستشـــرت بعضا من زملائى الاطباء المشهود لهم بالعلم والكفاءة..

للاسف حالتك..نادرة للغاية لم تمر على من قبل..درسناها فى الكتب..لكن لـــم تصادفنى حالة مثل ذلك حيث أنه فى العالم أجمع عدد قليل من هذه الحالات ..فقد ســـجلت أجهـــزة منظمة الصحة العالمية بعد الحصر أربعه وعشـــرون حالة على مســـتوى العالم أجمع..ولم تعلن أى حالات منها فى مصر..

أشاح حازم بوجهه ..أنه لا يفهم شـــيئا مما سمع ما معنى أنه الحالة الاولى فى مصر ولم تسجل اى حالة من قبل ما هذا المرض؟؟

الطبيب: أنه مرض الارق الوراثى المميت

Fatal familial insomnia F.F.I

أى أن المريض يعانى من عدم القدرة على النوم لفترات طويلة مما يســـبب له الضعف والهزال وعدم التركيز والنسيان هذا بجانب العصبية الشديدة والمزاج المتقلب..

حازم: نعم أنـــا أعانى من كل هذا ..لكن لـــم اتخيل انه مرض عضوى..لابد من العلاج إذن..

لم يستطع الطبيب ان يطلع حازم على ما يعرفه عن هذا المرض النادر وانه لا علاج له ..لم يتم اكتشـــاف علاج له ولم ينجو احد من الحالات النادرة المسجلة..

خرج حازم مـــن عيادة الطبيب والقلق ينتابـــه ..وتداخلت فى وجدانه مشـــاعر ما بين قلق وترقب والخوف من المستقبل ..قريبا ســـيصير أب ..عليه ان يهتم بصحته أكثر..كى يســـتطيع الاهتمام بابنته او ابنه .. لا.. امينة قالت انهم توأم..

حاول البحث عن ميمى عزيز ..شـــعر برغبة قوية فى الحديث عنها والفضفضة اليها ولكنه لم يجدها..

دخل أول مقهى أمامه للراحة قليلا وتناول فنجان من القهوة..

وإذا به يجد أمه وفاء جالسه فى طاولة مع من..؟؟

أنه عزيز رشوان.. وهو ممسكا بيدها

شعر بألم شـــديد ..اختفى وراء عامود فى المقهى يفكر قليلا.. وبدأ الصداع يدب فى رأســـه مع غليان الدماء فى عروقه ..ترى ما بينهما..أنا أعلم انه يســـاعدها فى إنهاء بعض الأجراءات الحكومية وخلافه ..لكنه ممسكا بيدها ويبدوا عليهما أنها جلسه رومانسية..

سأذهب اليهما وأحطم رأسه.. لكن ماذا لو كنت مخطئا سأفضح أمى من لا شئ..

قادته قدماه الى خارج المقهى..وازدادت أوجاع رأسه وقلبه أخذ ينادى..فينك يا ميمى..

عاد الى بيت أمه حيث أمينة هناك ..لكنه وجدها نائمة..

ما ان دخلت وفاء الى البيت فى الظلام..أضاء حازم النور..

وأطلق سهاما حمراء من عينيه تجاهها..

ســـارت نحوه فرحة بوجـــوده حيث كانت ســـعيدة للغاية فى تواجدها مع عزيز رشـــوان وزادت فرحتها عندما رأت حازم ابنها الكبير أمامها..

لكن لم ينطق بكلمة وازداد وجهه عبوسا وسهام عينيه زادت فى سرعة انطلاقاتها..

بـــدأ القلق والخوف يدب فى قلب وفـــاء كأنها مراهقة ..ممنوع عليها العشق وقد عرف أباها سرها..

حازم :أنا رأيتك..

وفاء: ماذا..؟؟ لا أفهم..

حازم: رأيتك معه ..لا تدعى عدم الفهم ..رأيتك مع عزيز رشوان

وفاء: عزيز رشـــوان ..كدة.. طول الفترة الماضية تقول له عمو عزيز..

حازم: آه..هذا هو بيت القصيـــد اذا.. عزيز أم عمو عزيز.. ماذا كنتى تفعلين معه فـــى المقهى اليوم ..وقد عـــلا صوته وظهرت العصبية عليه..

وفاء: الأن فهمت ..أنت رأيتنى.. وماذا فى ذلك أنه مكان عام وكنا نحتاج الى فنجان من القهوة..

حازم: وهو فنجان من القهوة ينزل معه مسكة ايد ..كان ممسكا يدك..

وفاء: لا تقســـوا على يا ولدى انا لم أكذب ولن أخبئ عليك شيئاً ..أنا بالفعل أرتاح لعزيـــز للغاية وقد اتفقنا على الزواج..لكن ليس الآن ربما فيما بعد.. بعد أن أطمئن عليك وعلى أخوك أكرم..

حازم: زواج..بعد هذا العمر وكل تلك الســـنوات أنت لم تفعليها بعد موت أبى واعتقد أنه كان ســـنا مناســـبا للزواج وكنا أنا وأخى أطفالا صغارا لكن الان وأنت قاربت على ســـن المعاش وصرت انا رجلا مسئولا..وأكرم قريبا سيصبح طبيباً..

وماذا عـــن أحفادك الراقدون فى بطن ابنه أخيك..وأشـــار الى الحجرة التى تنام فيها أمينة..

أغادر انا عيادة الطبيب وبدلا من أن تهتمى بأمرى ..تفكرين فى الزواج وبمن..من..؟؟ أنه عزيز رشوان..

وفاء: وما فـــى ذلك..أليس هذا عزيز رشـــوان الذى كنت تحبه وســـاعدك كثيراً وقام بتدريبك فى المجلة وســـعى الى تثبيتك فى الوظيفه بعقد دائم وسعى لك ايضا أن تكتب عامودا ولم يمر عليك ســـوى عام واحد فقط من الخبرة وهذا مستحيل أن تكتب عامودا وأنت فى هذه السن الصغيرة..

أليس هذا عزيز الذى ســـاعدنا كى نحصل علـــى إيراد الارض ونحافظ عليها وأنت تأخذ نصف الايراد وكذلك اخيك..

أليس هو عزيز ..الذى أحضر المحامى لخالك عند القبض عليه..
وهو أيضا عزيز الذى شهد على عقد قرانك أنت وأمينة..
أنه رجل طيب ومحترم ويحبنى بالفعل..

حازم: وماذا عن عملى لابد وان استقيل وانا لا اتحمل ان يتغامز الزملاء على ويقولون على عزيز جوز امك

وفاء: وأنا لم تفكر بى.. لقد قمت على تربيتك وأخوك من صحتى ووقتى وجهدى.. وكما قلت لم أفكر فى نفسى وأتزوج بعد ابوك لكى أعطيكما كل شـــئ ولا انشغل عنكما للحظة.. ولكن بعد أن تزوجت انت ..وصار لك بيتا مستقلا ..

وقريبا ســـيتزوج أكرم اخوك من ندى وايضا ســـيصير له بيته المســـتقل ماذا عساى أن أفعل.. أظل فى هذا البيت بعد الاحالة الى المعاش لأموت بين جدران البيت وحدى..

أنا يا ولدى أحتاج للونيس.. لمن يسمعنى لمن يعطينى الدواء اذا مرضت ومن يدافع عن حقوقى.. لم يعد لدى أى قوة للدفاع ولا حتى للنقاش ..لا تقسو على يا حازم..

كنت انتظر مباركتك وتشجيعك..

وماذا عن مسألة عيادة الطبيب هذه؟؟ مالك ..هل أنت مريض؟؟

نهض حازم متوجها الى حجرته دون أن يجيب ســـؤال أمه عن أمر الطبيب ليجد أمينة تغط فى نوم عميق..شعر برغبة فى تدخين سيجارة..

فتح باب البلكونة وجلس على كرسى وأشعل سيجارته وكالعادة لم يقترب النوم مـــن عينيه الى ان ذهب القمر وظهرت اولى خيوط نور الشمس..

لم تعد عيناه تتحمل قوة أشعة الشـــمس ..دخل الى الحجرة.. أطال النظر فى وجه أمينة النائم برفق وفى أحشائها توأم..

أنهما أولادى ..صرت أبا ..هل حقا اســـتطيع أن أقوم بمهام الاب وأتحمل المسئولية كاملة ..كيف لى وأنا مرهق طوال الوقت ولا أقوى على المجهود البدنى الثقيل ولم يعد لدى الطاقة للصبر ..كما كنت فى السابق..

هل أخطـــأت فى قبول زواجى من أمينـــة ..لا لم أخطئ..كانت بحاجة لمســـاعدتى فى العثور على أمها..وكنت أرى فيها الجمال الاوروبى الذى ألهث وراءه دائما..هادئة الطباع ..مثقفة.. وفوق كل هذا هى ابنه خالى.. الاستاذ الجامعى.. وأمها سويسرية..

وأعلم أنها تحاول جاهدة ان تجعلنى زوج ســـعيد ..ليس لها أى طلبات كما تفعلن باقى النســـاء ..لم تطلب منى شبكة كأى عروس ولم تقم فرحـــا.. ولم ترتدى الثوب الابيـــض.. دائما راضية وبأقل القليل تحيا معى ..الى أن تتحســـن ظروفى المالية ..والتى لابد وأن تتحسن كما كانت سابقا..

بمجرد دخوله من باب السجن..ركض أشرف ..أو الشيخ أشرف ناحية الشـــيخ عابد بدوى ..وأنقض على رقبتـــه بكلتا يديه وأذاقه بعض اللكمات

صدقت كل كلامك وكل وعود المحامى بتاعك..وأخرتها تم الحكم على بخمس سنوات سجن أين أموالى لن أتركك قبل أن تعيد لى كل شئ..

دفعه عابد عن صدره ..

انت اتجننت..أنا الشيخ عابد

أشرف: نعم أنت هاتعملهم علىّ أحنا دافنينوا سوا..أعمل الحركات دى على حد تانى أنا حافضحك..

تجمهـــر العديد من المســـاجين حولهم وكأنهم مســـتمتعون بالفضائح والحوار الذى أزال القناع عنهم..

قال أحد المساجين ..آه.. ياللا أظهروا على حقيقتكم.

أجابه أحدهم.. أنا لســـت متفاجئ ..أنا هنا أقدم ســـجين وأعلم تهمة كل فرد فيكم..هذا وأشـــار الى عابد ..متهم فى تجارة العملة وغســـيل الاموال ..أما هذا وأشار الى أشرف متهم فى قضية خطف طفلة يدعى أنها ابنته..

بصق بعضهم عليهما وغادرا المكان..

توجه حازم الى مـــكان التصوير الذى تعمل به ميمى عزيز فى اخراج فيديو ترويجى عن السياحة..

تلقى اتصالا هاتفيـــا من الممرضة كى تؤكد على حازم أنه على موعد مع الطبيب بعد ساعتين..

عندما اقترب من موقع التصوير ..لمح سيارة تشبه سيارة عزيز رشوان..فقد كان عزيز يهوى السيارات القديمة ..الأنتيك.. والتى لم يعد منها موجود الا القليل للغاية نظرا لندرتها..

اقترب حازم من الســـيارة ونظر داخلها ..نعم انها سيارة عزيز رشوان وهو يصافح ميمى عزيز.. بشكل فيه دفء وحميمية..

لم يصدق نفســـه ..عزيز رشـــوان مرة اخرى، بالامس مع أمى ويضحك عليها ويتلاعب بها بحجة الزواج ..وهو الان مع ميمى عزيز الانسانة الوحيدة التى ارتاح بوجودها..

ماذا يريد هذا الرجل منّى ..ســـيحطم حياتى..سارق فرحتى.. سرق أمى ..والان يسرق ميمى عزيز ..وأمى المسكينة لا تدرى من هذا الثعبان..

انطلق عزيز بسيارته الفارهة بسرعة..

الان وانطلق حازم خلف ميمى عزيز ..وجذبها بشـــئ من العنف ..وهو يلهث ويتلعثم فى الكلام ..ماذا يفعل هذا الحقير هنا..وأشار الى حيث كانت سيارته..

أبدت ميمى تعجباً من سؤال حازم..وأجابته..آه كان يجرى معى حوارا للمجلة وحاول التقاط بعض الصور ليضعها مع الحوار أو فى غلاف المجلة لكننى رفضت ..لا أحب أن أتصور..

صمت حازم برهة..المفروض أنى أصدق هذا الكلام ..ماذا بينك وبين عزيز رشوان..

ضحكت ميمى عزيز ..بابا عزيـــز ..أنه أبى الروحى ..هدئ من روعك ..وتعالى نشرب الشاى سوياً وسأقص عليك حكايتى معه..

أعتذر لها حازم بشـــدة بعد ان قصت عليه ما حدث معها وكيف كان عزيز رشـــوان شـــهماً للغاية وأنها لقبت بعزيز من اسم عزيز رشوان..

شعر حازم أن الدنيا تدور به ..نظر فى ساعته.. لقد فات ميعاد الطبيب ولم يشعر بالوقت..

ارتاح قلبه بعض الشـــئ. ليس لبراءة عزيز رشوان لكن لموقف أمه على الأقل أنه لم يتم التلاعب بمشاعرها.

لم يتبق على تخرج أكرم من الكلية الا سنة واحدة وما زال يسير على نفس الخطى لتحقيـــق هدفه ... وهو التعيين فى الكلية ..فكل سنة يأتى بأعلى الدرجات والتقديرات

وبدأت ندى رحلة البحث عن شـــقة بمســـاحة كبيرة ومنطقة راقية وأيضا البحث عن التجهيزات والديكورات الداخلية الى جانب الموبيليا والاثاث.. حتى أدوات المطبخ ..لم تسلم من تكثيف البحث عنها .. لكن أهم ما كان يشـــغل بال نـــدى هو حجرة الاطفال كيف ستكون .. وقد عزمت أن تكون حجرتان للأطفال ..واحدة للصبيان

وأخرى للبنات.. فهى تريد أن تنجـــب الكثير من الاطفال..وبما أن مســـألة الاطفال هذه بيد الله وحده ..فعلى الاقل قررت هى أن تقوم بما عليها ..وتحسم بعض الاختيارات فى فرش بيتها بكل تفاصيله الصغيرة قبل الكبيرة .. كما أنها ترفض ان تستعين برأى أى انسان حتى ولو كان مهندس ديكور مثلا

هـــى ترى أن مملكة المرأة هى بيتهـــا وأن هذه المملكة لابد ان تكون على ذوقها بالتقاسم مع رأى زوج المستقبل..أكرم

أه ..كم هو انسان طيب .. يحاول ارضائى ..ويصبر على لحظات جنونى ..ولا يظهر الضيق والضجر كمـــا يفعل الكثير من الرجال ..من كثرة كلامى وطلباتى التى لا تنتهى

وجدت فيه الحنية .. والحنان هـــو أهم صفة فى الزوج..الزوج الحنين مستحيل يكون خائن أو بخيل ..أو نكدى..أو أنانى ..أو غير متحمل للمسئولية..

الزوج الحنين هو شـــامل لكل الصفات التى تحتاجها المرأة فى أى رجل .

قام بعض من اتباع ومريدين الشيخ عابد والشيخ أشرف..بعمل جلسة صلح بين الشيخين.

وبعدها عقدا جلســـة سويا...دون الاخرين... وفيها تعهد الشيخ عابد لأنه ســـيقوم بتعيين محامى آخر أكثر خبرة من ذى قبل..وأن هناك مازالت الفرص..

هذا الحكم بخمس ســـنوات ســـجن ليس حكما نهائيا وأمامنا ستون يوما لتقديم اســـتئناف .. دعنا نبدأ بتوكيل المحامى الجديد ونسمع منه فى زيارة ماذا لديه من حجج ودفوع طبعا بعد أن يطلع على ملف القضية ويبحث حيثيات الحكم.. وأنا واثق أنه سيجد من الثغـــرات ما يكفى لتخرج بالبراءة .. ثق فـــى هذه المرة أيضا هذا اختبار من الله لعباده المؤمنين أمثالنا ..!!!

طلب الشـــيخ أشرف من الشـــيخ عابد أن يساعده فى فى عمل مكالمة هاتفية ..

وبالفعل دفع الشـــيخ عابد بعض الاموال لأحد حراس الســـجن لاستعمال هاتفه لمدة خمس دقائق ..اتصل أشرف بأخته وفاء طلب منه أن تزوره لأمر هام ..

وبعد يومان توجهت وفاء لزيارته ..بعد الاستعانة بعزيز رشوان الذى طلب مـــن المحامى الحصول على تصريح زيارة لوفاء لزيارة شقيقها أشرف .

وما أن ألتقيا.. انفجر أشـــرف فى البكاء.. الرجل الصامد القوى فجأة تحول لطفل صغير..وبدأ فى الشكوى من كل شئ..

أنا غيرت جلدى ..انضممت لجماعة دينية داخل الســـجن لأجل الحماية والنفوذ مع الوعـــد والتأكيد على الحصول على البراءة من أول جلسة..

والان حكم على بخمس سنين سجن ..وأنا وحدى لم يحضر أحد منكم المحاكمة .. بحثت عنك وعن أولادك ..ألســـت أنا خالهم ..وأين ابنتى.. أين أمينة ..لا تسأل عنى ..

أطلقت لحيتى.. وغيرت جلدى بالكامل.. ضحيت بأموالى وغربة السنين ولكن ماذا ربحت..لا شئ.. السجن ..ضاع كل شئ

وأنتى أختى الوحيدة .. لا تسألين عنى.. أنا الذى اطلبك للزيارة وليس العكس وابنتى.. أين امينة ..هل ســـافرت حقا الى سويسرا وماذا تفعل هناك؟!

هل تكرهنى.. ؟! أنا افنيت عمرى لاجلها.. والان لا تذكرنى..

أخبرينى عن أحوالكم وما الجديد ..

وفاء: اعتقد يا أشـــرف أن الزراعة تأتى بعدها الحصاد .. انظر ماذا زرعت وانظر بعدها حصاد مازرعته..

أنت زرعت خطف وبعد وغربة وانقطاع اتصال واختفاء ..

وكذبة كبيرة عاشـــت فيها ابنتك واسئلة بلا اجابات ..احتفظت لنفســـك فقط بالحقيقة وبخلت عليها باطلاعها اى شئ عن أمها.. أهم انســـان لأى بنت.. والان تطلب الحصاد .. ها هو الحصاد كل ما

تشتكى منه وتعانية والدموع والحسرة هى الحصاد.. أنا لا أتشفى ..فقط أجيب على تساؤلاتك.

أقامت وفاء عزومة غداء فاخرة على شرف أمينة وخبر الحمل فى توأم وطلبت من اكرم أن يدعو خطيبته ندى وأســـرتها ..أمها وأبيها وكذلك وجهت الدعوة لعزيز رشـــوان ..وأكدت على حازم أن يكون متفرغا وغير منشغل بأى شئ يضر العزومة..

وبدأت فى التحضير لقاعة طعام فاخرة..كانت أعدت مثلها قبل وفاه زوجها الراحل محمد الصاوى ..ومن يومها اســـتمرت الحياه بشكل روتينى للغاية..

قامت بتنظيـــف البيت وعمل بعض الديكـــورات الجديدة ..من تغيير للســـتائر ومفارش الطاولات ونشـــرت مجموعة من الزهور والنباتات فى أركان المنزل مع وضع وحدات اضاءة جانبية وبدأت مرحلة تحضير الاطعمة المختلفة بـــكل أصنافها بدأ من المقبلات والحساء ..ثم الاطعمة الرئيســـية ..وبعدها بعض أصناف الحلوى ..مع العصائر الطازجة..ونشـــرت ووزعت الشموع بعناية واتقان واختارت موســـيقى الجاز الخفيف كى تصاحب الجلسة العائلية ..وهل تعرف وفاء موسيقى الجاز .. عرفتها من خلال زوجها الراحل محمد الصاوى الذى كان عاشق لأنواع من الموسيقى المختلفة ..لكن

موسيقى الجاز كانت دائما تجمعهما ..وكأنها تدعوه عبر الموسيقى أن تأتى روحه وترفرف حولها وهى وسط العائلة والاصدقاء..

لـــم يغب عن البيت رغم وفاته منذ زمن ..لكنها دائما تذكره بكل حب وخير حتى أمام عزيز رشوان الذى احترم فيها وفاءها لزوجها الراحل .. هى فعلا وفاء اسم على مسمى..

جمعت وفاء بحرارة اســـتقبالها المدعوين ومع دفء الترحاب وحركتها الخفيفة كالفراشة بين المدعوين ..رغم تقدمها فى العمر كانت تبدو كفتاه عشرينية..بفســـتان أبيـــض أنيق محلى ببعض الحبات من اللؤلؤ..دون مبالغة ووضعت وردة بيضاء على شعرها الذى اعتنت به عند مصصف شـــعر قريب مـــن منزلها قبل الدعوة بيوم..

مع الاضاءة الجانبية والشـــموع المنتشرة وعبق الورد يفوح فى أرجاء المنزل ..كان الجو ساحر.. رغم أنه نفس البيت الذى تزوجت وانجبت ولداها ..أصوات الضحكات تتعالى والهمســـات ومن وراء تلك الاصوات الموسيقى الهادئة..وبعد أن انتهى الجميع من الطعام الشـــهى للغاية..لتثبت وفاء للجميع انها طاهية ممتازة.. كل كبت السنين واحتباس الذوق قد أطلقت له العنان فى هذا اليوم..

هنا بدأ البعض فى التحدث والقاء كلمات الإطراء والمدح تارة فى الطعام وتارة أخرى على الذوق الأنيق والبســـيط فى فرش البيت.. وتارة ثالثة عن الطعام..كم هو شهى..وخفيف..

الا عزيز رشـــوان.. لم يتحدث الا عن وفاء..أناقتها..احترامها.. أخلاقها..أنوثتها ..وهنا بعد ذكر انوثتها ..طلب من جميع الحضور الاذن ان يطلب يدها من ولداها حازم وأكرم .. بحضور الجميع ..(أنا عايز أتجوز وفاء)

بعد دقائق من الصمت وابتســـامة الخجل على وجه وفاء..قطع هذا الصمت..أكرم الذى صرخ ..(اذا وافقت ماما .. أنا أكيد موافق)

وبدأ الجميع فى اطلاق كلمات المباركة وعمت الفرحة أكثر بعد لحظات الصمت.. الا حازم الذى سار تجاه الشرفة ودخلها ولم يعلق بكلمة.. الى أن ربتت على كتفه أمينة..

(مالك.. أنت مش فرحان لماما.. ؟!)

حازم:(مش عارف أنا منقسم بين نارين ..عايزها تكون سعيدة لكن فى نفس الوقت كنت أتمنى ألا يموت ابي..)

أمينة: أنت مش موافق على أنكل عزيز

حازم: يمكن أول ما أتعرفت عليه وكان يســـاعدنى ..كنت أوافق ..لكن بعد أن صار لى شـــأن كناقد فنى.. فالوضع صعب ..أحيانا تجمعنا حفلة واحدة أو مهرجان واحد نكون مدعوان ..الان سيعرف الجميع أنه زوج أمى ..هذا صعب بعض الشئ..

أنا عايز أرجع بيتنا بعد انتهاء العزومة..

أمينة: كما تحـــب لكن فى الحقيقة أنـــا مرتاحة هنا مع عمتى ..أخيرا صار لى عائلة وأعيش وسط أهلى ..هى تمثل لى أمى .. رغم

انشـــغالها لكن فى آخر اليوم تأتى لتحضننى وتطمئن على وعلى الحمل..

فى ثانـــى زيارة لاستشـــارى المخ والاعصـــاب ..بدأت وضع بروتوكول العلاج لحازم الذى بدأ فى العلاج الى أن يصل الى مرحلة الشفاء

لم يســـتطع الطبيب اطلاعه على تفاصيل الحالة تحديدا خوفا عليه من الانهزام النفســـى وســـوء حالته النفسية .. لذا اقترح عليه إن كان لديه الوقت فى ترتيب زيارة لطبيب نفســـى كى يساعد فى بروتوكول العلاج..

فرح حازم واشترى العلاج من أقرب صيدلية ..وعزم أنه لن يخبر أحدا بحقيقه مرضه .. شـــعر برغبة قوية لرؤية ميمى عزيز .. رغم علمه بقصتها مع عزيز رشوان.. لكنه فهم أنها أمور قدرية..

بعد عمل عـــدة اتصالات ..عرف مكان تواجدها ..كانت وســـط مجموعة من زملاء العمل..ظهر أمامها وأســـتأذن ان كان يستطيع التحدث معها على انفراد ..صمت لفترة وهى تسأله(ما بك ..شكلك متغير شوية)

لم يســـتطع كتمان ما يمر به .. وأسر لها ما يخفيه عن الجميع بخصوص حالته الصحيـــة ..الارهاق الدائم وعدم القدرة على النوم ..مزاجه المتقلب وعصبيته الزائدة..

عرضت عليه اى نوع من المساعدة ..وعرضت عليه المال..لكن اعتذر بأدب ..ثم عقبت ..أنها تذهب لطبيب نفسى مرة كل أسبوع أو اسبوعان حسب الحاجة وهو أمين ويخلص جدا فى عمله ..ثم قامت بحجز موعد له لدى د. رؤوف ..

شعر حازم بارتياح شـــديد ..وبالنصر.. عزيز أخذ أمى ..لكننى استحوذت على ميمى عزيز..

ألهذه الدرجة كان يكره عزيز..

ربما ليس كرها.. لكن دائما يشـــعر أن مساعدات عزيز له من الجانب المهنى .. كأنه دين ويسترده الان دون استئذان ويطلب ما يريد حتى لو كانت أم حازم نفسها .. وعندما علم بقصه ميمى عزيز .. لم يوقف نفســـه أن يقول ..حتى ميمى ..كل النساء حولى لابد أن يكـــون لديك مهمة وقصة .. ربما لديك قصة مع أمينة زوجتى وابنة خالى وأنا لا أعلم.. ؟! وضعت أمينة رأســـها على صدر وفاء وهى تعبر عن فرحتها الشـــديدة لفرحتها بارتباطها من انكل عزيز ..ثم أضافت ..أشعر أن الدنيا تعوضنى .. الان صار لى أم وهى تقبل وفاء على خدها ..وقريبا ســـيصبح لى أب .. انكل عزيز..ومع الاخ أكرم وخطيبته ندى والزوج حازم..

ما أجمل التواجد وســـط العائلة .. كنت أتمنى أن أعثر على أمى مونيكا لكن حكمة الله فى الارض لابد وأن تنفذ..

وفاء): وماذا عن..عن ..ثم ترددت ..عن أبيك أشرف)

ظهرت مسحة حزن على وجه أمينة وأشاحت بنظرها بعيدا..

أه يا عمتى .. هو من اختار .. اختـــار أن يتكتم .. أن يخبئ من الاســـرار الكثير وحتى ما يخصنى بشكل مباشر .. لم يعطنى الحق فى معرفة أى شئ وأهم شئ ..ما يخص أمى .. عارفة يعنى ايه أمى يا عمتى؟!!

ممددا على الشـــيزلونج الابيض ..اســـتعرض حازم ..مواقف كثيرة مختزنة ومختزلة داخله من أشـــهر وسنوات ..شرح وحكى دون ترتيب أفكار.. كل ما جال بخاطره تحدث فيه..كان د. رؤوف يستوقفه أحيانا ليناقشه فى بعض النقاط واستيضاح الدوافع التى جعلته يتصرف هكذا..

وكان يقوم بتسجبل صوتى للجلسة بعد موافقة حازم على ذلك لأنها تســـاعد الطبيب فى اعادة سماع الجلسة بتمعن وتحديد نقاط الســـلب والايجاب فى المواقف التى يتعـــرض لها حازم فى حياته وتحديد الشخصيات وتصنيفها من حوله..

فهم الطبيب للوهلة الاولـــى أن جميع من حوله يمثلون الجانب الايجابى المنقوص أى غير المكتمل ..الا شخصية واحده يرى فيها الجانب الايجابى المتكامل .. هى ميمى عزيز..

سأله الطبيب: لماذا لم تتزوجها من البداية؟؟

حازم: لمحت لها ببعض الكلمات قبـــل زواجى من أمينة بأيام قليلة ..لكنها قامت بصدى بقوة معللة فارق الســـن بيننا وأنها فى عمر أمى ..وأيضا أن قلبها مغلق تماما ولا يســـكنه الا انسان واحد فقط ولم تصرح من هو هذا الانســـان..حاولت أن أفهم لكنها كتومة للغاية عندما يأتى الامر الى حياتها الشخصية ..فهى صندوق أسود مغلق بإحكام .. وأكون صريح معك يا دكتور .. احترمتها كثيراً..

اتفقت أمينة على لقاء حازم فى عيادة دكتور النســـاء والولادة التى تتابع عنده أمينة حالة الحمل..

انتظرت الى أن نادت الممرضة على اسم أمينة أن دورها قد حان للدخول الى حجرة الكشف .. ولم يظهر حازم بعد..

بعد الكشـــف ومراجعة الحمل عبر جهاز الالتراساوند (موجات الفوق صوتية)

أخبرها الطبيب .. الان استطيع أن أحدد لك نوع الجنينان (التوأم) ..أنت الان فى الشـــهلر الخامس من الحمـــل ..والحمد لله التوأم بصحة جيدة كل المؤشرات والقياسات طبيعية ..هما .. مستعدة..

أمينة: بفارغ الصبر ..كنت أتمنى وجود حازم زوجى معى هنا ليعرف معى

الطبيب: الجنين الاول ..بنوتة..أما الثانى.. أيضا بنوتة.. ! !

لم تتمالك أمينة نفسها من البكاء ..فرحتها مضاعفة كان نفسها يكون لديها طفلة ..اعطاها الله اثنتان ..بنتان..

ناولها الطبيب ورق مطبوع فيه صور الجنينان..

شعور لايوصف ..أمينة الان صارت أما لطفلتين..

هكذا صارت تردد والابتسامة والفرحة لا تغيب عن شفاها الورديتان

الا أن الشجن أيضا لا يفارقها حيث شعرت بأمس الحاجة الى أمها فى تلك اللحظات ..يبدو أن نهر الاحتياج للأم لا يتوقف عن الجريان..

استيقظ أكرم ..متأخرا بعض الشئ ..ليجد وفاء تعد القهوة والافطار ..

سألته عن الكليه والمحاضرات .. أجابها أن أول محاضرة له فى تمام الواحدة ظهرا .. وأثناء تناول الافطار استعرض أكرم الصور التى صورها للجميع وقت العزومة التى أقامتها وفاء..

بعدها ألقت عليه وفاء بقنبلة فيها حل لأهم مشكلة يواجهها هو وندى خطيبته..

أنا سأترك لك هذه الشقة يا أكرم لتتزوج فيها .. لقد اتفقت مع عزيز رشوان أننا سننتقل الى بيته بعد اتمام القران..

لم يصدق أكرم ما سمعه .. وقام واحتضن أمه بشده..

أنت أعظم أم فى الدنيـــا .. أنا فعلا كنت مش عارف اعمل أية .. ليس لدى المال لاشـــترى شقة .. أو راتب كبير للايجار.. لذلك كنت أؤجل أى حديث مع ندى أو أسرتها عن تحديد موعد الزفاف..

لكن يـــا أمى ..كيف لك أن تتركين بيتك ..أنا أعلم كم تحبين هذا البيت .. فيه ذكرياتك .. زواجك..أحلامك.. انجبتينى فيه أنا وحازم .. انه عش الزوجية مع أبى .. رحمة الله عليه .. هى تضحية كبيرة..

وفـــاء: لا عليك الذكريات لا تمحى ..تظل فـــى القلب حتى وان اختلف المكان ولا تنسى أنك امتداد لى ولأبيك ..أنت المستقبل..

تم قبول الاســـتئناف المقدم من أشرف سعيد وتم تحديد جلسة للمحاكمة

لم يشعر أشرف بالارتياح وأن كل الوعود التى سمعها فى السابق مازالت تتردد فى الحاضر ..لذا .. طلب من الشيخ عابد عدوى .. ان يكون هناك حلاً بديلاً معداً مســـبقا حال الحكم عليه بالسجن مرة أخرى ..أى تأكيد الحكم السابق.. وبعد مناقشات ..ومرور عدة أيام حدث فيها أن قام شخص ما بزيارة عابد عدوى وتوجه عابد لأشرف لاطلاعه على ما تم الاتفاق عليه ..

عابد: أعددت لك ولى خطة للهرب من الســـجن .. نحن فى نفس المركب ولن ينجو منا أحداً ويبدو أن القاضى متربص بك ولن أخفى عليك .. أن مسأله البراءة دى غيرمضمونة..

أشـــرف: اذن كان معى كل الحق لكى أقلق ولا أثق فى وعود أى محامى ..ما العمل إذن..

عابد:لقد دبرت كل شئ ..علينا الانتظار فقط بعض الوقت حين يكون الوضع هنا مناســـب ..حيث أن هناك أمورا ســـتحدث خارج السجن وأمور أخرى يجرى ترتيبها داخل السجن..

أشرف: أنا مش فاهم حاجة ! !

عابد: لا عليك اترك لى الأمر وسوف تحصل على حريتك قريبا.. شاء القاضى أم أبى..

حدد كل من عزيز رشوان ووفاء موعدا لعقد القران..

وبدورهما وصف كلا من أكرم وندى موعدا مبدائيا لعقد قرانهما..

بعد انتقال وفاء لبيت عزيز ..ســـتقوم ندى بعمل تصور لتجديد المنزل وعمل الديكور الملائم أثناء اختيار وشراء قطع الاثاث..

لم يكم حازم على علم بأى من هذه الأمور .. حيث ازدادت حالته ســـوءا وصار الصداع مصاحبا له ولم يســـتطع النوم لأيام .. واذا نام فلابد أن يكون بمســـاعدة الادوية التى كتبها له استشارى المخ والاعصاب..

ازدادت عصبيته وصار ينسى أمورا كثيرة وأشخاص كثر..

وقد أثر ذلك على عمله حيث صار يتأخر فى تســـليم المقالة الى المراجعة والمطبعة كى تصدر فى المجلة ..

وصـــار يقضى معظم أوقاته لهثـــا وراء الاماكن التى تعمل بها ميمى عزيز..

وحتى بعد أن علم أنه سيرزق بطفلتان ..لم يحرك ساكنا..وكأنه شيئاً روتينياً ..اعتياديا يحدث كل يوم..

هل هو هروب ام خوف من المسئولية..أم أنه لم يعد لديه القدرة على التحكم فى انفعالاته لدرجة أنها تبدو لمن حوله أنها اهمال ولا مبالاه ..

ولم تعد أمينة قادرة على تفســـير ما يحدث .. حيث أنها دخلت فى شهرها التاسع للحمل.. وصارت حركتها صعبة بعض الشئ..

بعد مرور عدة أيام ..صار موعد عقد قران وفاء وعزيز فى الغد..

وبدأت أمينة فى الاستعداد لحضور عقد القران .. واذا بها تفاجأ بقرارحازم أنه لن يحضر ..لن يستطيع رؤية أمه تتزوج .. ومن ذاك الرجل تحديدا وكأنه يطاردنى فى كل مكان ..سرق منى كل شئ.. سرق ميمى عزيز..والآن أمى..

أمينة: ميمى عزيز ..أنا سمعت هذا الاسم من قبل ..وما دخلك أنت وهذه الســـيدة ..آه تذكرت ..أليست هى مخرجة الاعلانات والفيديو كليب لأشهر المطربين والمطربات..

حازم:أنها سيدة طيبة وأنا أشعر بالراحة فى الكلام معها ..

أمينة: ما معنى هذا.. هل أنت على علاقة بامرأة أخرى .. لهذا لا تذهب معى عند زيارة الطبيب ودائما منشغل عنى .. أنا على وشك الوضع ..ولا أشعر بالامان الا فى وجودك ..وأنت تخبرنى أنك ترتاح لأمرأة أخرى ..من هذه ميمى عزيز؟؟

ثم أجهشت فى البكاء..

غادر حازم..وكالعادة ..مر على المجلة وبعدها بحث عن ميمى عزيز .. ولم يجدها ..حيث كانت فى بيتها ..وهى لا تستقبله هو أو غيره فى بيتها .

تعيش مع أحزانها وآهاتها ..تتذكر ملامح أمينة الصغيرة وبكاءها ..وعندما كانت تحممها ..وتبدل ملابسها ..تتذكر رائحتها الذكية..

قام عزيز رشوان بعمل كل الترتيبات مع مشيخة الازهرلاتمام اجراءات عقد القران داخل المشيخة ..وأرسل دعوات للأصدقاء القريبين فقط ..

وقام بتجهيز بيته بحجرة نوم جديدة وبعض القطع الجديدة من الاثاث وترك الباقى تقوم به وفاء عند الانتقال والعيش فى البيت ..فلديها مطلق الحرية فى تغيير أى شئ ..

كان موعد الزفاف وعقد القران بمشيخة الأزهر بعد صلاة المغرب..استيقظ حازم مبكرا بعد أن استطاع النوم لمدة ساعتين

بمعاونة ومســـاعدة العقاقير..لكنه لم يكن فى أفضل حالاته..كذلك أمينة كانت تشتكى من بعض آلام فى الظهر..

وكانت اشـــترت فستانا واسعاً يتناســـب مع ظروف حملها فى الشهر الأخير.. واشـــترت لحازم أيضاً بدلة جديدة ..وهى فى غاية السعادة ..حيث استمعت لآلام وفاء مما تعانيه من الوحدة والخوف من القادم بعد أن يتزوج أكرم ويترك البيت ..كيف ستكون حياتها..

تحتاج الى الونس .. الســـند ..الصديق.. من يهتم بها .. تسمع كلمة حلوة كل فترة وأخرى .. تهتم بنفسها بعد أن أهملتها لسنوات.. وتهتم ببيتهـــا وأناقة زوجها ..حيث هو رجـــل مجتمع يظهر فى الأماكن العامة والحفلات والمهرجانات وربما يصطحبها معه..فلابد أن تكون أنيقة..

فى نفس هذا الصباح ..بدأ الشـــيخ عابد والشيخ أشرف تنفيذ خطة الهروب..حيث ارســـلوا بعض من اتباعهما ومريديهما .. الى المطبخ لاحداث وافتعال مشاجرة مع القائمين على الطبخ ثم اشعال النيران فى محتويات المطبخ ..

فى نفس الوقت ينتظر كل من أشـــرف وعابـــد بجوار البوابة الخارجية انتظارا لوصول ســـيارة المطافئ ..والتى اتفق أصحاب عابد مع سائق شـــاحنة المطافئ على تجهيز مكان لاختباء فردين داخل الشاحنه..

وبالفعل ..ســـمعا صفارات الانذار بعد اشتعال الحريق وحدث هرج ومرج كبير وتجمع كل العاملين بالسجن لمحاولة اطفاء النيران ..ولكن دون فائدة ..الى أن حضرت شاحنة المطافئ الكبيرة..

فتحوا لها البوابة الرئيســـية وما أن دخلت هبط منها الســـائق ..وأشار الى أشـــرف وعابد أن يقتربا ..وبسرعة كبيرة قفزا داخل الشاحنةوقام السائق بوضع بعض الادوات والخراطيم فوقهما ..فلم يظهر منهما شيئاً ..وبعد أكثر من ساعة تمت السيطرة على الحريق.. وفتحت البوابة لخروج شاحنة المطافئ ..والتى سارت فى الطريق الرئيسى وخلفها سيارة ملاكى وبعد نصف ساعة توقفت الشاحنة وهبط منها أشـــرف وعابد ودخلا فى الكرســـى الخلفى للسيارة الملاكى ..وأول ما سمعوه (بدلوا ملابسكم بسرعة بهذه الملابس..)

بعد ان بدلا ملابسهما ...تركا ملابس السجن فى السيارة وتسلم كلا منهما بطاقة شـــخصية مزورة باسم مختلف.. ومبلغ كبير من المال..

ثم توقفت السيارة أمام أحد المنازل ..هبط منها الرجلان ودخلا داخل المنزل ..وأراد بعدها أشرف ان يغادر ..

عابد: الى أين..الشرطة ســـوف تنتشر فى المكان بعد اكتشاف هروبنا .. لا تتصرف بحماقة ..لابد أن نظل هنا فى هذا المنزل لحين أن تهدأ الامور..

أشرف: أريد الذهاب الى أختى كى أحصل منها على مفتاح بيت أمى كى اختبئ هناك..

عابـــد: غلط .. أول مكان تبحث فيه الشـــرطة هـــو بيت الاهل والاقارب..هنا أكثر أمانا لنا ..من الممكن أن تفعل هذا بعد عدة أيام عندما يهدأ رجال الشرطة من البحث عنا.

مبـــروك على البراءة والحرية يا شـــيخ أشـــرف ..ثم قام عابد وعانقه..وعلامات الاستنكار تبدو على وجه أشرف وهو يردد(براءة) هل تعتقد يا عابد أن ما فعلناه صحيح أم كان من الافضل أن ننتظر المحكمة ربما نحصل على البـــراءة أو حكم مع ايقاف التنفيذ كما وعدنى المحامى.

عابـــد: لا ياصديقى ..لا تكن واهماً ..لـــن تحصل على أى براءة ..نحن الان فى أفضل حال ونســـتطيع أن نتحرك ببطاقات الهوية الجديدة ..والتى يصعب على اى انسان اكتشافها .. وإذا أردت ممكن نسافر خارج البلاد

توجه عزيز رشـــوان.. الى بيت وفاء ليصحبها ..الى مشـــيخة الازهر.. لعقد القران بعد الظهيرة بقليل أى بفترة كافية قبل الموعد المحدد له بعد صلاة المغرب..

كان عزيز أسعد انسان فى ذلك اليوم.. وكذلك وفاء التى شعرت أن أيام التعب والشـــقاء والوحدة ..أخيرا سنتتهى وأنها اليوم سوف تقيم وتقضى أول ليلة لها فى البيت الجديد بيت عزيز رشوان..

وعندما كانت أمينة تلمع حذاء حازم وتراجع كل ملابسه..

شعرت بآلام شديدة أسفل البطن ..ثم سقوط سائل على أرجلها صرخت. بشـــدة على حازم الذى كان جالساً فى الشرفة يشرب قهوته مع السيجارة ..هرع اليها ماذا..ماذا بك يا أمينة..

أمينة:الحقنى يا حـــازم ..أنا خلاص هاولـــد دلوقتى ..ودينى المستشفى بسرعة ..بعد أقل من ساعة ..وصل حازم مع أمينة وهى فى حالة اعياء شـــديدة الى المستشفى ..وأثناء دخوله تلقى رسالة على هاتفه من أمه وفاء ..(أرجو ألا تتأخر يا حازم على كتب الكتاب أنت وأمينة)

لم يستطع قراءة الرســـالة ..صاحب أمينة التى وضعوها على ترولى المستشـــفى الى غرفة الولادة ..حاول الامســـاك بيد أمينة الى أخر لحظة .. حتى غابت عنه داخـــل حجرة الولادة ..وظل هو بالخارج..

مر الوقت بطيئاً للغاية على حـــازم ..لا يدرى كم مر من الوقت ..ربما ســـاعتان أو أكثر..والصداع يدق فى رأسه .شعر بزغللة فى عينيه..

واذا بباب حجـــرة الولادة يفتح وتخرج الممرضة ..توجه نحوها مسرعاً

..(بنتان زى القمر ..كل واحدة أجمل من الأخرى يتربى فى عزك)

اغرورقت عيناه بالدموع ..(وماذا عن الأم ..أمينة مراتى..)

الممرضـــة:زى الفل ..هى فى مرحلة الافاقة ..ربما بعد ســـاعة تستطيع رؤيتها والبنات

لكن مطلوب من حضرتك بعض الطلبات تشتريهم من الصيدلية المقابلة للمستشفى

حازم: أدوية يعنى ..هى أمينة فى خطر..؟ !

الممرضه: لا .. أنها للمولودتان ..حفاضات وبعض لوازم البيبى.. سأكتب لك المطلوب فى ورقة ..وستجد كل شئ فى الصيدلية..

توجه حازم الى الصيدلية ..وسأل بعض المارة ..حيث لم يستطع معرفة مكانها ..واذا بأحدهم يجيبه ..

أنت بتهزر ..أهى الصيدلية أمامك مباشرة .. عنوان ايه ووصفه ايه اللى بتسأل عليها ..هو أنت شارب حاجة! ! !

دخل حازم الصيدليه ونـــاول الصيدلى الورقة ..وبعد أن قرأها ..طلب من حازم أن يجلس على الكرســـى القريب هذا لعدة دقائق حتى يقوم بتجهيز المطلوب..

وبالفعـــل ..بعد خمس دقائق توجه الصيدلى الى حازم الجالس على كرســـيه وناوله الكيس..(اتفضل يا أستاذ..والحساب من هنا عند الخزينة)

لكن حازم لم يرد عليه ولم يتناول الكيس منه..

كرر الصيدلى كلامه ..لكن حازم لم ينظر اليه أو يستجيب ..

كرر الصيدلى كلامه أكثر من مرة..ثم هزه من كتفه ..فإذا بحازم يســـقط على الارض ..وبعد محاولات لاســـعافه قال الجميع كلمة واحدة..

(انا لله وانا اليه راجعون ..ولا حول ولاقوة الا بالله ..)

مات حازم وقت ولاده بناته وقبل زفاف أمه...

رفع المأذون المنديل الابيض من فوق يدى العريس عزيز رشوان وعروسه وفاء سعيد ..ألف مبروك..بارك الله لكما وبارك بينكما فى خير..وانطلقت المباركة والتهانى..

اقترب أكرم من وفاء وفى يده هاتفها وهو يدق

وفاء : أنا مشغولة يا كرم ..ممكن ترد أنت..

بعد أن اســـتمع أكرم الى الهاتف ..سقط على الارض ..فى حالة هستيرية وهو يصرخ .. الحقونى ..أخويا مات ..

خرجت أمينة من المستشـــفى ومعها الطفلتان ..وهى ترتدى الأسود وعيناها منتفختان من أثر البكاء..

ومن خلفها وفاء عمتها..باللون الاسود أيضا..

القدر لابد وأن يخطف كل من يقترب مـــن أمينة ..أمها .. أبيها ..والان زوجها ..قبلت كل فتاه وهى تنادى كل فتاه باســـمها الاولى ..مونيكا والثانية ..هيلدا

توقفت الحياه لـــدى الجميع وتغيـــرت كل الخطط الموضوعة مسبقاً..

لم تغادر وفاء بيتها..رغم زواجها لكن كل شـــئ تأجل وأقامت أمينة مع عمتها

وفاء بدون حازم لكن مع اثنتان من الملائكة ..مونيكا وهيلدا ..

وقام أكرم بتأجيـــل أى ترتيبات تخصه هـــو وندى عن موعد زفافهما..

ولا زال الجميع يعيش فـــى حالة من الصدمة والحزن.. لم يكن يتخيل

أى انســـان أن يفقد حازم هكذا دون مقدمات .. نعم كان مرهقا ومتعبا طوال الوقت وصار عصبيا ..لكن هل يصل هذا لدرجة توقف الحياه..

لم يكن أحد يعلم بأمر مرضه وعلاجـــه ..والذهاب الى الطبيب النفسى سوى انســـان واحد .. ميمى عزيز .. نعم هى الوحيده التى أطلعها حازم على أهم اسراره وتطور حالته .. وهذا ما أثار حفيظة

أمينة حينما صرح لها قبـــل وفاته بعده أيام أنه يرتاح للحديث مع ميمى عزيز ..والتى رددت من ميمى عزيز هذه؟ ! !

أقام أكرم وعزيز رشـــوان اجراءات تلقى العزاء فى بيت وفاء.. حيث أقاموا ســـرادق فى الشارع العام أمام المنزل.. للعزاء للرجال بينما العزاء للسيدات داخل المنزل..

وبدأ الكثيـــرون يتوافدون بعد صلاة المغرب ..الى الســـرادق والشيخ يتلو ما تيسر من الذكر الحكيم..

من الرجال حضـــر كل زملاء حازم فى العمل والكثير من زملاء الدراسة وبعض العاملين فى المجال الفنى ..

أما السيدات ..فلم تحضر أى من الفنانات اللواتى كن يحظين ود حازم كى يكتب عنهم فى المجلة ..

أغلقت أمينة الحجرة الخاصة بحازم ..ولم تســـتطع مقابلة أى انسان..شـــعرت أن الدنيا عادت لتضربها ثانية بعد أن تخيلت أن الدنيا قد تسامحت معها بعد تأكدها أن أمها مونيكا لا زالت على قيد الحياه وأن العثور عليها مسألة وقت ..

رحل الزوج ..سجن الاب..استمرار غياب الام..

ماذا بعد أنت فاعل بى أيهـــا القدر..أما آن الوقت كى تكتب لى أســـباب الراحة ..حتى ولو كانت الراحة الأبدية ..ربما الخلاص من الدنيـــا هو راحة لى مـــن تلك الضربات التـــى أتلقاها بلا أى ذنب

اقترفته..أعاقب دون أن أفهم لماذا .. ثم نظرت الى مونيكا الصغيرة وهيلدا .. نائمتان كالملائكة..

بعد نقاش كبير بين أشرف وعابد ...

اســـتطاع أشـــرف اقناعه ..أنه قد مر وقت كافى منذ هروبهما والاختباء فى هذا المنزل وقد أتتهم أنباء أن الشـــرطة لم تعد تكثف البحث عنهم كما كانوا عليه أول أيام هروبهم..

والآن يستطيع الذهاب الى بيت أخته وفاء..لأخذ مفتاح بيت أمه المغلق منذ سنوات طويلة..

وافق عابد ..واتفق مع أحد الرجال أن يسير خلفه لحراسته دون أن يلفت الانتباه اليه الى أن يطمئن أنه وصل بيت أمه فى آمان وأنه لا أحد يتعقبه ..

كان هدف أشرف ليس فقط مغادرة هذا المنزل والذهاب للعيش فى بيت أمه ..ربما هو الآن أكثر أمانا ..لكن اشتاق لرؤية ابنته أمينة التـــى لم تزوره ولو مرة واحدة منذ اللقـــاء الأخير الذى رفض فيه الاجابة عن أى من تساؤلاتها ولزم الصمت..

أيضا يريـــد الحديث مع أخته عن بعض الترتيبات ..وكذلك لكى يشبع الشـــعور الجارف بالحرية ..يريد أن يتنفس هواءا غير هواء السجن ..يريد الســـير فى الشوارع وســـط جموع الناس ..يأكل ساندوتش الفلافل ويشرب عصير القصب ..

استعد جيداً ووضع بطاقته الشخصية الجديدة بالاسم والبيانات الجديدة والتى حفظها جيداً وأخذ طريقه الى بيت وفاء..

فى بيت وفاء..صوت القرآن مرتفع ..والبيت ممتلئ بالســـيدات من الجيران والاصدقاء ..الجميع متشـــح بالسواد ..ورائحة القهوة السادة تفوح فى المكان ..وتسمع بعض الهمسات والبكاء ..يصدر من بعض المعزين..

وما زالت أمينة داخل حجرة حازم ..قابعة فى مكانها بلا حراك..

وإذا بها تســـمع دقات على باب الحجرة ..تسأل بصوت عال.. (مين)

فإذا بها فتاه ممن يقومون على خدمة السيدات ..لتقديم القهوة لهن ..

الفتاه: هناك من يريد مقابلتك يا ست أمينة..

أمينة: لا أريد مقابلة أحد ..أنا فى حالة ليست على ما يرام..

الفتاه: أخبرتها بذلك انك داخل الحجرة ولا تقابلين أحدا ..لكنها أصرت على مقابلتك ..وقالت للأهمية..

أمينة: هل ذكرت لك من هى؟ ..وما اسمها؟

الفتاه: لا ..سأسألها عن اسمها وأعود لك؟

بعد لحظات قليلة عادت الفتاه لتطرق الباب مرة أخرى وتفصح عن اسم هذه السيده..(تقول أن اسمها ميمى عزيز! !)

هنا هبت أمينة من مكانها (ماذا تريد منى هذه السـيدة .كيف تجرؤ أن تأتى هنا.)

انطلقت كالسـهم وسط جموع النسـاء فى كل أركان المنزل.. وسط صوت القرآن المرتفع..

واذا بها أمام امرأة تلبس الأسـود ..تبـدو عليها الأناقة طويلة بجسد ممشـوق وتضع طرحة سـوداء خفيفة فوق شعر أشقر.. وترتدى نظارة شمسية كبيرة تخفى بها ملامحها..

أمينة تتفحصها جيدا ..تناسـت غضبها وهى تقترب منها ..لم تنطق بكلمة واحدة .. كأنى رأيتها من قبل.

ميمى عزيز: أنا أريد أن أقابل زوجة حازم.

أمينة: أنا هى زوجته..أنا أمينة..

ميمى عزيز :اسمك أمينة ؟! مش معقول..اسمك أمينة ايه ما هو اسم أبيك ..؟؟

أمينة: لماذا تسألين ..أسمى أمينة أشرف.

انهارت ميمى عزيز وسقطت على الأرض وسقطت عنها النضارة الشمسية الكبيرة لتظهر ملامحها بوضوح أمام أمينة ..ياربى ..أنها ..أنها .. وسقطت أمينة بجوارها ..

اقترب الجسدان ..واحتضنت كل منهما الآخرى دون وعى ..وكان القدر قد جمع شتاتهما بعد طول غياب..

أطلقت وفاء صرخة بعد سقوط أمينة بجوار ميمى عزيز...

حضر على أثر الصرخة اكرم ووراءه عزيز رشوان ..ليميز ميمى عزيز على الارض وهى محتضنة لأمينة..

بعد أن استفاقت ميمى عزيز ..والدموع تنهمر بشدة وهى تلاحق أنفاسها..

معقول..هنا ..أنتى أنتى أمينة.أنا أمك .أنا مونيكا..

آخر عهدى بك وأنت رضيعة بين يدى..

نظرت أمينة الى ميمى عزيز غير مصدقة..ماما أيوة نفس الشكل فى الصورة ..الحقيقية وليســـت المزيفة ..ألقت أمينة بنفسها فى حضن مونيكا وصوت الضحكات والفرحـــة امتزج مع دموعهما.. والكل ألتف حولهما ولا أحد يفهم شـــيئاً الا وفاء.. أدركت أن ميمى عزيز هى مونيكا زوجة أخيها أشرف..الهارب المسجون..وأم أمينة المقهورة ..

أخذ منها القدر زوجها ..ابنى حازم وأعاد اليها أمها ..وكأن القدر يلعب معنا لعبة هو وحده من يمسك بخيوطها ..

تدخل عزيز رشـــوان وقام بسرد حكاية ميمى عزيز .. أنه قابلها فى أول أســـبوع لها فى القاهرة حيث أتت للبحث عن أبنتها وكيف ساندها وأقامت عنده مع زوجته وأبنته . وأنه أعطاها اسمه وأن ابنته أختارت لها اسم ميمى ..وبينما هم يستمعون ويتبادلون الأحاديث ..انطلقت صرخات الطفلتان من داخل حجرة أمينة..

هرول الجميع ..ومن وراءهم مونيكا..

حاضر يا مونيكا ..أنا قادمة يا هيلدا ..

وما أن سمعت ميمى عزيز الأسمان مونيكا وهيلدا..

هؤلاء بناتك يا أمينة.أو هيلدا..

نعم .. أنا أطلقت عليهما أســـمك واسم هيلدا الذى علمت أنه كان اختيارك لتطلقيه على .ولكن أبى أصر على أمينة..

احتضنتها مونيكا بشدة .. وقالت من الآن لن نفترق أبدا..

وقامت ميمى عزيز بســـرد ما حدث لها مع حازم وكيف كانت تعتبره بمثابه ابـــن لها ..وأنها أتت هنا لتقديم العزاء وأيضاً لإعطاء زوجته التى هى أمينة ابنتها بالطبع قبل أن تعلم ذلك ..مذكراته التى كان يكتبها أثناء زيارته للدكتور رؤوف..

حازم كان يعالج لدى طبيب نفسى ..وأنا لا أعلم..

ميمى عزيز ..نعم أنه كان لا يرغب أن يسبب القلق والمتاعب لكم وكتم عنكم متاعبه وآلامه ..لكن النهاية جاءت بأســـرع من توقعات أى انسان خاصة أنه كان ملتزم بتعليمات الطبيب ..

وصل أشرف الى مدخل الشارع حيث تقيم وفاء..

شاهد الصوان وصوت القرأن المرتفع..

انطلق داخل مدخل المنزل كى لا يراه أحد ..وقد أزال لحيته حتى لا يتعرف عليه أحد ..ســـأل أحد الحضور حول الصوان قبل دخوله

..لماذا هذا الصوان ..وماذا حدث ..قيـــل له ..أنه عزاء المرحوم أ/ حازم.

لم يصدق ما ســـمعه وانطلق كالسهم ..ليجد باب البيت مفتوحاً والقرآن يتلى بالداخل ..وجمع كثير من النساء باللبس الأسود داخل المنزل..

تقدم ببطئ ليرى مونيكا بجوار أمينة وكل منهما ممسكة بطفل رضيع تهزه وتهدهده..

توقف الجميع فى مكانه ..لم تصدق وفاء أن ترى أشرف أمامها ..هى لم تكن تعلم بنبأ هروبه من الســـجن .. وتسمرت مونيكا فى مكانها ..كانت لديها أمنية طوال الســـنوات الماضية ..اذا رأته ربما تقتله ..ولكن بعد أن جمع الله شملها مع ابنتها أمينة ..لم تعد لديها هـــذه الأمنية ولم تعد تبالى به وكأنه نكرة أو غير متواجد ..لم تعيد النظر اليه ..واســـتمرت فى هدهدة هيلدا التـــى كانت تحملها ..أما أمينة فنهضت من مكانها ..ومعها مونيـــكا الصغيرة واقتربت من أباها وهى تشير الى مونيكا ..

حفيدتك مونيكا ..وهذه حفيدتك هيلدا ..أما هذه فهى أمى مونيكا ..أيها الظالم.

حاول أشـــرف أن يتحدث ليشرح موقفه وأن يبرر أى من أفعاله ..لكن الجميع ساروا ســـويا ودخلوا حجرة حازم وأمينة ..وتركوه

يقف وحيدا وســـط النساء الجالسات بالأســـود ..وهن ينظرن اليه ..وكأنه شخص منبوذ غير مرغوب فيه..

استدار الهارب أشرف..

وهو غير مصـــدق لما حدث فى الدقائق القليلة الماضية ..حازم ابن وفاء مات .. ولم يجلس معه مرة واحدة

إلتقاء أمينة بأمها مونيكا وانجاب أمينة لطفلتان توأم ..وأطلقت عليهما اســـم أمها واسمها هى ..الاســـم الذى قامت على أثره أول خلافاته مع زوجته مونيكا ..

التى لم تلتفت اليه أو تعيره أى انتباه..

هل أنا فعلت كل هذا ..هل أنا ظالم أم مظلوم..

لا أشعر بأى ذنب داخلى ..اذاً أكيد أنا على صواب ..وكلهم على خطأ.. وظلمونى ومستمرون فى ظلمى.. اتحدوا جميعا كى يتفقوا على طريقة ايذائى والانتقام منى ..لابد أن أهرب وأغادر هذا المكان حالا قبل أن يبلغوا عنى الشرطة ..أنهم يلاحقوننى..

ثم أطلق لنفسه العنان وركض بأقصى سرعة ونسى أنه آت لأخذ المفتاح ..

ظل يركض ويسقط على الارض ثم ينهض ويعاود الركض ..الى أن استطاع أن يصل الى المنزل الذى اختبأ فيه مع عابد..

ولم يستطع الرجل الذى كان وراءه لمراقبته من اللحاق به..وعاد الى عابد ليخبره أنه فقد اثره لأنه كان يركض بسرعة كبيرة..

فقال له عابد ..أن الشـــيخ أشرف هنا بالداخل ..يهزى وحرارته مرتفعه..

ولا أعلم ماذا حدث له..

لم يستطع عابد أن يتصل بأى طبيب .. فقام بعده اتصالات لبعض الاصدقاء ..الوحيد الذى استطاع ان يجده متاحا ..هو صيدلى..

حضر وقام بعمل كمادات لأشـــرف للســـيطرة علـــى الحرارة المرتفعة..واعطاه بعض العقاقير ..ثم تركه لينام ..وسط الهلاوس والتخاريف والكلام الغير مفهوم الذى كان يهزى به أشرف..

قام بعدها عابـــد بجمع حاجياته ..وترك المنزل مع الرجل الذى يحرسه وكان يتابع أشرف أثناء ذهابه لأخته ومعهما الصيدلى ..

وأغلق الباب واختفى مع الرجلان ..وترك أشـــرف وحده ووضع بجانبه بعض الماء والعقاقير التى ربما يحتاجها..وحرص على ألا يترك أى أثر يدل عليه..

امتـــدت الحكاوى والكلمات والدمـــوع والضحكات طوال الليل بين ميمى وأمينة والتى اســـتطاعت لأول مرة أمينة أن تقول (ماما) وتسمعها ميمى عزيز أو مونيكا لاول مرة ..ولم تصدق ميمى عزيز عندما عرفت أن بابا عزيز متـــزوج الأن من عمة أمينة وفاء ..والتى كانت مونيكا تبحث عنها فى بداية وصولها الى مصر..

أخيرا الفرحة عرفت طريقها لقلب أمينة الذى لم ينم منذ سنوات الطفولة قلـــب يقظ على الدوام ..باحث ولاهـــث وراء الام المتوفية ..والتى هى فى أحضانها الان بعد أن تكشفت كل الحقائق..

وكما يقال فـــإن المصائب لا تأتى فرادا ..فالأفراح أيضا لا تأتى فرادا..

اذ دخل عليهم فى الصباح أكرم يزف اليهم نبأ نجاحه فى العام الأخير فى الكليه وأنه تخرج بتقدير امتياز ..وربما ســـيتم تعيينه معيدا بالكليه وقد اختار أن يقضى بعد سنه الامتياز التخصص فى قسم التشريح ويكون تدريبه بمشرحه مستشفى الجامعة .

و رغم حالة الحـــزن والوفاه ..التى حدثت منذ أيام ..الا أن وفاء قامت بتوزيع الشـــربات على الجميع ..كى لا تكســـر فرحة أكرم بنجاحه وتخرجه..

وكانت أشـــد الناس فرحا بتخرج اكرم هى ندى حيث يقرب هذا البعيـــد ويعجل بزواجهما الذى تأجل لأجل غير مســـمى بعد وفاه حازم..

استأذنت ميمى عزيز وفاء أن تأخذ أمينة والبنات مونيكا وهيلدا ..للاقامة معها فى بيتها لبعض الوقت..

ثم قامت ميمـــى عزيز بعمل بعض المكالمـــات ألغت فيها كل الارتباطات والاعمال الموكلة اليها لتتفرغ لابنتها وأحفادها .. وأخيرا تحقق الحلم..

لم تعد بحاجة للطبيب النفسى ولم تعد بحاجة الى التدخين ولا الانزواء جانبا ..انطلقت للحياه مرة أخرى كما كانت قبل زواجها من أشرف..

عادت أمينة الى الوراء ســـنوات طويلـــة .. تعيش الان مرحلة طفولتهـــا التى حرمت منهـــا ..رغم أنها أم لتـــوأم ..لكنها صارت تتصرف كالأطفال ..تنام فى حضن أمها (مونيكا الكبيرة) كل ليلة ..تستمتع معها بالكلمات المعسولة الرقيقة .. تخرجان سويا للتنزه بصحبة البنات ..

تأخذها الى محلات الملابس ..وتأخذ رأيها كأى بنت مع أمها ..

سنوات الحرمان لن تعود.. هكذا كانت مونيكا الكبيرة تؤكد دائما ..

تخلت مونيكا عن اسم ميمى عزيز ..وأشاعت بين جميع المعارف والاصدقاء أن اســـمها الحقيقى مونيكا وترغب أن يناديها الجميع بهذا الاسم ..بعد أن استأذنت عزيز رشوان ..وقد تفهم ماتطلب..

مونيكا ..أم أمينـــة ..الطفلة التى خطفـــت منها وحرمت منها لسنوات طويلة ..أجمل ســـنين العمر .. لكن الله عوضها أخيرا بلم الشمل مع الاحفاد أيضا .

استيقظ أشرف بصداع شديد فى رأسه ويشعر أن درجة حرارته عاليه نظر حوله وجد بعض العقاقيـــر وقارورة مياه ..ولا صوت

خارج الغرفة التى ينام فيها .. بصعوبه بالغة تحامل على نفســـه وفتح باب الغرفة وهو ينادى على عابد بلا أى استجابه ..توجه الى اركان البيت بالكامل الى أن دخل الغرفة التى كان عابد ينام بها ..لم يجد له أثر وخزانه الملابس فارغة تماما .. ولا يوجد أى أثر أنه كان يوجد رجل اسمه عابد مقيم فى هذه الغرفه..

بحث عن طعام ..وجد بقايا طعام من عشاء ليلة أمس..

تناول طعامه وتناول دواءا للصداع .. امسك هاتفه اتصل بعابد لكن هاتفه كان مغلقا ..

حاول اســـترجاع واســـتيعاب ما حدث ليلة أمس ..الســـرادق ..العزاء..

آه ..حازم ابن أختى مات كيف أنه لايزال فى ريعان شبابه ..هل بسبب حادث ســـيارة مثلا ..لم ألتق به ولو مرة واحدة ..ولم اسمع منه كلمة خالى.. كنت ســـمعت أنه يعمل ناقـــد فنى ..هذه هى كل معلوماتى عنه ..ثم أنه زوج ابنتـــى ..الان أمينة صارت أرملة ..كم مسكينة يا أمينة .. كتب عليك الشقاء..والحرمان من كل من تحبين .والان ان مســـجون ..لا هارب من السجن ومطارد من العدالة ..هل سأظل هارب هكذا الى الأبد اتجه الى الباب ..شعر برغبه فى السير فى الطرقات كى يشعر أنه ليس سجينا .. الباب مغلق من الخارج.

أمضت ندى وقتا طويلا ..فـــى البحث عنه وبعد أن فقدت الامل فى الوصـــول اليه ..قامت ندى ..بالاتصال بأمـــه وفاء ..وأمطرتها

بوابل من الاســـئلة وصدرت اليها من القلق كما كبيرا .. واحاطتها بعلامات استفهام ليست لها اجابة ..وكلها تنحصر فى عنوان واحد (أين أكرم) .. لا أجـــده طيلة اليوم ..ولم يتصل بى ..وعندما أحاول الاتصال به ..هاتفه مغلق..

وفاء: .. ربما فى مكان الاشـــارة والشبكة فيه ضعيفه .. لما كل هذا القلق ..الصبر يا ابنتى وأكيد سيظهر فى أى وقت وتعلمين أينما كان..

لم تكن ندى تدرى أن أكرم ..جالس أمام قبر حازم..

لا يســـتطيع التوقف عن البكاء ..وما زال غير مصدق أن أخيه لم يعد موجودا ..فارق الحياه..لم يســـافر وسوف يعود كما فعل عند سفره مع أمينة الى سويسرا ..لكنها هذه المرة سفر بلا عودة .. لن يراه غدا أو الاســـبوع القادم أو السنة القادمة ..لن يراه مطلقا ..لن يداعبه .. لن يلبس ويرتدى بعضا من ملابســـه لن يسمع منه أخبار الفنانين والفنانات وما يحدث وراء الكواليس ..

والان لديه ابنتان ..أنا عمهم ..ولن أتركهم تحرمان من حنان الاب والعم..

مع السلامة يا شقيقى ..أنت فى القلب وروحك دائما تسير معى اينما كنت ..سأراك قريبا ..هل تعتقد أنى ربما أذهب اليك اينما كنت .. لا أدرى؟

استيقظ أشـــرف على صوت دق وخبط شديد وقوى للغاية على باب المنزل ..لم يدر هل هذا حلم أم واقع ..أم أنها هلاوس وخيالات نتيجة ارتفاع درجة حراراته.. كانت ملابســـه مبتله ورأسه يتصبب عرقاً

نهض ببطئ من فوق السرير يبحث عن عابد .. والدق على الباب لم يتوقف .. اتجه ناحية الباب حاول فتحه لكنه كان مغلقا بالمفتاح وهو ليس لديه مفتاح للباب أنه مع عابد ..

سأل من بالباب.. افتح ..افتح حالا والا كسرنا الباب ..

كيف أفتح أنا ليس معى مفتاح ..مـــن أنتم .. ولم يكمل الجملة الا وســـمع صوتا هائلا ..ثم كسر الباب ودخل عدد كبير من الرجال بعضهم بملابس الشرطة ويحملون أســـلحة وعلى وجوههم أقنعه سوداء يبدون مثل القوات الخاصة أو قوات مكافحة الارهاب..

امسكوا به وطرحوه أرضا ووثقوه يده من الخلف وامسكوه بكل قوة وعنف ولم يجب أحد منهم على تساؤلاته ..وكأنه يحادث نفسه..

وقاموا بتفتيش المنزل ..حيث كانت هناك ثلاث عربات شـــرطة وعدد غفير من الناس قد تجمهر حول المكان ..وسمع أحدهم يقول..

(يلا فى داهية ريحونا منهم..)

داخل سيارة الشرطة ..مكبلا ..وحوله عدد من رجال الشرطة ..

والسيارة تقطع الطريق ..الى أين.. لا يدرى ..

الى أن وصلت السيارة امام باب السجن .. نفس السجن ..

فتح الباب ..وتـــم وضعه فى زنزانه ضيقـــة ..حبس انفرادى وممنوع من أى رفاهية مثل التجول فى الفناء أو الزيارات..

شاهده عدد من المساجين وهو منقاد الى داخل ممرات السجن حليق اللحية ..أليس هذا هو الشيخ أشرف..

قال أحدهم: وانهالت عليه السخرية من كل من شاهده حتى بعض اتباعه انقلبت عليه وامطره بوابل من الاتهامات ..ربما لحلقه لحيته ..أو فشـــله فى محاولة الهرب ..أو الانانيـــة التى تصرف بها ..بعد حرق المطبخ والتسبب فى اصابات كبيرة للعاملين به بالاضافة الى وفاه رجلين من العاملين بالمطبخ..

ألقوا به فى زنزانه..مظلمة.. ضيقـــة ..رائحة العطن تفوح فى أركان المـــكان الضيق الذى يخلو من أى نافذه ..فلم يعد يعلم وقت النهار من الليل ..وكل عدة ســـاعات يسمع صوت رقع أقدام ثقيلة ترج أركان الزنزانة..

ويفتح الباب وهو يحدث صوت صريرا عاليا مزعج وكأنه ينتزع اذناه من مكانهما ..وتوضـــع على الارض صينية حديدية بها قطع الخبز..وطبق عدس أصفر وقطعة من الخضار ربما بصل أو طماطم أو خيار ومعهم ثمرة برتقال..

لم يصدق أشرف كيف ألت الأمور الى هذا الحد من الذل والاهانة ..كل هذا بسبب هروبه بابنته..

لم يكن يـــدرى أن خطف ابنته والهروب بها..نقرة ..والهرب من السجن واحداث حريق واسابه العديد ووفاه رجلين ..نقرة أخرى..

صرخ بأعلى صوته ..أنا الدكتور أشرف ..استاذ جامعى وحاصل على الدكتوراه من سويسرا وحاصل على العديد من شهادات التقدير لأبحاثى وأعمالى ..

لم يجد أى استجابة ..المكان كأنه قبر مظلم ..وتمر عليه الدقائق كالساعات ..

وفى الصباح ..تم أخذه مـــن الزنزانة الى عربة الترحيلات ..الى النيابة العامة.. وهناك قضى ساعات طويلة فى استجواب ..التهديد والوعيد لفعلته الشنعاء.. وتم توجيه تهمة الهرب من السجن وتهمة اشـــعال حريق عن عمد فى مطبخ السجن بالاشـــتراك مع اخرين ..أيضا اصابة عدد من العاملين ووفـــاة أو قتل رجلان .. بالاضافة الى تهمة تقديم رشوة لسائق شاحنة المطافى التى هرب فيها بعد الاتفاق معه لمساعدته على الهرب..

بالطبع لم يكن يعلم أن هناك من أصيب ومن قتل جراء الحريق ..ولم يكن يعلم بأمر الرشوة المقدمة لســـائق شاحنة المطافى .. حاول الدفاع عن نفسه لكن بلا فائدة..

ولم يتبق فى طاقته شـــيئاً يســـاعده على المقاومة المعنوية والجسدية..

حياته تحولـــت لجحيم فى الايام القليلـــة الاخيرة منذ أن دخل الشارع الذى تسكن فيه وفاء وشاهد سرادق العزاء ..ولم يذق طعم الراحة ولو لدقيقة..

هب واقفا متوســـلا لوكيل النيابة أن يجيبه على سؤال يدق فى رأســـه يكاد يكسرها ويقسمها الى أشلاء ..سمح له وكيل النيابة أن يسأل ..

أشـــرف: كيف عرفتم مكانى ..وأنا فى منزل عادى للغاية ..فلا يدل أن هناك من هو مختبئ بداخله هارب من السجن..

وكيل النيابة: أنا مش المفروض أجيبك على أى تســـاؤل ..أنت هنا لكى تسمع الســـؤال وتجيب وفقط ..لكن أنا سأجيبك لأثبت لك أنك حمار ..وأنك تعيش فى كذبة كبيرة وواهم أنك لم تفعل شـــئياً يســـتحق العقاب ..وأنك انسان تعيش فى غفلة وكل قراراتك مؤذية لغيرك قبل أن تؤذيك أنت شخصيا وأن غفلة الضمير التى تحيا بها ..لن تستمر عندما تجد نفسك تقضى بقية عمرك خلف القضبان.. وبالنسبة لسؤالك ..فالاجابة هى..

عابـــد عدوى..هل تعرفه.. هو من اتصل بالشـــرطة من هاتف مجهول وأبلغ عنك وعن مكان اختبائك بالتفصيل..

عاد أكرم الى البيت ..ليجد أمه وفاء ..فى غاية القلق عليه.. ارتمى فى احضانها وهو يبكى بشدة .

وفاء:ماذا بك ..أين كنت يا أكرم ؟؟

أكرم: كنت عند أخويا ..معاه شـــعرت بالراحه رغم كسر قلبى .. لكن قلبى ارتاح بوجودى بجواره ..حدثته كثيرا ..كان يســـمعنى وشـــعرت أن يده كانت تربت على كتفى كما كان يفعل عندما كانت تواجهنى مشكلة ..يداه كانت تزيل أى هم أو غم أشعر به..

لم تتمالك وفاء ..ما تحبسه بداخلها من الام بفقدان ابنها البكرى ..الابـــن الاول ..الفرحة والطعم الاول لمعنى كلمة أم ..أول من نطق ماما وأول من رضع من صدرها وأطعمته وسمعت بكاؤه وضحكه ..

ضمت أكرم بشـــده..وعاودت التقليب فى ألبوم الصور ..هذا ما كانت تفعله قبل قدوم أكرم..

شـــاهدا الصور ســـويا ..ضحكا على بعض الصور وبكا على البعض الاخر ..وفى كل صـــورة ..تدعى وفاء بالرحمة لحازم .وأن ربنا يخلى ليها أكرم ..لم يعد لى غيرك يا ولدى..

أكرم : وماذا عن انكل عزيز..

وفاء: انه متفهم ولا يضغط على مطلقاً..

لم يعد عقل أشرف يتحمل كل ما يحدث له وما يسمعه حتى لو كان حاملا لشهادة ودرجه الدكتوراه..

ما سمعه من وكيل النيابة وقع عليه موقع قنبلة نووية القتها اليه أيامه لتسقط فوق رأسه لتحطمها..

(عابد .. هو من أبلغ عن مكان اختبائى).. ظل يردد هذه الجملة أمام وكيل النيابة .

واذا بوكيل النيابة يضيف ..وأزيد من الشـــعر بيتاً..عايز تعرف معلومـــة أخرى .. أيضا عابد.. أوضح أنك أنت الذى خطط ورســـم خطة الهروب بالكامل..اشعال حريق المطبخ ..والاتفاق مع سائق الشاحنة وتقديم الرشـــوة له ..لمساعدتك فى الاختباء فى الشاحنة والهرب عن طريق بعض أعوانك خارج السجن..

أشـــرف: أنا ..أنا لم أفعل شـــيئا . هو الذى فعل كل شئ كنت أســـير وراءه واوافقه على كل رأى ..هو من أقنعنى أنه لا فائدة من الاستئناف على الحكم ..وأنه لن يرحمنى أى قاضى ..والأفضل هو الهرب والتمتع بالحرية ..وهو الذى رســـم وخطط واســـتخرج لى بطاقة شخصية باسم آخر..

أنا برئ ..أنا ســـلمته نفسى وهو كان العقل المدبر.. ولكن كيف تقبضون على ولم تقبضون عليه..

وكيل النيابه: للأسف ..أنه أجرى هذه المكالمة من هاتف مجهول ..وبعد محاولات تتبعه ..اكتشفنا أنه خارج البلاد..

أشرف لا أصدق.. لقد سطا على كل أموالى ..لم يعد لدى أى مال من ســـنوات الغربة ..سرت خلفه بلا عقل.. وصدقت كل ما قاله لى وبدأت أشعر بالحرية بعد الهروب من السجن ..

يعنى أنه اســـتخدمنى ..واســـتخدم أموالى.. ثم ألقى على بكل المسئولية والتهم ..الان أنا فى قبضتكم وهو بعيداً فى بلد آخر ينعم بحريته ويستمتع بأموالى ..

وكيـــل النيابة: عرفت ليه أنت حمار.. وقـــد ذكر الله أمثالك فى القرآن :بسم الله الحمن الرحيم ..“ كمثل الشيطان اذ قال للانسان أكفـــر قلما كفر قال انى برئ منك إنى أخـــاف الله رب العالمين ” ســـورة الحشر ايه 6..... وقال أيضا: بســـم الله الحمن الرحيم : ” وقال الشـــيطان لما قضى الامر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى .فلا تلومونى ولوموا أنفسكم .ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى إنى كفرت بما أشـــركتمون من قبل . ان الظالمين لهم عذاب أليم» سورة ابراهيم آيه 22

ما أن سمع أشـــرف الايات ..حتى انهار تماما وسقط فى بكاء شديد..

لم يتبق على أكرم لانهاء ســـنة الامتياز الا أسابيع قليلة وبعدها يتسلم مهام عمله بمشرحة المستشفى الجامعى..

وخلال تلك الفترة ..لم ينقطع عن زيارة قبر حازم.. كان يشعر أنه يراه أمامه فى أوقات كثيرة ..ثم يكتشف أنها خيالات ..

لم تكف ندى عن اظهار الضيق والضجـــر من اهمال أكرم لها ..وانشغاله بعمله كطبيب امتياز..وزيارة قبر حازم.. وكان انشغاله بحازم كان وهو على قيد الحياه وحتى بعد مماته مازال يحتل جزءاً عظيماً من وقته واهتمامه..

كان أكرم يشـــعر بضيقها لكنه لم يكن يستطيع السيطرة على مايقوم بـــه بعد انتهاؤه من عمله فى أيام كثيرة يجد نفســـه أمام قبر أخيه حيث يشـــعر بالراحة ..يحدثه كثيرا ويطلعه على ما مر به فى يومه.. كم مريض كشـــف عليه والصعوبات والمشكلات التى يواجهها..

مر أكثر من عام على رحيل حازم..

عاد أكرم الى البيت..دخل حجرة حازم..ليســـتريح فيها قليلا حاول النوم على سريره ..لكن الساعات مرت عليه دون أن يستطع النوم ..الى أن انقضى الليل بطوله ..وظهرت بشائر الفجر..وما زال لم ينم...

استعد للذهاب لعمله والارهاق والتعب قد تمكن منه للغاية..

لم يســـتطع التركيز فى العمل ..استأذن وغادر الى البيت لينام قليلا لكن بلا فائدة..

اليوم التالى على التوالى ..وهو يقظ تماماً حاول جاهداً أن يظلم الغرفة وأن يخلد الى النوم ..لكن بلا فائدة ..قام ثانية واتصل بندى ليتقابلا فى احدى المطاعم.. كم كانت هى سعيدة بهذا للغاية حيث

لم يطلب لقاءها من فترة وكانت هى دائما من تسعى لأن يلتقيا ولو مرة أسبوعياً ..تناول بعض العقاقير التى تساعده على التخلص من الارهاق ..قاد سيارته بصعوبة ..الى أن وصل..

لم يستطع أن يبدأ حديثه مع ندى قبل أن يعتذر لها على انشغاله فى الفترة الاخيرة.. لكنه سيحاول تعويضها والاهتمام بمستقبلهما سويا وتلبية رغبتها فى شراء ما يلزم للزواج..

لاحظـــت ندى حالة الارهاق الشـــديد الذى يبـــدو عليه ووجهه الشاحب ..أخبرها أنه لم ينم لأكثر من يومين ..ولا يشعر برغبة فى النوم..وهذا غير طبيعى ..كطبيب يعلـــم أهمية وخطورة هذا على صحة الانسان..

لذا ربما ..يتوجه لاستشـــارى متخصص فـــى المخ والاعصاب لاستشـــارته فى هذا الأمر ..والذى يعمل فى المستشفى الجامعى حيث تسلم أكرم عمله كطبيب تشريح فى مشرحة المستشفى..

أومأت ندى برأسها ..أن حســـنا .. انشاء الله خير.. يكون الامر بسيط..أرجو ان تطمنى عندما تفرغ من زيارته..

بدأت وفاء .. بجمع حاجياتها وأمتعتها اســـتعدادا للانتقال الى بيت زوجها عزيز رشوان..بعد أن أطلعت أكرم أن لابد وأن تترك له البيت كى يبدأ فى تجديده وتجهيزه هو وندى خطيبته ..للاستعداد للزفاف..

كانت ندى أشد الناس فرحا بهذه الخطوة فكانت تشعر بالحرج الشديد أن تسأل وفاء عن موعد انتقالها الى بيتها الجديد مع زوجها..

وبدات وضع تصورات كثيرة فى رأسها ..عن كل ركن فى البيت.. كيف سيكون ..

فقررت أن تكون حجـــرة حازم هى حجـــرة الاطفال وحجرة وفاء هى حجرة نوم الرئيســـية ..أما حجرة أكرم فســـتكون حجرة نوم اضافية ..كى تخصص فى المســـتقبل حجرة للصبيان وأخرى للبنات..

ثم قامـــت بالاتصال بعدد من المحـــلات المتخصصة فى بيع فســـاتين الافراح البيضاء ..حلم كل فتاه..وحاولت الاختيار من بين عدد كبير منهم بمســـاعدة أمها وكذلك الاتفاق مـــع قاعة الافراح والحقلات ..ثم عمل لســـتة طويلة من المدعوين وترك عدد مماثل لأكرم كى يقوم بدعوة قائمة طويلة من أصحابه ومعارفه..

حاولت التفكير فى كل كبيـــرة وصغيرة تخص الاعداد للزفاف وحفل الزفاف ..ولكنها نســـيت تماماً أن تسأل عن أكرم الخطيب ..الحبيب.. كيف صارت معه الامور لدى دكتور المخ والاعصاب..

طلب استشـــارى المخ والاعصاب من أكرم عمل أشـــعة رنين مغناطيســـى على المخ وكذلك عمل اشـــعة مقطعية على الرأس والرقبه..

أنت يا دكتـــور أكرم طبعا طبيب وعـــارف أهمية عدم الاهمال والســـرعة فى عمل الفحوص الطبية فى قســـم الاشـــعة ..والتى استغرقت حوالى الساعة ..

عاد أكرم الـــى الدكتور ..تلقى مكالمة وهـــو على باب حجرة الدكتور ..انها ندى ..تسأله ان كان يعرف مقاس الشبابيك فى البيت حيث هى بصدد شراء الستائر..بالطبع لم يكن يعرف ..ليست هذه ميوله المقاسات والديكور بالاضافة الى حالة الارهاق الشديد وعدم النوم ..

..كنت أتمنى تكونى معايا هنا يا ندى ..كنت أشعر برهبة شديدة وأنا داخل جهاز الرنين المغناطيسى ..مرت ثمانية وعشرون دقيقة وأنا أشعر أن روحى ستنفصل عن جسدى داخل هذا الجهاز الضيق الذى كاد يطبقه على صدرى قبل رأســـى ..كان نفسى تكونى فى انتظارى خارج الغرفة ..الشعور بوجودك جانبى كان سيخفف عنى الكثير..

ثم سمعها على الجانب الآخر تحادث شخصا ما (طيب أنا هأخد اللون دة ..واللون دة كمان ..ولو المقاس مش مضبوط سوف أعود وأخذ المقاس الصحيح..)

شعر أكرم بالاحباط الشديد ..اللامبالاه أمر فظيع..

هل هى لامبالاه أم أنانية أم أهمال أم عدم اكتراث ..شعر برجفة فى جسده ..وعاد اليه الشعور بالوحده المخيف..

مات أخوه الكبير..توأم روحـــه.. وتزوجت أمه ..والان خطيبته وزوجة المستقبل تهتم بالشـــبابيك والستائر أكثر منه ومن صحته رغم أنه أطلعها على حالته بالتفصيل.. وهى ســـتصير طبيبة ..أى مدركة لأهمية وخطورة ما يمكن أن يعانيه على الأقل كانت تهتم به ليس كحبيب ولكن كزوج وأب لأولادها كما كانت تصرح دائماً

أغلق الهاتف وهو يســـتمع الى المناقشة بينها وبين ما يبدو أنه بائع فى المحل الخاص بالاقمشة والستائر..

لم يســـتطع دخول حجرة الطبيب ..اســـتند على الحائط جانبا حاول أخذ نفس عميق لتزول عنه آثار الرجفه الجســـدية من عمل اشعة الرنين المغناطيســـى وخوفه من الجهاز .. كان دائما يسمع من بعـــض المرضى خوفهم من النوم داخل الجهاز ..وكان يتهمهم بالدلع.. ولم يصدق ما يمرون به.. الا اليوم.. الان شـــعر بمخاوفهم ..وبالاخص أنه وحيدا بلا عائلة أو أصدقاء..

اســـتجمع قواه ..ودخل غرفة الطبيب ..تعال يـــا دكتور أكرم ..تقرير وصور الاشـــعه أمامى هنا على مونيتور الكمبيوتر مشيرا الى وجود بؤر ســـوداء فى نسيج المخ قد أصيبت بالتلف فى أماكن معينه فى نسيج المخ..

غادر أكرم وهو غير مصدق رغم ادراكه كطبيب بخطورة الموقف لكنه كانســـان كان يحتاج لحضن أقرب الناس اليه ..أمه ..خطيبته

..شقيقه حازم ..لم يشعر الا ووجد نفسه قد وصل أمام بيت ميمى عزيز أو مونيكا ..ودق جرس الباب..

احتضـــن مونيـــكا الصغيرة ..ثـــم احتضن هيلـــدا ..وجلس والصغيرتان فى حضنه..

هـــذا كل ما كان أكرم فى حاجة اليه ..الوجود وســـط ملائكتان صغيرتان ..البراءة المتناهية ..بنات حازم وأمينة ..

آه..انها أمينة ..بها سر خفى يبعث للراحة فى قلب وروح أكرم ..

استعاد شـــعوره القديم عندما وقعت عيناه على أمينة لأول مرة ودقات القلب التى لا تنســـى ولم يأتى مثلهـــا حتى مع ندى ..التى تمطره بالحب..ربمـــا حب امتلاك..وبعد تعارفه مع مونيكا الكبيرة وجد فيها امراة طيبـــة للغاية لا تطلب من الحياه الا التواجد بجوار ابنتها أمينة وأحفادها .. تغمرهـــم بالحب والحنان وتعوضهم عن حرمان السنين

.. تمنـــى أكرم لو يقيم معهم جميعاً مدى الحياه حتى ولو يقوم على خدمتهم طيلة حياته أو ما تبقى من حياته..

مر الوقت سريعا ..هكذا دائما الوقت السعيد يطير بسرعة البرق..

عاد الى بيته وذكريات الســـاعات القليلـــة الماضية لا تزال فى مخيلته ..

تجلب له الفرح والسعادة والتى تناسى معها فحوصات الاشعة والنوم داخل جهاز الرنين المغناطيســـى ..واللا مبالاه الغير مبررة من ندى خطيبته ..

مرت الليلة بطيئة ممزوجة بالفرح والألم والخوف ..دون نوم ..

ما زال أشـــرف ..يهذى ويكلم روحه داخـــل الزنزانة الضيقة.. ولا يردد ســـوى بعض الكلمات ..(أموالى ..تحويشـــة العمر..عابد النصاب..ابنتى ..أحفادى ..حازم ..مونيكا.. وفاء..الدكتوراه.. ! !)

هزل جســـده وبرزت عظام وجهه وصدره ..وبدا الضعف عليه واضحـــاً ..طالت لحيته ..ليس لأجل الديـــن ولكن لعدم الرغبة فى الحلاقة والاهتمام بنفسه وبدأت تظهر عليه بعض التقرحات ..نتيجة لا نتشـــار الحشـــرات فى الزنزانة وقلة التحمم ..فصارت رائحة الزنزانة خليط من العطن والعرق..مع حشـــرات الفراش ..أنه ليس فراش بالمعنى المعروف لكنها بطانية قذرة من الصوف الخشـــن على الارض الباردة الرطبه ..

أسند رأسه على الحائط ..وبدأ شريط ذكرياته يتحرك أمامه كأنه يشاهد فيلم سينمائى ..

لقطات من لقاءه الاول بالفتاه السويسريه التى تدرس الاخراج فى سويســـرا ..حب وانطلاق وحيوية ثم زيارته لأسرتها فى الريف ..حفل زفاف بسيط وسط العائلة والاصدقاء..عمله بجانب الدراسه..

خبر حمل مونيكا..ســـيصبح أبا ..موعد الولادة..داخل المستشفى يزفون اليه خبر المولودة الجميلة ..اختيار الاســـم ...المسمار الاول فى نعش العلاقـــة ..الذهاب بها الى الكنيســـة ..التخطيط للهرب بالطفلة ..العمل فى دولة عربية ..العـــودة الى مصر ..الجحيم بدأ والنار فتحت عليه وخسر كل شئ .

بعد مرور عـــدة أيام ..ضرب أكرم مع أمينـــة ومونيكا الكبيرة والطفلتان مونيكا وهيلدا موعداً ..لقضاء يوم معاً والتنزه فى حديقة الاسماك

مضى اليوم ممتع الى أن أنتصف النهار جلســـوا جميعا فى أحد المطاعم لتناول طعام الغذاء..

واذا بأكرم يتلقى مكالمة هاتفية من د/ عبد العظيم استشارى المخ والاعصاب يطلب فيها أكرم أن يمر عليه فى أسرع وقت ..الان اذا أمكن ..

شعرت أمينة بقلق أكرم وتغير ملامحه بعد أن كان لا يتوقف عن الضحك ومداعبة الطفلتان والانطلاق فى ممرات الحديقة كأنه طفل صغير..

أمينة: ماذا بك يا أكرم؟!

أكرم: لا أدرى .. د. عبد العظيم استشارى المخ والاعصاب الذى يتابع حالـــة الارق التى تلازمنى من عدة أيام ..يطلبنى للذهاب اليه للأهمية ..ويقول الأن لو أمكن

أمينة: اذن هيا بنا.

أكرم: لا .. لا اعتقد الامر بهـــذه الاهمية ..دعونا نكمل هذا اليوم اللطيف وأنا سأمر عليه فى آخر النهار

كانت مونيكا الكبيرة ..أكثرهم ســـعادة ..أخيرا صار لها عائلة وصرحت لهم أنها منذ قدومها الى مصـــر لم تخرج للتنزه مطلقا ..وهـــذه أول مرة تزور حديقة الاســـماك ..كيـــف لصاحب القلب المكسور أن ينعم بأى متعه..

حل الظلام وحان وقت الانصراف ..وبـــدأ فى جمع حاجياتهم ..وانطلقوا بالسيارة

أمينة: الى أين يا أكرم؟!

أكرم: سأوصلكم الى البيت ثم أذهب الى مقابلة د. عبد العظيم

أمينة : لا .. لن نذهب الى البيت ..سنأتى معك.

مونيكا: نعم .لن تكون وحدك ..ســـنأتى جميعا معك للاطمئنان عليك.

فى عيادة د. عبد العظيم ..دخل أكرم حجرة الكشف بينما انتظر فى الخارج كلا من أمينة ومونيكا والطفلتان.

قام د/ عبد العظيم بالترحيـــب بأكرم لكن ليس بنفس طريقة المرات السابقة .

شـــعر أكرم باختلاف المقابلة حيث تخلو من المرح والابتسامة العريضة ويظهر على وجهه شئ من الجدية تدعو للقلق.

حاول د/ عبد العظيم تقديم وتهذيب حديثه ليتسم باللطف قدر الامكان لكن كان ولابد أن يصل الى نقطة الحسم..

اسمع يا أكرم أنت فى عمر أولادى وأنا ولابد أن أصارحك وخاصة أنت طبيب وتستطيع فهم ما أقول ..بعد أن غادرت فى المرة السابقة كنت غير مرتاح بصور الاشـــعة وما رأيته فـــى المخ قمت بعدها بالاتصال بعدد من الاساتذه المرموقين فى جراحة المخ والاعصاب داخـــل مصر وفى أمريكا ..وثالث فى انجلترا وأرســـلت لهم صور الاشعة ..الفيلم بالكامل..

وقمت أنـــا بمراجعة العديد من المراجـــع العلمية المعنية بهذا الشأن وبالاسم اتفق الجميع على رأى واحد ..وهو.. هو..هو

أكرم: هو ماذا ..أرجوك تكلم يا دكتور .

د/عبد العظيم: اســـمع يا أكرم ..ما ظهر فى الاشعة ..ثلاث بؤر سوداء فى نسيج المخ قد أصيبت بالتلف فى أماكن معينة وبتوزيع معين فى نســـيج المخ ..وهذا يتطابق مـــع الأرق الوراثى المميت ..واسمه العلمى .

Fatal familial insomnia F.F.I

ثم أضاف د/عبد العظيم : أنت يا دكتور أكرم تستطيع أن تفهم ما أقوله جيدا وتســـتطيع أيضا البحث فى هذه الحالات ..ليس منها الكثير وربما تكون حالة نادرة جدا فى مصر وعلى مســـتوى العالم أيضا .. ولا أخفى عليك سراّ أنه لم يكتشف علاج يضمن لك أن تمارس حياتك بشكل طبيعى نوعا ما.. لكن ليس كأى انسان طبيعى..

والســـؤال هنا : هل لديك فى أسرتك من ناحية الاب أو الام حالة مشابهة لك حتى لو كان أحد الجدود أو أبعد من ذلك؟

أكـــرم: لا أعرف ..لم يذكر لى أحد أمامـــى اصابة بهذا المرض ..لكنى أعلم أن أبى قد توفى فجأة ولم يكمل عامه الخامس والثلاثين .. وأخى حازم مات منذ عام تقريباً وأيضا لم يكمل الثلاثين.

خرج أكرم من حجرة الكشـــف ..توجه ناحيـــة أمينة ومونيكا والطفلتان بوجه مختلف بعض الشـــئ عما دخل به حجرة الكشف منذ نصف ساعة

حاول الابتسام ..وتظاهر بأن الأمر بسيط .

وبعد أن أوصلهم الى بيت مونيكا لم يستطع العودة للمنزل .

توجه الى الجامعة وبحث عن أستاذ مادة المخ والاعصاب الذى كان يدرس له قيل له أنه غادر والساعة تقترب الان من الثامنه مساءاً

ذهب الى المكتبة ..وقضى قرابة الساعة فى البحث فى المراجع ..الى أن جمع معلومات كثيرة ولكن أهمهم ..وهو ماأخفاه عنه د/

عبد العظيم أن المرضى بتلك الحالة لايســـتمرون على قيد الحياه طويلاَ ..حيث لم تمر عليهم ستة أشهر الا ويموتون..

ظل لفترة قابعـــاً فى مكانه غير مصدق مـــا يحدث له الى أن حضرت مديرة المكتبة لتخبره أنه لابـــد أن يغادر حيث هذا موعد اغلاق المكتبة ويمكن أن يعاود فى الصباح اذا احتاج لعمل أبحاث أخرى ..

مر على الصيدلية فى طريق العودة للبيت ..

تناول بعض العقاقير التى من المفترض أن تساعده على النوم .

وبالفعل ..أغمض عيناه ..وترك جسده يتمدد على السرير ..واح فى سبات عميق..

فى اليوم التالى اســـتيقظ والصداع يدق فى رأسه والارهاق قد تمكن من أعضاء جسده..

توجه الى الجامعة لمقابلة د.المخ والاعصاب الذى كان يدرس له هذه المادة ..وبصعوبة استطاع مقابلته..

شرح له الموقف ..وما هى معلوماته عن مثل تلك الحالات ..حالة الأرق الوراثى المميت ..

أجابه: للأسف ليس لدينا هنا فى مصر الدراية الكاملة بمثل هذه الحالات لندرة تواجدها فأنا فى حياتى كلها لم يصادفنى الا مريض واحـــد فقط ..بمثل هذه الحالة ..لذلك كنت تقريباً أذاكر مثل الطلبه تماما كل ما يدور حول هذه الحالة..

انها تحدث فى مرحلة الشـــباب ..الاصابة فى المخ.. والاعراض هى عدم القدرة على النوم لأيام ومع تدهور الحالة يصاب المريض بالتوتر والعصبية وربما يحتاج الى علاج نفســـى قبل الدخول فى موجة اكتئاب..وللأسف لا يوجد له علاج فعال..وعادة ما ينتهى بهم الحال للوفاه قبل مرور أقل من سنة..

وهناك العديد من الاوراق والدراسات العلمية عرضت فى بعض المؤتمرات لعلاج مثل تلك الحالات لكن..العلاج كان فقط لمساعدتهم على النوم ..لكن أصل المشكلة لا يزال قائما..

لكن يا أكرم ..لماذا تسأل ..هل تعرف أحدا مصابا بتلك الحالة.

أكـــرم : لا يا دكتور ..كنت فقط أريد التعلم أكثر ..حيث صادفت هذا الموضوع أثناء قراءتى فى بعض المراجع..

وهم أكرم أن يغادر مكتب الدكتور فى الجامعة..وقبل أن يفتح الباب ..طرأت فى رأســـه فكرة..أن يزور هـــذا المريض الذى كان يعالج لديه بهذه الحالة..يزور أسرته حتى بعد وفاته ..ليعرف أكثر ما كان يمر به..

آه..بالمناسبة يا دكتور ..هل أنا ممكن أعرف اسم المريض الذى كان يعالج عندك وعنوانه كى أفهم أكثر من أسرته.

الدكتور: آه بكل سرور..ثم أحضر ورقة صغيرة وكتب فيها اسم المريض وعنوانه.. وناولها لأكرم ..الذى شكره وغادر على الفور.

أثناء هبوطه الدرج الرخامى العريض فى ســـلم الجامعة ..فتح الورقة ليقرأ اسم المريض وعنوانه ليتوجه الى أسرته..

الاسم..حازم الصاوى..العنوان...

شـــعر برجفة وبرودة فى كل أنحاء جسده وقشعريرة ..تملكت منه.. جلس على الدرج ولم يستطع أن يتمالك نفسه من البكاء..

حازم أخى كان مصابا بهـــذا المرض ونحن لا نعلم ..حتى أنا.. أخوه وأدرس بكلية الطب .. لم يطلب المســـاعدة.. ولم يطلع أحدا على طبيعة حالته.. يا حبيبى يا حازم..

ظل جالساَ على الدرج ..لم يستطع الحراك.. الا أنه فجأة طرأت فى رأسه فكرة..

ميمى عزيز أو مونيكا ..هى تعلـــم الكثير عنه وكانت تقول أنه كان يبوح أمامها بما لا يستطيع الحديث فيه مع الاخرين..

وبالفعل توجه الى بيت مونيكا وأمينة ..

حاولت مونيكا التهرب من أسئلته..ياأكرم ..حازم عند ربنا الان لم لا ندعو له ..وليس من الافضل النبش فى الماضى..

لكنه أصر ..وأخيرا وأمام اصراره الشديد ..

باحت له بكل ما عرفته عن حالة حازم.. والذى تطابق مع حالته..

وقالت له ايضاَ ..أكثر انسان يمكنه أن يفيدك أكثر عن حازم الله يرحمه هو د.رؤوف الطبيب النفسى الذى كان يعالج عنده..

وأعطته عنوان وتليفون د.رؤوف .

شعر أكرم ..أنه قد تحول.. لنحلة لا تهدأ ..

توجه على الفور الى د.رؤوف..انتظـــره لفترة حتى تمكن من مقابلته .

امتدت بينهما الجلسه لأكثر من ساعة ..أطلعه فيها رؤوف على حالة حازم النفسية بالتفصيل وأجابه عن كل تساؤلاته..

وأخيرا طلب منه أكرم أن يحصل على نسخة من تسجيلات حازم الصوتية التى يتحدث فيها عن معاناته وما يمر به..

د.رؤوف..فى الحقيقة أنا لاأسمح لأحد بالاطلاع على خصوصية المرضى عندى..لكن لأنك شـــقيقه الوحيد ..وأيضا أنك زميل طبيب ..فأنا اتفهم ما تمر به..لـــذا ..انتظر منى مكالمة كى أقوم بتجهيز المطلوب..

انتظم أكرم ..بمســـاعدة العقاقير فى عمله كطبيب فى مشرحة المستشفى الجامعى..

وكان يتمنى أن تأتى حالة من ضمن الحالات الكثيرة التى يقوم بعمل التشريح الطبى لها ..حالة مشابهة لحالته..وحالة حازم الله يرحمه

فهو يريد أن يرى ما يصيب المخ تحديداً..

التفكير يكاد يقتله والتســـاؤلات الكثيرة فى رأســـه بلا اجابة.. وفجأة ضربت رأســـه فكرة..أستأذن من رئيسه المباشر..وغادرالى مبنى النيابة العامة وطلب لقاء رئيس النيابة..وبعد الانتظار لفترة

طويلة..وأثناء اللقاء..شـــرح له أكرم ما يفكـــر فيه .. كان يريد أن يستخرج رفات والده محمد الصاوى وأيضاّ حازم أخيه..لكى يتأكد أن المرض الوراثى ..قد انتقل من الاب الى الابن حازم والان اليه..

أجابـــه رئيس النيابة أن الامر ليس بهذه الســـهولة ..الامر ليس بنزهة أنت تتحدث عن فتح قبور واســـتخراج رفات..لابد من تقديم طلب والافضل عن طريق محامى ..وبعدها تقدم كل المســـتندات والوثائق التى تدعم طلبك..وسننظر فى الامر..

جلس أكرم فى ســـيارته بعد مغادرته مبنى النيابه العامة ..غير مصدق لما يحدث له وما يمر به ..موت حازم..ثم اكتشـــاف مرضه المميت..سيفارق الحياه قبل مرور عام ..وماذا عن أمه..هل تتحمل صدمة أخرى بعد حازم الابن الاكبر..وماذا عن ندى خطيبته وأحلامها وأمالها فى زوج المستقبل ..لن يكون هناك زوجا..لكن جثه هامدة..

لم تســـطع مونيكا النوم فى تلك الليلة..شـــعرت أن أكرم يمر بمحنه..ربما مشـــابهة لما كان يمر بها أخيه حازم..هى لاتعلم أى تفاصيل أو معلومات..لكن بقلب الام والانســـانة ..لاحظت اعراض الارهاق والتوتر التى كان يعانى منها حازم ظاهرة فى أفعال أكرم..

انتظرت حتى الصباح ..وتوجهت لعيادة د.عبد العظيم.. وطلبت لقاؤه..

وبعد محـــاولات مضنية ومحايلات وتوســـلات ..أطلعها د.عبد العظيم على حالة أكرم وأنه مهدد بفقدان حياته فى فترة وجيزة..

لم يتحمل قلبهـــا الضعيف صدمة جديدة بعد ان ظنت أن الدنيا قد ابتسمت لها فهى تشعر بشئ من الامومة تجاه أكرم..فهو شقيق زوج ابنتها ..أى بمثابة ابنها وهى كانت حماه شقيقه وأمه متزوجة من ابيها الروحى عزيز رشوان وهو عم أحفادها مونيكا وهيلدا ..

يا الهى.. هل تتفكك الاسرة التى أخيرا وجدت لى مكاناً بينها..

للمرة الثانيةيلعب القدر لعبته فى حرمانى ممن أحب وأشـــعر بالراحة والامان معهم.. مســـكينة أمينة.. بالامس حازم واليوم عم البنات أكرم..

ومســـكينة أيضا وفاء فقدت زوجها بالماضى والحاضر القريب ابنها الاكبر ولم يتبق لها غير الابـــن الثانى أكرم ..طبيب فى بدايه شبابه ..

ماذا عســـاى أن أفعل ..لا ..لن أقف مكتوفة الايدى ..ســـأحارب للنهاية.

جاءت الموافقة من النيابة العامة ..والتصريح باستخراج رفات الاستاذ/ محمد الصاوى والاستاذ/حازم الصاوى.

نظر أكرم الى كل تصريح وهو لا يعلم كيف سيفعل هذا ..وكيف يتعامل مع عظام ورفات أبيه الذى يكاد يذكره بصعوبة حيث مات وهو صغير السن للغاية.

لكن الألم الاكبر هو التعامل مع رفات شقيقه حازم..

لذا لجأ الى أحد زملائه من أطباء التشريح للقيام بتلك المهمة..

وهى أخذ عينة من رفات كلا منهما ..محمد الصاوى وحازم .

لعمل تحليل الحمض النووى للحصـــول على البصمة الوراثية DNA

وكذلك تم أخذ شـــعرة من أكرم وجزء من أظافره لعمل تحليل DNA. له أيضاَ

كى تتم مضاهاه الثلاثة أشخاص الاب/ محمد الصاوى ..الابن/ حازم.. الابن/ أكرم وينتظر النتائج..

كان أكرم بعيدا تماما عن مسألة استخراج الرفات وعمل التشريح اللازم لها ثم اعادتها مرة أخرى ..ولم يكن يتحمل ذلك رغم عمله مع جثث الموتى كل يوم عشـــرات المرات.. لكن عندما يصل الامر الى أخيه وأبيه فلم يتحمل..

ذهب الى أمه فى بيت عزيز رشوان .. وجدها بمفردها وعزيز فى عمله فى المجلة ..ارتمى بجسده على صدرها وأجهش بالبكاء وهى لا تفهم ما يحدث..

ربتت على كتفه طويلا وقبلته طويلا ..الى أن هدأ..

لم يستطع اخفاء عنها مايحدث..أسر لها ما يخفيه داخل صدره..

رفات أبى ورفات حازم ..تـــم عمل فحوصات لها وعمل تحاليل الحمض النووى..

دفعته وفاء بكلتا يده بعيدا عن صدرها..

أنت فتحت قبر أبيك ..واستخرجت الجثة أو رفاته..

وفتحت قبر أخيك واستخرجت رفاته أيضا..

صرخت بصوت عال.. كيف تجرؤ أن تفعل هذا..هل تنبش قبور أهلك..لن أسامحك أبدا..

تركها أكرم حتى تهدأ..وبدأ فى الشـــرح الطبى عن مرض حازم وكيفيه وفاته فهو يريد التأكد فقط من ســـبب الوفاه وكذلك سبب وفاه أبيه..

ولم يذكر لها أى شـــئ عن مرضه هو وأنه قريباً سيذهب اليهما لينضم الى قائمة المتوفين بالاسرة..

بدأت تفهم ..واعتذرت له على الاتهامات ..وقضيا سوياً وقتاً ملئ بالشجن والذى لم يحدث بينهما منذ فترة..

الى أن حضر عزيز رشوان ورحب بأكرم بشدة..وتناولوا طعام الغذاء ســـويا الى أن تلقى أكرم ..مكالمة من زميله طبيب التشريح القائم على مســـألة اســـتخراج الرفات وأخذ العينات لعمل تحليل DNA أن الامور تمت علـــى خير وتم اعادة رفاه كل جثة فى القبلر كما كانت..وعلينا أن ننتظر نتائج التحاليل والتى ســـوف تستغرق بضعة أيام..ربما أسبوع على الاكثر..

فى اليوم التالى بعد أن أنهى أكرم بعض الفحوصات على بعض الجثث والتى كانـــت أخرها جثة رجل مقتول ثلاث رصاصات اثنان فى الرأس ورصاصة فى الرقبة بعد كسر جمجمة الرأس ..استخرج

المخ ..ووضعـــه على الطاولة وحاول تحديد البؤر الســـوداء التى ظهرت فى صور أشعته ومضاهات ذلك على مخ الرجل المقتول..

اكتشف أن تلك البؤر قريبة للغاية من مراكز الذاكرة فى المخ..

وأثناء عمله واعادة المخ مكانه ..وغلق كل الفتحات التى أحدثها فى الجثة..دخل عليه عامل المشرحة سلامة بجثة جديدة..

نظر أكرم فى الجثة الجديدة ثم نظر فـــى الجثة الممدة أمامة والتى يقترب من انهاء العمل فيها..

ثم تذكر نفســـه ..أن هذا مصيره بعد بضعة أشهر..سأموت فى هذا العام.

وهذا العام الذى سيكتب على قبرى ولد فى عام ..ومات فى عام..

جلس على أقرب مقعد..ووضع رأسهبين كفيه محاولاً استيعاب ما يمر به..

..يعمل على الجثث..وســـيكون هو نفسه جثة مثلهم فى غضون شهور

يا الهى..

سلامة: مالك يا دكتور..حضرتك كويس؟!

انقضـــت فترة العمـــل الصباحية وتوجه أغلـــب العاملين فى المشرحة الى مطعم قريب لتناول طعام الغذاء على أن يعودوا الى العمل بعد ساعة..

لم يستطع أكرم تناول اى شـــئ ..كيف له أن يشتهى أى طعام وهو يرى نفسه جثة ممدة مث الجثث حوله فى غضون شهور قليلة..

أمسك هاتفه واتصل بالدكتور رؤوف يسأله هل انتهى من عمل نسخة من تسجيلات جلسات أخيه الراحل حازم..أجابه د.رؤوف انه كان مشغول للغاية لكن فى خلال أيام قليلة سيتصل به لاستلامها..

انقضت فترة الغذاء وعاد جميع العاملين الى أماكنهم..

دخل عامل المشـــرحة ســـلامة الى الدكتور أكرم يخبره فيها بوصول جثة جديدة وقدم اليه ملـــف الحالة على أن يحضر الجثة خلال دقائق..

فتح أكرم الملف ليقرأ فيه أن سبب الوفاه هبوط حاد فى الدورة الدموية وأن هناك شـــبهة انتحار نظرا لوجود زجاجة دواء فارغة بجوار الجثة من عقار منوم ومسكن للألام..

أنها لرجل فى الخمسين من عمره ..

دخل سلامة دافعا الترولى أمامه وعليه الجثة ممدة وعليها الغطاء قام أكرم وكشف الغطاء ..

لا..لا غير معقول..أنه حازم أخى ..لا ..لا .. غير معقول..

سقط أكرم على الارض ..وساعده سلامة فى النهوض مرة أخرى وهو مفزوع ..مالك يا دكتور أكرم ..ايه الحكايه ..مين حازم دة؟

نهض أكرم بصعوبة..الهلاوس تطارده مرة أخرى والجديد انه سيرى أى جثة قادمة على أنها جثة حازم أخيه ..كيف سيعمل بهذه الطريقة..

تقدم ناحية الجثة مرة أخرى ..انها جثة حازم..مرة أخرى .

طلب من سلامة تصوير الجثة وأعطاه هاتفه ..

قام سلامة بتصوير الوجه وناول الهاتف لأكرم..نظر فى الصورة ..انها صورة حازم..لم يصدق مايراه..

فتح ملف الصور ..بحث عن صورة لحازم أخيه قبل الوفاه..وقال ســـلامة ..انظر الى هذه الصورة ..هل هى مختلفة عن الجثة التى أمامنا..

نظر سلامة.. ثم نظر الى الوجه الممدد امامه .

نعم يا دكتور نفس الملامح..

قام أكرم بالتقاط صورة اخرى ونظر فيها.. وقســـم شاشـــة التليفون الى قســـمين ووضع فى كل قســـم صورة قديمة لحازم وصورة الجثة..

ثـــم خرج ..الى خارج حجرة التشـــريح وتقابل مع موظفة فى المشرحة وطلب منها أن تنظر فى الصورتين ..أجابته ..انها لنفس الشخص..

يا الهى..حازم أخى ميـــت بالامس ..اذن من مات من قبل وقمنا بدفنه..

والرفات التى فى القبر والتى أخذ منها زميلى العينة لعمل تحليل DNA.... ماذا يحدث..

دخل أكرم الحمام ووضع رأسه تحت المياه الجارية فى حوض الغسيل كى يستفيق مما هو فيه..

عاد ثانية الى الجثة.. رفع الغطاء أكثر عن باقى الجسد..

كان حازم لديه وحمه فى ظهره بنيه اللون بحجم 2سم ..

لم تكن الوحمة موجودة ..وهذه الجثة لرجل مشعر للغاية..حازم لم يكن لديه شعر كثيف فى جسده..قام بقياس الطول ..كان طول حازم مثل أكرم تقريبا حوالى 185 ســـم أما هذه الجثة لرجل بعد القياس179 سم

انه وجه حازم..لكن ليس جسد حازم..

ما هذا اللغز..

استعان بأحد الاطباء من زملاءه بالمشرحة ..شرح له الموقف..

وقاما ســـويا بفحص الجثة..ليكتشـــفا آثار خياطة فى دوران الوجه وتحت الذقن ..

واذا بزميلـــه يرمى بقنبلة جديدة لأكرم ..هـــذا الوجه تم زرعه ..ليس هذا هو الوجه الاصلى لهذا الرجل..

استمرت الفحوصات بكل التفاصيل ..ليتاكد أكرم ..أن هذا ليس جســـد حازم ..لكن الوجه هو وجه حازم ..وقـــد تم زرعه فى هذا الجسد..

جن حنون أكرم ..ولم يقل الا جملة واحدة ..واشتم فى الموضوع رائحة عصابات زراعة الاعضاء..

وافقه زميله الـــرأى ..وقام الاثنان على الفور بعرض الامر على مدير المصلحة والذى بـــدوره قام بابلاغ الشـــرطة وتقديم بلاغ رسمى.. ووضع الامر برمته بين يدى النائب العام..ازدادت الضغوط داخل قلب وعقل أكرم صدره ممتلـــئ بالألغاز والمعلومات التى لا يصح أن يبوح بها ..لكن لم يســـتطع ..يريد الكلام ..الفضفضة.. اخراج ما فى صدره..

فكر فى أمه.. لكنه خاف عليها وردة فعلها.. ليس سهلا على أى أم لأن تعلم أن عضو أو جزء من جســـد ابنها تم سرقته ..وليس أى عضو انه الوجه.. الملامح.

ثم فكر فى أمينة .. وشعر أن ذلك ربما أصعب انه كان زوجها.. أبو بناتها.. من المستحيل أن تتخيل أن هناك من نزع وجهه وزرعه لرجل آخر..

ندى.. لا أنها غارقة فى عالم التسوق لفرش البيت وربما ام يجد أى استجابة أو تعاطف منها..وبالاخص أنه كان يشعر أنها تغار من أخيه حازم..

لم يجد سوى.. مونيكا..

ذهب الى بيت مونيكا ..فتحت له أمينة الباب ورحبت به..

وبعد أن جلس معها وقبل البنات مونيكا الصغيرة وهيلدا ..سأل عن مونيكا الكبيرة..

فاذا بأمينة تخبره أنها ســـافرت الى سويسرا فى رحلة سريعة تستغرق بضعة أيام..

لم يســـتطع الحديث مع أمينة..رغم ملاحظتهـــا أنه ليس على طبيعته..

توجه الى بيت أمه ..وبعد أن اصطف سيارته..نوجه الى مدخل العمارة فاذا به يتقابل مع عزيز رشـــوان خارج من العمارة ..وكان القدر كان قد أرسله ووضعه فى طريقه..

طلب أن يتحـــدث اليه لبعض الوقت ..رحب به عزيز وأخبره أنه ليس مشغولا ..

رفض اكرم الصعود الى البيت ..وقال له.. لا أريد أمى أن تسمع ما سأقوله..

جلسا سويا فى احدى المقاهى..وبدأ اكرم فى افراغ ما بداخله.. وأطلعه علـــى ما حدث فى أمر الجثـــة ذات الوجه المزروع ..وجه حازم..

لم يصدق عزيز رشوان ماسمعه..هل هناك فجر الى هذه الدرجة..

وقام على الفور بالاتصال بالمحامى وطلب لقاؤه..وعقدوا جلسة ثلاثية بين اكرم وعزيز والمحامى..

حل الارهاق والتعب الشـــديد على أكرم ..عـــاد الى بيته..حاول النوم..

لكن بلا فائدة ..حتى بعد تناول بعض العقاقير.. لكن النوم كان رافضاً أن يقترب من عيناه..

زاد الصداع فى رأسه ..لم يأكل منذ يومين ..وليس لديه أى شهية للطعام

حدث جلل..نطقت هيلدا أول كلمة..قالت ماما

لم تصدق أمينة ما ســـمعته ..أجمل كلمة فى الوجود بعد لفظ الجلاله..

ماما..قامت واحتضنت هيلدا بشدة وقبلتها قبلات كثيرة للغاية

وفى القبلة الاخيرة سمعت مونيكا الصغيرة هى الاخرى تقول.. ماما

احتضنتها هى الاخرى وأمطرتها بوابل من القبلات..

امسكت بهاتفها تحادث مونيكا الكبيرة ..أمها فى سويسرا..

لكن للأسف لم ترد كانت تريد أن تسمعها أول كلمات البنات

تلقى أكرم فى منتصف النهار مكالمة من د.رؤوف يخبره فيها أن التسجيلات جاهزة ويمكن أن يمر عليه فى أى وقت لاستلامها..

كان أكرم اتصـــل بالعمل واعتذر عن الحضـــور نظرا للارهاق الذهنى والبدنى الذى يعانى منه..

تحامل على نفسه وارتدى ملابسه وذهب الى عيادة د.رؤوف ..

استلم التسجيلات ..وعاد الى البيت وكله شغف لسماع التسجيلات عله يفهم ما حدث لحازم وما كان يمر به..

بدأ فى سماع أولى التسجيلات ..صوت حازم مرهق للغايةويعانى فى التفكير فى الكلمات المستخدمة.. تحدث عن عمله وحبه للعمل كناقد فنى..ثم تطرقالى امتنتنع لعزيز رشوان لمساعدته فى تثبيت أقدامه فى المجلة وكتابة عامود النقد ..

ثم يصمت لفترات..وبـــدأ فى الحديث عن علاقته بميمى عزيز.. وكم هى مخلصة ومريحة فى التعامل لكنها دائما ما تصنع حاجزا أمامه..ويشعر فى حياتها بسر كبير..وهى لا تبوح بأى شئ..

وفى التسجيل الذى يليه..تحدث عن زواجه بأمينة وأن الشهامة هى العامل الوحيد الذى دفعه لثبول ذلك العرض ولم يكن لديه أى مشاعر تجاه أمينة..

وســـرد ما مر به فى سويســـرا ..والعمل فى المطعم والاخفاق والفشـــل الذى أدى به الـــى العمل فى غســـيل الاطباق وتنظيف الحمامات..

انهمرت بعض الدموع من عينى أكرم ..أخى حازم كان يغســـل الاطباق وينظف الحمامات فى سويسرا نظرا لحاجته للمال..ونحن هنا لم نكن ندرى شيئاَ..

واستمر فى سماع التسجيلات وهو يتفاعل مع كل جملة..

الى أن وصل الى حديثه عن مرضه وآلامه والتعب الدائم والعصبيه الزائدة ومرحلة النسيان للأشخاص والاشياء..

ثم ذكـــر ترددده على دكتور المخ والأعصاب ..أســـتاذ أكرم فى الكليه..

وهنا توقف أكرم عند جمله خطيـــرة قالها حازم..أنه كتب أمام الدكتور اقراراًعلى نفســـه بالموافقة بالتبرع بأعضاءه مجانا لمن يحتاج الى أى عضو..وأن الدكتور تعهد بإيداع هذا الاقرار فى بنك زراعة الاعضاء..

قام أكرم علي الفور بالاتصال بعزيز رشـــوان وأطلعه علي ما استمع إليه في تسجيلات حازم بالاقرار والتوصية بالتبرع بأعضائه بعد وفاته..

تحرك فوراً عزيز رشـــوان بصحبة المحامـــي، وتنقلا بين بنك الاعضاء.. وتواصلا مع أســـرة الرجل الذي تم زرع وجه حازم له..، وضعا ايديهم علي الحقيقة، إنه رجل ثري تزامن ان تعرض لحادث سيارة ونشبت النيران في السيارة وهو داخلها، وبعد محاولة الاهالي انقـــاذه.. كانت النيران قد التهمت وجهه، وكان ذلك قبل وفاة حازم بيومان، لم يستطع الاطباء عمل اي شئ لوجهه، بالكاد انقذوا حياته بعد الحريق..تواصل اهله بمســـاعدة المستشفي مع بنك الاعضاء الذي اطلعهم علي اقرار حازم وانه قد توفي بالفعل، استنادا للاقرار

الموقـــع من حازم كان لهم الحق في الحصـــول علي احد أعضاءه «الوجه» دون الرجوع لأحد.

وبعد إجراء عملية زرع الوجه والتي تمت إكلينيكيا بنجاح، حدثت للرجل مضاعفات جسدية ونفسية استمرت قرابة العام، دخل فيها وعلي أثرها في نوبـــة اكتئاب حادة، وحاول الانتحار والتخلص من حياته أكثر من مرة..

وفـــي المحاولة الاخيرة للانتحار لم يســـتطيعوا إنقاذه بعد ان تناول اكثر من اربعين حبة دواء مسكن جرعة واحدة.

إرتاح قلب أكرم بعد ســـماعه ان ليس هناك شبهة سرقة لوجه اخيه وزاد من تقديره واحترامه لحازم اكثر واكثر، وقرر ان يخطو نفس الخطوة وقام بكتابة إقراراً علي نفســـه بالموافقة علي التبرع بأعضاءه مجاناً بعد وفاته، ووضعها في بنك الاعضاء بشهادة عزيز رشـــوان والمحامي، ثم طلب من عزيز إخفـــاء أمر ما حدث لحازم ونقل وجهه لزرعه لرجل آخر عن وفاء أمه وزوجة عزيز، كذلك امر الاقرار الذي كتبه علي نفسه.

عادت مونيكا الكبيرة من سويســـرا، وكانت أمينة تنتظرها علي أحر من الجمر.. كانت تخشي ان تضيع منها مرة أخري بعد ان جمع الله شتاتهما ولم شملهما ووجدتها اخيراً.

أطلعتها مونيكا علي نجاح زيارتها..والتواصل مع أسرتها التي تقطن بالريف السويسري وانهم هناك يتطلعون للقاء إبنتها أمينة وحفيدتاها مونيكا الصغيرة وهيلدا ، وبالفعل قامت بعمل الترتيبات لســـفرهم جميعا معها للقاء جد وجدة أمينة مع بقية أفراد الاسرة.. وانهم يعيشون في بيت ريفي بسيط للغاية وسط المزارع الخضراء والجبال المحاطة بهم فيقومون بالتزلج علي جليدها في الشـــتاء، وان لديه بعض الابقار والخـــراف، ربما يقضون هناك وقتا طويلا نوعا ما..الحياة صحية ومريحة للغاية.

إتصلت مونيـــكا بأكرم..طلبت لقاءه لكنـــه كان مرهقاً ومتعباً للغاية، فقررت الذهاب إليه في منزله..، جلســـت اليه واطلعته علي السبب الحقيقي لسفرها الي سويسرا الذي لم يكن لزيارة أسرتها، ورغم انها زارتهم ليوم واحد، لكن بقية ايام الرحلة كانت تتردد فيها علي مستشفي يعمل به أكبر استشاري لجراحة المخ والاعصاب في سويسرا وكانت قد اطلعته علي تفاصيل حالته التي حصلت عليه من د. عبد العظيم والذي امدها بصور الاشعة والتحاليل وتقارير الحالة بالتفصيل، قامت بترجمتها الي الالمانية..

وبعد ان وقف الطبيب السويسري علي الحالة تفصيليا أنار لها بادرة أمل، من الممكن إجراء جراحة لإستئصال تلك البؤر السوداء وربما تختفي بعدها هذه المشكلة..

لم يستطع أكرم كتمان فرحته، قام واحتضن مونيكا قائلا: « انت ملاك» !

أقنعت مونيكا أمينة بأنهم بحاجة الي أكرم ليساعدهم في بعض الامور في سويســـرا .. « نحن لرجال معنـــا ، وليس أفضل من عم البنات.. أكرم»

كانت أمينة فرحة بالقرب من أكرم.. حيث عادت وتجددت اليها مشـــاعرها القديمة قبل ان تتزوج حازم، كذلك شـــعر أكرم براحة غريبة بالقرب من أمينة ومونيكا والبنات مونيكا الصغيرة وهيلدا.

أقلعت الطائرة في موعدها تمامـــا ولاول مرة ينام أكرم لبضع دقائق، ربما لتواجده بالقرب مـــن أمينة التي تقوم بالزيارة الثانية لسويسرا، لكنها زيارة مختلفة هذه المرة، بلا قلق او ألغاز او بحث عن مجهول والركض في كل مكان، انها بصحبة امها ومعها بناتها.. والان هي في طريقها لبيت جدها وجدتها في الريف السويســـري لكي تلقاهم للمرة الولي ومعها أكرم.

قامت مونيكا بإصطحاب أمينة في نزهـــة في البلدة الصغيرة وتركت أكرم ليرتاح بينما البنتان كانا في منتهي الســـعادة باللعب مع الحيوانات الاليفة، القطط والكلاب والخراف والارانب في حديقة المنزل بصحبة اولاد اخت مونيكا.

وأثناء التنزه قامت مونيكا بإطلاع أمينة علي حالة أكرم بالتفصيل وكل معاناته وخطورة المرض علي حياته وان هناك موعداً في الغد لزيارة الطبيب وأكرم لا يعلم بكل تلك الترتيبات.

قضت مونيكا الصغيـــرة مع هيلدا وقتا رائعاً وســـط الحقول الخضراء والحيوانات الأليفة وكانت أصوات ضحكاتهن وصراخهن تملأ المكان من فرط الفرحة والســـعادةو بينما حاول أكرم ان ينام اكن بلا فائدة فقد كان الهزال والضعف الشديد واضحاً عليه فكان لا يستطيع ارتداء سرواله دون حزام الوسط، فقد صارت الملابسة متسعة علي جسده.

أخبرته مونيكا انهم ســـيتوجهون للمدينة في الغد للقاء بعض الاصدقاء وعليه ان يستعد في الصباح الباكر.

بالطبـــع لم ينم ليلته، قام بالاتصال بأمه وفاء.. فقد خشـــي ان يموت حيث شـــعر بدنو أجله، قبل سماع صوتها ولو للمرة الخيرة، الاجل قادم وقريب.. الأعـــراض تتزايد والضعف والهزال انهك قواه وخارت كل مقاومة لديه، وكأنه رفع الراية البيضاء وأعلن إستسلامه وإنهزامه، وأنه مستعد للرحيل..

يســـمع صوت أمه ودموعه لا تتوقف.. لكنه لم يشعرها ببكاءه، طلب منها الدعاء..الدعاء الكثير له ولحازم.

أنهي المكالمة..وقال بعدها: « مســـكينة يا أمي..بالأمس حازم واليوم أنا !! .. ماذا عن الغد ..»

تلقي بعدها أكرم رســـالة من صديقـــه الطبيب الذي قام بعمل تحليل البصمة الوراثيـــة « دي ان ايه»، لرفات أبيه محمد الصاوي وأخيه حازم.. النتيجة كما ، العينات متطابقة والمرض وراثي ، إذا فقد مات به أباه ومن بعده حازم والآن الدور عليَ .

قام أكرم بالإتصال بندي كي يســـتمد منها بعض القوة تساعده علي مواصلة ما تبقي فيه من عمر والتي انهالت عليه بكلمات اللوم والعتاب، فكيف له ان يســـافر دون ان يناقـــش معها الامر، وبعد ان اســـتمع اليها لتخرج ما بداخلها، اخبرها انـــه ربما..بل مؤكداً لن يســـتطيع تحقيق حلمها في ان تكون أمـــاً، فهو غير قادر علي الانجاب، ولم يستطع ان يطلعها انه بسبب المرض الوراثي المميت والذي يخاف ان ينتقل لذريته، فقـــط أخبرها انه بعد إجراء بعض التحاليل ثبت له عدم قدرته علي الانجاب..لن تصير أم..

لـــم يتلق منها أي إجابة للحظات..حـــاول تكرار كلامه لكنه لم يسمع منها إلا جملة واحدة: « ماينفعش يا أكرم، انا اسفة، أنا عايزة اكون أم، هذا حقي، أنا أعشـــق الاطفال، ..ما ينفعش يا أكرم..انت خذلتني» ثم أغلقت الهاتف في وجهه.

في اليوم التالي توجه أكرم بصحبة مونيكا الي المستشفي وقد أخبرتـــه مونيكا خلال الطريق بكل تفاصيل مـــا فعلته وقامت به، من عرضها لحالته بالتفصيل علي أهـــم وأكبر أطباء جراحة المخ والاعصاب.

استمع لها أكرم، بلا اي مبالاة فقد كان يشعر بقرب النهاية..

قام الطبيب بعمل فحوصات مـــرة اخري كي يطمئن، ثم طلب وضع أكرم في حجرة بالمستشـــفي، فســـوف تجري الجراحة في اليوم التالي.

قامت مونيكا بالاتصال بأمينة وطلبت منها ترك البنات مع جدهم وجدتهم، والحضور الي المستشفي، حيث وجودها ضروري للغاية.

بدأت الممرضات في تجهيز أكـــرم للجراحة وعمل الفحوصات المعتادة قبل نقله لحجرة العمليات وتخديره.

إجتمع الطبيب بمونيكا وبأمينة بعد وصولها، وأطلعهم ان نسبة نجاح العملية ليست كبيرة، وان النتائج غير مضمونة، ثم طلب منهما التوقيع علي إقرار بإخلاء مسؤليته كجراح ومسؤلية المستشفي في حال فشل الجراحة ووفاة المريض.

وأخبرهم بأمر هام.. أنه في حالـــة نجاح العملية فهناك عرض جانبي سيحدث للمريض « أكرم» وســـوف يعيش به طيلة حياته، ستؤثر العملية علي مراكز الذاكرة في المخ، فربما يفقد الذاكرة، اي

لن يتذكر اي من الماضي وكأنه قد ولد اليوم ..و دوركم ان تساعدوه وتشرحوا له كل ماضيه والتعرف علي الاصدقاء والعائلة.

لم يكن أكرم يدري بما يدور حوله.. تلقي رسالة من ندي تخبره فيها انها لا تريد الاستمرار معه، فهي تعشق الاطفال ولن تتنازل عن حلمها مهما كانت النتائج وانها قد ارســـلت دبلة الخطوبة والشبكة وكل متعلقاته مع السائق الخاص بأبيها الي بيت عزيز رشوان حيث أمه تقيم.

إنفجر أكرم في الضحك.. لأول مرة يشعر برغبة في الضحك منذ زمن، وكأنه سعيد بالخلاص من ندي، الان يموت بلا تأنيب ضمير، فقد حاول ان يحبها لكنه لم يشـــعر بدقـــات قلبه الا لإمرأة واحدة فقط.. هي أمينة ، والتي فتحت الباب ودخلت عليه في هذه اللحظة وكأن الله حقق أمنيته بأن يراها قبل...قبل فوات الأوان..

لم يشعر الا وهو يقول: « أنا بحبك يا أمينة»

إبتسمت أمينة فرحاً، حاولت ان تبادله نفس المشاعر وتبوح له عما في قلبها تجاهه، لكنها قالت: « وماذا عن خطيبتك .. ندي»

أكرم: « ندي..نـــدي خلاص..طريقها مختلف عن طريقي، ربنا يوفقها، تم فسخ الخطوبة بيننا»

قامت أمينة واحتضنته..» أنـــا كمان بحبك يا أكرم ..جدا ..ومن زمان..»

وقعـــت كلماتها وحضنها له موقع الســـحر علي قلبه وارتفعت معنوياته وطلب ان يأكل بعض الطعام، تســـاءل بينه وبين نفسه، هل تأتي الساعدة بعد فوات الاوان..قبل الرحيل، ماذا انت فاعل بي أيها القدر..

لم يكن يدري انه مقدم علي جراحة دقيقة في المخ بعد ساعات قليلة، أدخلوه حجرة العمليات بعـــد تخديره في الحجرة قبل نقله لحجرة العمليات.

مرت الساعات بطيئة.. استغرقت العملية قرابة 6 ساعات.. خرج بعدها الطبيب بإبتســـامة علي وجهه رغم الارهاق والتركيز الشديد ليبشرهم، انه قد أدي عمله علي أكمل وجه ونجح في استئصال البؤر الســـوداءو وينتظر بعد الإفاقة..و بعد مرور 48 ساعة ، ستتضح الأمور..

بعد مرور أسبوع، كان الجميع في طائرة العودة إلي مصر، وقد أشترت أمينة فســـتان أبيض من أشهر متاجر جينيف..عادت حياة اكرم لطبيعتها، كتب له الله عمـــر جديد بعد نجاح العملية، وصار ينام بشكل طبيعي لكن قلبه بحب أمينة لا ينام.

إســـترد بعضا من صحته ونشاطه وقامت أمينة بمساعدته علي التعرف علي من حوله..بافعل كان قد تناســـي الجميع من حوله إلا

إنســـان واحد فقط.. هي أمينة.. كان ينادي بإسمها اثناء تخديره وأثناء العملية وأيضاً أثناء الجراحة..

نسي كل شئ وكل الناس .. إلا أمينة .

وعندما فتح عينيه بعـــد الإفاقة.. نظر في عينيها وقال لها وهي بصحبة أمها مونيكا « أنا بحبك يا أمينة»

:ان حفل زفاف رائع، ..عرفت الفرحة طريقها للجميع..

سافر بعدها أكرم وأمينة إلي سويسرا مجدداً لقضاء شهر العسل في فندق يطل علي بحيرة لوسيرن

أمينة: « الآن تستطيع يا حبيبي ان تنعم بنوم هادئ ..»

أكرم: « نعم..ينعم الجسد بالنوم لكن القلب بحبك لا ينام»

تمت

سما
للنشر والتوزيع